ثلاثة مصنفات للحكيم الترمذي

كتاب سيرة الأولياء

جواب المسائل التي سأله أهل سرخس عنها

جواب كتاب من الري

باهتمام
بيرند راتكه

القسم الأول
النصوص العربية

بيروت ١٩٩٢

يطلب من دار النشر فرانتس شتاينر شتوتكارت

Talātat muṣannafāt

النشرات الإسلامية

أسسها هلموت ريتر

يصدرها

جمعية المستشرقين الألمانية

أولريش هارمان وأريكا كلاسن

جزء ٣٥ ـ قسم أ

طُبع على نفقة وزارة الأبحاث العلمية والتكنولوجية التابعة لالمانيا الاتحادية
بإشراف المعهد الالماني للأبحاث الشرقية في بيروت
في المطبعة الكاثوليكية ش.م.ل. ، بيروت – لبنان

المحتويات

الفهارس

كتاب سِيرَة الأولياء

النشرات الإسلامية ٣٥/أ

ثلاثة مصنفات للحكيم الترمذي

كتاب سيرة الأولياء

جواب المسائل التي سأله أهل سرخس عنها

جواب كتاب من الري

باهتمام
بيرند راتكه

القسم الأول
النصوص العربية

بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م
يطلب من دار النشر فرانتس شتاينر شتوتكارت

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

قال أبو عبدالله محمّد بن علي بن الحسن بن بشر الترمذي رحمه الله : أمّا بعد : فإنّك ذكرت البحث فيا خاضت فيه طائفة من الناس في شأن الولاية ، وسألتَ عن شأن الأولياء ومنازلهم ، وما يلزم من قبولهم ، وهل يعرف الوليّ نفسه أم لا ، وذكرت أنّ ناسًا يقولون إنّ الولاية مجهولة عند أهلها ، ومن حسب نفسه وليًّا فهو بعيد منها .

(٢)

فاعلم أنّ هؤلاء الذين يخوضون في هذا الكلام ليسوا من هذا الأمر في شيء ، إنّما هم قوم يعتبرون شأن الولاية من طريق العلم ويتكلّمون بالمقاييس والظنون وبالتوهّم من تلقاء أنفسهم ، وليسوا بأهل حظوظ من ربّهم ، ولم يبلغوا منازل الولاية ، ولا عرفوا صنع الله بهم ، إنّما كلامهم في الصدق ومعيارهم في الأمور الصدق ، فإذا صاروا إلى المنازل انقطع

---

١) الرحيم : + وبه التوفيق وهو حسبي ربّ يا كريم وتمّم حَ : + وبه نستعين الحمد لله ربّ العالمين ولي الحمد وأهله مَ : + الحمد لله أهله والصلوة على محمد رسوله وآله وصحبه وسلم نَ ٣) قال – الترمذي رحمه الله : قال الإمام أبو عبدالله محمّد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي رحمه الله حَ : قال الشيخ الإمام الأجلّ سلطان العارفين قطب الأئمة أبو عبدالله محمّد بن علي الحكيم الترمذي رضي الله عنه وعن والديه وعن جميع المؤمنين مَ : قال أبو عبدالله محمّد بن علي الترمذي رحمه الله نَ ٤) البحث حَ ، نَ : التحير مَ || خاضت حَ ، مَ : خاض نَ ٥) أم لا حَ : – مَ ، نَ أنّ حَ ، مَ : – نَ ٦) فهو مَ ، نَ : وهو حَ ٨) فاعلم حَ : اعلم مَ : واعلم نَ || الكلام مَ ، نَ : الأمر حَ || من – ١٠) وليسوا : – نَ || من هذا حَ : في هذا مَ ٩) والظنون مَ : – حَ ١٠) حظوظ مَ ، نَ : خصوص حَ || ولم حَ : ولا مَ ، نَ ١١) بهم نَ : لهم مَ : – حَ || الأمور حَ ، مَ : أمور نَ || المنازل نَ : المنن حَ ، مَ

كلامهم عجزًا عن معرفة صُنع الله بالعبد ، لأنّهم قد عجزوا عن معرفته ، فمن عجز عن معرفة الله كان عن معرفة صنائعه أعجز ، فلذلك صار كلامهم كلام جُزافة في العاقبة .

(٣)

والوليّ عندنا على صنفين : صنف أولياء حقّ الله وصنف منهم أولياء الله ، وكلاهما يُنسَبان / إلى أنّهم أولياء الله. ١٥٤ أ

(٤)

فأمّا وليّ حقّ الله : فرجل أفاق من سُكره ، فتاب إلى الله وعزم على الوفاء لله بتلك التوبة ، فنظر إلى ما يراد له من القيام بهذا الوفاء ، فإذا هو حراسة هذه الجوارح السبع : لسانه وسمعه وبصره ويده ورجله وبطنه وفرجه ، فصيّرها من باله ، وجَمَعَ فكرته وهِمّته في هذه الحراسة الجوارحَ ، ولها عن كلّ شيء سواها حتى استقام ، فهو رجل مؤدٍّ للفرائض حافظ للحدود ، لا يشتغل بشيء عن ذلك : يحرس هذه الجوارح حتى لا ينقطع عن الوفاء لله بما عزم عليه ، فسكنت نفسه وهدأت جوارحه .

(٥)

فنظر إلى حاله ، فإذا هو على خطر عظيم لأنّه وجد نفسه بمنزلة شجرة قُطعت أغصانها والشجرة باقية بحالها ، فما يُؤَمِّنُه أن يغفل عنها قليلاً ، فإذا الشجرة قد بدت لها أغصان كما كان بديًّا ، فكلّما قطعها أخرجت مكانها مَثَلاً ، فقصد فصل الشجرة ليقطعها

---

١) عجزًا م : وعجزوا ح ، ن ‖ بالعبد م ، ن : للعبد ح ‖ قد م ، ن : — ح ٢) الله ح ، م : — ن : + تعالى ح ‖ عن ح ، م : — ن ‖ صنائعه ح ، ن : صنائع الله م ‖ فلذلك ح ، م : ولذلك ن ‖ صار ن : يصير ح ، م ‖ كلامهم م ، ن : كلامه ح ‖ كلام ن : — ح ، م ‖ جزافة م ، ن : جزافًا ح ٤) والولي م ، ن : والأولياء ح ‖ على ح ، ن : — م ‖ صنف ح : منهم م : + منهما ن ‖ أولياء ح ، م : — ن ‖ منهم ح ، م : منهما ن ٥) ينسبان م ، ن : يحسبان ح ‖ إلى أنّهم م ، ن : أنهما ح ٧) سكره م ، ن : سكرته ح ‖ الله م : + تعالى ح : + عز وجلّ ن ‖ لله م ، ن : + تعالى ح ‖ بتلك ح ، م : فتلك ن ٨) فنظر ح ، م : فنظروا ن ‖ إلى ح : فيما م : — ن ‖ من م ، ن : في ح ‖ هو م ، ن : هي ح ٩) فصيرها ح ، م : فصرفها ن ‖ وجمع ح : م : وجميع ن ١٠) الجوارح م : — ح ، ن ‖ مؤد م : يؤدي ح : مؤدي ن ١١) للفرائض م : الفرائض ح ، ن ‖ لا ن : ولا ح ، م ‖ عن ن : غير ح ، م ١٢) عن م : — ح ، ن ‖ لله م ، ن : + تعالى ح ‖ هدأت ح ، م : هدت ن ١٦) بديًّا ح ، م : بداءً ن ‖ فكلّما ح ، ن : وكلّما م ‖ أخرجت ح : أخرج م ، ن ‖ مثلاً ح : مثلها م ، ن ‖ فصل ن : قصد م : — ح

من أصلها ليأمن من خروج أغصانها ، فقطعها وظنّ أنّه قد كُفِيَ مؤنتها ، فإذا أصلها قد بدت منه أغصان ، فعرف أنّه لا يخلص من شرّها دون أن يقلعها من أصلها ، فإذا قلعها من أصلها استراح .

(٦)

فلمّا نظر هذا العبد إلى جوارحه قد هدأت التفت إلى باطنه فإذا نفسه محشوّة بشهوات هذه الجوارح ، فقال : إنّما هي شهوة واحدة ، أُبيحَ لي منها بعضها وحُظِرَ عليّ بعضها ، فأنا على خطر عظيم ! أحتاج إلى أن أحرس بصري حتى لا ينظر إلاّ المباح ، فإذا بلغ المحظور عليه غمّض وأعرض ، وكذلك اللسان وجميع الجوارح ، فإن غفلتُ ساعةً عن الحراسة رمَتْ بي إلى أودية المهالك .

فلمّا وقع في هذا الخوف ، ضيّقت المخافة عليه جميع الأمور ، وحجزته عن الخلق وأعجزته عن القيام بكثير من أمر الله ، فصار ممّن يهرب من كلّ أمر عجزًا عنه وخوفًا على جوارحه من نفسه الشهوانيّة .

(٧)

فقال في نفسه : قد اشتغل قلبي بحراسة نفسي في جميع عمري ، فمتى أقدر أن أفكّر في منن الله وصنائعه ؟ ومتى يُطهَّر قلبي من هذه الأدناس ؟ فإنّ أهل اليقين يَصِفون من قلوبهم أمورًا أنا في خُلُوٍّ منها ! فقصد لتطهير الباطن بعد ما استقام له تطهير الظاهر ،

---

١) من ح ، م : — ن ‖ قد ح ، م : — ن ٢) يقلعها ح ، م : يقطعها ن ‖ قلعها ح ، م : قطعها ن ٥) هذا ح : — م ، ن ‖ هدأت ح ، م : هدت ن ‖ التفت ح ، م : ارتقت ن ‖ محشوّة ح ، ن : مشحونة م ‖ بشهوات ح ، م : شهوات ن ٦) هذه ح ، م : بهذه ن ‖ أبيح م ، ن : انتح ح ‖ منها ح ، م : — ن ‖ حظر م ، ن : احظر ح ‖ بعضها ح ، م : بعض ن ٧) إلى م : — ح ، ن ‖ لا ح : — م ، ن ‖ إلاّ ح : الى م ، ن ‖ المباح ح ، م : مباح ن ‖ بلغ ح ، ن : + الى م ٨) وأعرض ح ، م : أو أعرض ن ‖ فإن م ، ن : فاذا ح ٩) رمت م ، ن : رمتني ح ‖ بي م ، ن : — ح ‖ الى ن : في ح ، م ١٠) ضيّقت — الأمور : ضيقت عليه المخافة الأمور ح : ضيقت المخافة عليه الأمور م : ضيقت المخافة جميع الأمور ن ‖ حجزته ح : أحجزته م ، ن ١١) أمر م ، ن : أمور ح ‖ الله م ، ن : + عز وجل ح ‖ فصار — أمر ح ، م : فصار كلّ من يهرب من أمر ن ‖ عجزًا عنه م : اعجزوا منه ح : عجز عنه ن ‖ وخوفًا ح ، م : خوفًا ن ١٤) نفسه ح ، ن : نفسي م ١٦) في م ، ن : — ح ‖ لتطهير م ، ن : ليطهر ح

فعزم على رفض كلّ شهوة في نفسه لهذه الجوارح السبع ممّا أُطلِقَ له أو حُظِر عليه، فقال: إنّما هي شهوة واحدة. مطلق لي في كلّ مكان ومحظور عليّ في كلّ مكان، فلا خلاص لي حتى أميتها من نفسي! وحسب أنّ رفضها إماتتها، فعزم على رفضها، فعلم الله صدق الرفض من عبده وماذا يريد به.

(٨)

فافترقت الإرادة ههنا، فمنهم من صدق الله في رفضه لِيُطَهَّر وليلقى الله بصدقه وطهارته لينال ما وعد الصادقين من ثواب جَهدهم، ومنهم من صدق الله في رفضه ليلقاه بخالص العبودة غدًا فتقرّ عينه بلقائه. ففَتَحَ لهذا الطريق إليه وتَرَكَ الآخر على جهده واقتضاه الصدق يوم لقائه.

(٩)

وأمّا الذي فَتَح له الطريق إليه فهذا الذي ذكره في تنزيله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. الآية. فلمّا فُتح له الطريق إليه وأشرق النور في صدره أصاب رَوْح الطريق. فوجد قوّة على رفض الشهوات. فازداد لها رفضًا وهجرانًا. فزيد له في الرَوح لأنّه كلّمَا رفض شيئًا نال من ربّه عطاءً من رَوح القربة فازداد قوّةً فقوي على الرفض، حتى مهر في الطريق وحذق بصرًا بالسير إلى الله.

---

١) له أو ن: له و م: أو ح ٢) مطلق – مكان م: مطلق لي في مكان ومحظور علي في مكان ح: يطلق لي في مكان ن ٣) لي م: – ح، ن || فعزم على رفضها م، ن: وقصد إماتتها ح ٤) به م، ن: – ح ٦) ههنا م، ن: منها من ههنا ح || ليطهر: + مناه ح || ليلقى الله م: – ح: يلقى ن ٧) ما وعد م، ن: وما وعد الله ح ٨) عبودة م: عبودية ح، ن || غدًا م، ن: عبدًا ح || لهذا ن: هذا ح: له م ٩) واقتضاه ن: واقتضاءه م: واقتضائه ثواب ح || لقائه ح، ن: القيمة م ١١) وأمّا م، ن: فأمّا ح || إليه ح، م: – ن || تنزيله: + تعالى م: + قوله عزّ وجلّ ن ١٢) سبلنا: + وان الله لمع المحسنين ن || الآية م: – ح، ن || له: + هذا ح || وأشرق م، ن: أشرق ح || أصاب: فأصاب ح: وأصاب م: أضاءت ن ١٣) رفض ح، م: الرفض ن || لها م: – ح، ن || وهجرانًا: + لها ن || له ح، م: – ن ١٤) فقوى ح، م: يقوى ن ١٥) مهر ح، م: يمهد ن || بصرًا ح، م: بصيرًا ن || الله: + تعالى ح

....

١١) – ١٢) القرآن الكريم ٢٩/٦٩

(١٠)

فعلم أنّه إذا رفض شهوة الأكل ينبغي له أن يرفض شهوة الشراب ، فإذا رفضها ينبغي له أن يرفض شهوة اللباس ، فإذا رفض هذه الأشياء رفض شهوة السمع والبصر واللسان واليد والرجل ، ولا ينطق إلاّ بما لا بدّ له منه ، ولا يستمع إلاّ إلى ما لا بدّ له منه . ولا يمشي إلاّ إلى ما لا بدّ له ، ولا ينظر إلاّ إلى ما لا بدّ له منه ، ويلزم العزلة حسمًا لهذه الأبواب وإماتةً لهذه الشهوات ، فازداد قربةً إلى ربّه ، وأصاب قوّة رَوح القربة وعَظُم أمله وانبسط قلبه وانشرح صدره ، فالخطر العظيم ههنا ، فمِن بين معصوم ومخذول ! وذلك أنّ مَن زلّت قدمه في هذا الطريق فمِن ههنا زلّت ومِن ههنا خُذِل ، فأحذّرك هذا الباب !

(١١)

قال له قائل : وكيف ذلك؟

قال : من أجل أنّه لمّا علمت نفسه أنوار العطاء في قلبه واتّسع قلبه وانشرح صدره فرحت نفسه بخروجها من تلك المضايق إلى فسحة التوحيد ، فترك العزلة لهذه الجوارح وأخذ ينطق بما فُتح له سن شأن هذا الطريق وممّا تراءى له من الحِكَم والفوائد وعلم الطريق . وخالط الناس على ذلك فأُكرِمَ وبُجِّلَ ، فقبل إكرامهم وتبجيلهم ، ثمّ أُعطيَ على ذلك فقبل نوالهم : خدعتْه نفسه وانخدع لها ، وموّهت عليه وقبل عنها تمويهها وانبثقت عليه الدنيا عَفْوًا لا صفوًا .

---

٤) بد له منه م: بدّ له ح: بدّ منه ن ‖ يستمع م، ن: يسمع ح ‖ إلى م، ن: — ح ‖ له منه م: منه ن: بما لا بد ح ٥) ولا يمشي — منه م: ولا ينظر إلاّ بما لا بدّ له ولا يمشي إلاّ بما لا بد منه ح: ولا يمشي إلاّ إلى ما لا بدّ منه ن ‖ يلزم ح: لزم م: لم ن ‖ حسمًا ح، م: حما ن ٦) إماتة م، ن: امات ح ‖ قربة م، ن: قربًا ح ‖ إلى ربّه م، ن: — ح ‖ وأصاب م: وأصأت ن: — ح ‖ قوة — ٧) صدره م، ن: — ح ٨) ومن — خذل ح، م: — ن ١١) ذلك ح: ذاك م، ن ١٢) قال ن: قال له ح: قال رضي الله عنه م ‖ علمت نفسه ن: عملت ح، م ١٣) بخروجها: بخروجه ح، ن: بخروج م ‖ تلك ح، م: — ن ‖ فسحة ح، م: محبة ن هذه م، ن: بهذه ح ١٤) فتح: + الله ح ‖ هذا م، ن: هذه ح ‖ تراءى له ح، م: رىت اىا ن ١٦) عنها م: — ح، ن ١٧) انبثقت م: انبعث ح: انبعثت ن

(١٢)

فوثب هذا الأسد المتماوت وثبةً من بين جنبيه فركب عنقه . وذلك لمّا أصاب تلك اللذّات التي كانت زالت بالفطام عنها انغطّ فيها ، فصارت بمنزلة السمكة التي قد انفلتت من الشبكة ، وهي أشدّ غوصًا في الماء واضطرابًا فيه لا تأمن على نفسها أن تُؤخَذ ، فصارت النفس كذلك منفلتةً من شبكة صاحبها ، فهي أشدّ وأصعب من أن يُظفَر بها ، فاحذر هذا الباب ! فإنّي رأيت وعاينت كلّ من فسد طريقه وأدبر ناكصًا على / عقبيه ، ١٥٤ ب
فمن ههنا سقط وزلّت قدمه .

فلم يزالوا في ذلّ وصغار ، قد نفتهم قلوب الصادقين ومقتهم جمهور العلماء ، وذلك أنّهم هُرّاب متصنّعون ، لا هُمْ يتوبون من هذا الأمر ويتطَهّرون ويُصَحّحون ويستقيمون في سيرهم إلى الله . ولا تسمح نفوسهم بأن يصبروا على عمل الأركان لأنّ فيه مغمّة وضيقًا . وقد كانوا أصابوا الرَوح والسعة ، فلا قلوبهم مشغولة بحقّ الله ، ولا أبدانهم بعبادة الله . قد عطّلوا الأركان عن العبادة وعطّلوا القلوب عن السير إلى الله وقطع مسافة المنازل ، فصاروا ضحكة الشياطين ومذمّة العارفين وبَرَم القلوب ، وثقلاً على الفؤاد ، يسيحون في البلدان ويخدعون الضعفاء والجهّال والنساء عن دنياهم ، ويتأكّلون بما يُبدون من الهدوء والسمت الحسن وكلام الرجال ، تراهم الشهر والدهر في الاحتيال

---

٢) من بين جنبيه مَ : من جنبيه حَ : من حشيته نَ ٣) انغطّ فيها : انغطّ حَ ، نَ : انبسط فيها مَ ‖ قد مَ ، نَ : — حَ ٤) في الماء مَ : — حَ ، نَ ‖ فيه مَ : — حَ ، نَ ٥) فصارت حَ ، مَ : وصارت نَ ‖ منفلتة حَ ، مَ : منقلبة نَ ‖ شبكة حَ ، مَ : مشبكة نَ ‖ يظفر حَ ، مَ : يفطم نَ ٦) فسد مَ : أفسد حَ ، نَ ‖ وأدبر حَ : فأدبر مَ ، نَ ٨) صغار مَ ، نَ : صغائر حَ ‖ مقتهم مَ : مقتتهم حَ ، نَ ‖ العلماء حَ ، مَ : العامة نَ ٩) لا هم حَ ، مَ : — نَ ‖ يصححون مَ ، نَ : يصحون حَ ١٠) سيرهم حَ ، مَ : عثرهم نَ ‖ الى — نفوسهم مَ ، نَ : — حَ ‖ يصبروا على مَ : يصبروا إلى حَ ، نَ ‖ مغمة مَ ، نَ : مشقة حَ ١١) فلا — الله حَ ، مَ : فلا قلوبهم مشغولة بعبادة الله نَ ١٢) الله : + عزّ وجلّ حَ ١٣) الشياطين مَ ، نَ : للشيطان حَ ‖ ومذمّة العارفين مَ : — حَ ، نَ ‖ برم حَ ، مَ : بر في نَ ١٤) يخدعون مَ ، نَ : يختدعون حَ ‖ والجهّال حَ : من الجهّال مَ ، نَ ‖ يتأكلون مَ ، نَ : يأكلون حَ ١٥) الهدوء حَ ، مَ : الزهد نَ ‖ الحسن حَ ، مَ : — نَ ‖ الشهر والدهر مَ ، نَ : الدهر والشهر حَ

---

٢) من بين جنبيه : قارن مخطوطة ليبزيج ٢١٢ ، ورقة ١٣٩آ ، ٦ : ووضع ... الشهوة في جوفه والهوى أسفل منها في الجنبين . وقارن طبقات ابن سعد ١٢٤/١/٧ ، ١٢ : قال ... ليس بين جنبيٍّ مثل قلب الحسن

والاصطياد. ويُجرُون المنافع بالرُقَى ويباشرون الأعمال على المنى ويتخيّرون الأحوال على العمى.

(١٣)

فالكيّس مَن أدركه التوفيق من ربّه فثبت ههنا عندما جاشت الحِكَم في قلبه، وراودته نفسه على مخالطة الخلق: تزعم له بخدعتها أنّه قد أصاب من القوّة ما يباشر هذه الأمور. فلا يرجع بعقله عليها فيقول: كيف آمن منك على أمر وأنتِ معروفة بالخيانة ومَعَكِ آلات الخيانة. وهل تَدَّعِين شهواتكِ وتسخين عليّ حتى لا أقضي وطرها ومنيتها؟ وأيّده الله وثبّت ركنه، وعزم على تجنّب هذه الشهوات كلّها ما ظهر منها وما بطن، حتى إذا مرّ في عزمه فاستفرغه وبلغ الغاية من ذلك ظنّ أنّه قد أماتها، فإذا هي بمكانها، وذلك أنّه بلغ الغاية من رفض شهوات الدنيا. وبقيت لذّات الطاعات، والنفس حيّة بمكانها.

(١٤)

فمن ههنا زلّت أقدام طائفة منهم، فقالوا في أنفسهم: نقعد فرّاغًا؟ هكذا نبطّل أعمارنا في القعود معطّلين! بل نتكمّش في أعمال البرّ! فكلّما زدنا منه ازددنا به قربةً الى الله!

فيقال لهم: هذا الداء الدفين فيكم وأنتم به جاهلون! متى وجدتْ نفسك لذّة

---

١) على المنى ح. ن: بالمنى م ‖ الأحوال م: الأعمال ح: للأعمال ن ٢) العمى م، ن: الغيّ ح ٤) من م: — ح. ن ‖ من ربّه م. ن: من الله عزّ وجلّ ن ‖ ههنا ح. ن: — م ‖ قلبه م، ن: صدره ح ٥) وراودته — الخلق ح: وراودته نفسه عن مخالطة الخلق م: وراودته عن نفسه عن مخالطة الخلق ن ‖ له م. ن: — ح ‖ بخدعتها ح. م: بخدعها ن ‖ هذه — ٦) الأمور م. ن: هذا الأمر ح ٦) آمن منك على أمر ن: آمنك على أمور ح. م ‖ معروفة م. ن: معروف ح ٧) ومعك — الخيانة م: ومعك آلة الخيانة ح: ومعد إلا الخيانة ن ‖ وهل تدعين م: ومتى تدعى ح: وهل تدعى ن ‖ وتسخين: وتسخوا م، ن ‖ وتسخين — منيتها م. ن: ويعزم على ألا يقضي شهواتها ح ٨) الله: + تعالى ح ‖ تجنّب ح، م: رفض ن ‖ الشهوات ح، ن: لجوارح م ٩) فاستفرغه ح. م: واستفرغه ن ١٠) وذلك — ١١) بمكانها ح، م: — ن ‖ من رفض م: في روض ح ١٣) أنفسهم م: نفوسهم ح. ن ‖ نقعد ح: فيقعد م: نفعل ن ١٤) أعمارنا م: أعمالنا ح. ن ‖ نتكمش م: نتكمس ن: تغمش ح ‖ منه م، ن: — ح ١٥) الله: + تعالى ح: + عزّ وجلّ ن ١٦) وجدت ح: أوجدت م. ن

الطاعات وحلاوتها فإنّما تُوجِدُها حتى تصير مفتونًا بالطاعة ، أما بلغك الخبر عن جُرَيج الراهب حيث نادته أمّه وهو في الصلاة فآثر الصلاة على إجابتها فلقي ما لقي من البلاء ، فهكذا تكون فتنة الطاعة . فهل تكون الفتنة إلاّ من وجود النفس لذّة شيء؟ وكيف يطمع قلب أن يصل إلى الله مع شهوة نفس؟ فإنّ شهوة النفس هي الدنيا ، فيطمع أن يصير إلى الله مع الدنيا ! إنّ هذا لحمق ، والجهل قد يبلغ بصاحبه المفتون منازل الحَمْقَى .

(١٥)

ويقال لهذا المفتون بمثل هذا القول : متى تتخلّص من لحظات نفسك إلى جهدك وأعمال برّك حتى لا تكون معتمدًا عليه؟ والمعتمد على عمله متى يفلح؟ وهذا الرسول ﷺ يقول : إنّه ليس أحد منكم ينجيه عمله . قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : ولا أنا ، إلاّ أن يتغمّدني الله برحمته !

(١٦)

قال له قائل : فما يصنع إن لم يُعمل نفسه في الطاعات؟

قال : يؤدّي الفرائض ويحفظ الحدود ، فليس في هذا من الشغل إن قام به ما يُعجزه عن سائر الأشياء ، وأيّة عبودة أشرف من هذا؟ وهل ألزم الله العباد إلاّ هذا؟

---

١) الطاعات ح ، م : الطاعة ن ‖ فإنما – بالطاعة م : فإنّما تحنها حتى تصير ح : فإنّما يحييها حتى يصير مفتونًا بالطاعة ن : + فتأمّل هذا المكان فانّ فيه مسرحًا من مسارح النفس ومصيدة من مصايد الشيطان وأعوذ بالله ممّن يصير مفتونًا بالطاعة ح ‖ أما م ، ن : أو ما ح ‖ جريج م ، ن : جرير ح ٢) فآثر ح ، م : فأثاب ن ٣) فهكذا ح ، م : فكذا ن ‖ الفتنة ح ، ن : فتنة الطاعة م ‖ من م ، ن : – ح ‖ شيء ح ، م : الشيء ن ٤) قلب م : قلبك ح : – ن ‖ الله : + تعالى ح ‖ نفس ح ، م : النفس ن ‖ هي م ، ن : – ح ‖ الدنيا ح : دنياه م ، ن ‖ فيطمع – ٥) الدنيا م : – ح ، ن ٥) لحمق ح ، ن : الحمق م ‖ المفتون ن : – ح ، م ٨) ويقال – القول م : ويقال لمثل هذا المفتون بمثل هذا القول ح : ويقال له المفتون قبل هذا القول ن ‖ من ح ، م : عن ن ٩) وهذا م ، ن : – ح ١٠) انه ح ، م : – ن ‖ قالوا – قال ح ، م : – ن ١٣) إن لم م ، ن : اذا ح ١٤) من م ، ن : – ح ‖ قام به خ ، ن : أقام بها م ‖ ما م ، ن : ان ح ‖ يعجزه ح : يعجز م ، ن ١٥) أية م : أي ح ، ن ‖ عبودة م ، ن : عبادة ح

....

١) – ٢) مسند أحمد بن حنبل ٢ . ٣٠٧ – ٣٠٨

١٠) – ١١) المعجم المفهرس ٦ . ٣٦٥ ب

قال له قائل : وهل يضُرّ إن هو اشتغل بهذه الطاعات؟

قال : وأيّ ضرر بأكثر من سائرٍ إلى الله واقفٍ على بعض عبيده أو شيء من خلقه يلتذّ به؟ أليست لذّته ممّا يُوقِفُه عن السير؟

أرأيتَ لو أنّ أمير المؤمنين دعا بعض قوّاده ليقرّبه ويخلع عليه ويُجيزه ويولّيه ، فسار إليه هذا القائد . فلمّا بلغ بعض الطريق عمد إلى موضعٍ نزهٍ حلي بصدره لنزاهته ، فأخذ يبني له هناك قصرًا . هل يقع ذلك من أمير المؤمنين بالموافقة؟ واحتجّ بأن قال : أبني له هذا القصر لأتقرّب به إليه ! أليس هذا عند أهل العقل من الحمق؟ وما خطر هذا القصر عند أمير المؤمنين . وأين هذا من ملكه؟ إنّمَا دعاك ليقرّبك ويظهر مكنون ما عنده لك – وما اشتغالك بهذا؟ قال : لأزداد به عنده قربةً فسمع أمير المؤمنين بهذا فازدرى به فقال : حسب هذا أنّي إنّمَا دعَوتُه لأقرّبه بما سلف منه إليَّ؟ ووجد عليه من ذلك وقال : اكتساب الجاد عندي بأن تسير إليّ عندما بلغك الخبر وبلغتك دعوتي سيرًا لا تعرج يمينًا ولا شمالاً تعظيمًا لدعوتي . فبهذا كنت تصير إلى الجاه عندي وتنال محلّ القربة منّي . لا باشتغالك ببناء القصور لي ! فإذا كانت هذه المعاملة فيمَا بين العبيد في الدنيا هكذا فكيف بمعاملتك ربّ العزّة على هذا السبيل؟

(١٧)

إنّ الله تبارك وتعالى اسمه دعا العباد فقال : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ .

١) يضر مَ . نَ : يضره حَ ٢) وأي مَ . نَ : فأي حَ ٣) أليست مَ . نَ : أوليست حَ ‖ لذّته حَ ، مَ : له نَ ‖ السير حَ . مَ : انبشر نَ ٤) دعا مَ . نَ : دعى حَ ‖ ويجيزه مَ : ونحنوه حَ : ويجزيه نَ ‖ ويوليه مَ : – حَ : ويوله نَ ٥) بلغ مَ . نَ : + إلى حَ ‖ حلي حَ ، مَ : خلا نَ ‖ بصدره مَ . نَ : لصدره حَ ‖ لنزاهته مَ . نَ : نباهته حَ ٦) من حَ . نَ : عن مَ ‖ له مَ : – حَ . نَ ٩) به حَ ، مَ : – نَ ‖ بهذا مَ ، نَ : بذلك حَ ١٠) فازدرى حَ . مَ : فان را نَ ‖ به مَ . نَ : عقله حَ ‖ انّي نَ : – حَ ، مَ ١١) وقال حَ ، مَ : فقال نَ ‖ بأن مَ : أن حَ : باب نَ ‖ بلغك مَ ، نَ : بلغتك حَ ‖ الخبر مَ : – حَ ، نَ ‖ وبلغتك حَ ، مَ : وبلغك نَ ‖ سيرً – ١٢) عندي مَ . نَ : – حَ ‖ سيرًا مَ : سر نَ ‖ لا مَ : الا نَ ‖ تعرج مَ : نعحر نَ ‖ لا مَ : – نَ ‖ كنت نَ : كان مَ ‖ تصير إلى نَ : تصير لك مَ ‖ محلّ حَ ، نَ : محال مَ ١٣) مني مَ : – حَ ، نَ ‖ القصور مَ : القصر حَ . نَ ‖ فيما – العبيد حَ . مَ : تقرب العبيد نَ ١٦) اسمه مَ : – حَ . نَ ‖ دعا مَ : ادعى حَ : دعى نَ

١٦ – ١٧) القرآن الكريم ٨/٢٤

فأجابته طائفة بأن آمنوا به وخلّطوا في أعمال الأركان ، فقيل لهم : لكم بما أجبتم حياة القلب توحيدًا .

ثم تقدّمت طائفة أخرى أمام هذه الطائفة فأخلصوا العمل لله وتطهّروا من التخليط ، فقيل لهم : لكم بما أجبتم حياة الأركان طاعةً وتسليمًا .

ثم تقدّمت طائفة أخرى أمامها فأخلصوا القلب وتطهّروا من شهوات النفس وأعمال الهوى ، وقيل لهم : لكم بما أجبتم حياة النفوس الشهوانيّة ، أخلِصوا انقيادًا لما يأتي به القلبَ ويُورِدُه عليه / من اليقين. ١٥٥ أ

ثم تقدّمت طائفة أخرى أمامها بمراقبة الحقّ ، فقيل لهم : لكم بما أجبتم حياة القلوب والنفوس جميعًا بقرب الله.

ثم تقدّمت طائفة أخرى أمامها هم الكبراء بملاحظة الربّ ومشاهدة الحُكم ، فقيل لهم : لكم بما أجبتم حياة القلوب والنفوس جميعًا بالله تعالى .

فهؤلاء خمس طبقات ، كلّ طبقة إنّما تُعطَى من هذه الحياة التي وعد الله بها على قدر استجابتها لدعوته .

(١٨)

فإنّ موت القلب من شهوات النفس ، فكلّما رفض شهوة نال من الحياة بقسطه ، فيقال لهذا السائر إلى الله تعالى : إنّك لن تنال الوصول إليه ومعك مشيئة لنفسك دقّ أو جلّ ، ومشيئتك لنفسك الوصولَ إليه من أعظم المشيئات ، فأنت باقٍ إلى أن ترفض هذا

---

١) ثم حَ ، مَ : — نَ || أجبتم حَ ، مَ : اوجبتم نَ ٢) القلب مَ : القلوب حَ ، نَ ٣) لله حَ : — مَ ، نَ ٤) ثم حَ ، مَ : — نَ || أجبتم حَ ، مَ : أوجبتم نَ ٥) القلب مَ : القلوب حَ ، نَ ٦) لهم حَ ، مَ : — نَ || أجبتم حَ ، مَ : أوجبتم نَ || أخلصوا : خلصوا مَ : — حَ ، نَ ٨) بمراقبة الحق مَ : تقرب إليه حَ : — نَ || لهم حَ ، مَ : — نَ ٩) النفوس مَ ، نَ : باليقين حَ || بقرب الله مَ ، نَ : — حَ ١٠) ثم — ١١) تعالى مَ : — حَ : ثم تقدمت طائفة أخرى أمامها فقيل لكم بما أوجبتم حيوة القلوب والنفوس جميعًا بالله نَ ١٢) فهؤلاء خمس مَ ، نَ : فهو أربع حَ || بها حَ : — مَ ، نَ ١٣) استجابتها مَ ، نَ : استجابته حَ ١٥) فإنّ حَ ، مَ : فإنّما نَ || القلب نَ : القلوب حَ ، مَ || شهوات حَ ، مَ : شهوة نَ || رفض حَ ، مَ : زال من نَ ١٦) السائر حَ ، مَ : السايل نَ || تعالى مَ : عزّ وجلّ حَ ، نَ || تنال حَ ، نَ : تنالوا مَ || دق أو جلّ مَ ، نَ : — حَ ١٧) ومشيئتك لنفسك مَ ، نَ : — حَ || إلى أن مَ : حتى حَ ، نَ

كلّه . فإنّما تباين أحوال الأولياء ، فبُعد البَون ههنا من أجل مشيئة الوصول إليه والنظر إلى جهده ، وسأبيّن ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

(١٩)

فالطبقة الأولى سارت قليلاً ، فلمّا وجدت رَوح القربة ظنّت أنّها قد أصابت القربة كلّها : فتبجبحت في شهوات النفس من الضيافات واتّخاذ الإخوان وبقبقة لذّة الكلام خاليًا ممّا يأتي به ، حتى استولى على رياسة في قرية أو ناحية من النواحي في طائفة من هؤلاء الزَّمْنى من بين جهّال وفتيان ونساء ، واستطاب طمح تلك الأبصار إليه وتعظيمهم له وبِرّهم به ، فهذا ثمرة سيره ، فظاهره تخليط وباطنه مزبلة ، فهذا قتيل هذا الطريق .

(٢٠)

والطبقة الثانية سارت قليلاً ، ثم عرجت على الطاعات ، يلتذّ بها حتى أدّته إلى العبادة الظاهرة فبقي معها ، ففي نفسه مكامن الفتن كالسيل والليل مثل التعظيم لأمره والإعجاب بنفسه والكبر والتيه والنخوة والتصنّع والمداهنة والطمأنينة إلى قبول الناس له ورضاهم بمذهبه ، وأُذنه مصغية إلى ثنائهم عليه ، والفرح بمدحهم له وخوف سقوط منزلته عندهم لازم لقلبه ، يتراءى لهذا ويعتذر إلى هذا ويتملّق لهذا ، عامّة أمره على الحِيَل والمخادعة ، يبقى على أحواله التي هي نزهة نفسه ، فإن ذكر الآخرة وشدائدها ادّكر أعماله التي يُعمل أركانه بها جهدًا ، فطابت نفسه ، فهل تطيب نفسه إلاّ من ركونه

---

١) البون ح ، م : النور ن ‖ اليه ح ، م : اليهم ن ٢) جهده ح ، م : جهدهم ن ‖ ذلك ح ، ن : لك م ‖ تعالى م ، ن : — ح ٤) فالطبقة م ، ن : الطبقة ح ‖ ظنّت م ، ن : ظنّ ح ‖ القربة م : القوّة ح ، ن ٥) فتبجبحت م ، ن : فتبجبح ح ‖ النفس ح ، م : النفوس ن ‖ وبقبقة ح ، م : وبقبقت ن ‖ لذّة الكلام م : + وسعت لذة الكلام ح : الكلام ن ٦) حتى ح ، م : — ن ‖ رياسة ح ، م : راسه ن ‖ في م : أو في ح ، ن ٧) من بين م : بين ح : من سن ن ٨) وبرّهم ح : وبرمهم م : ذلك مم به ن ‖ فهذا م ، ن : فهذه ح ‖ ثمرة سيره ح ، م : عزه يسيره ن ‖ فظاهره ح ، م : في ظاهره ن ١١) والطبقة م ، ن : الطبقة ح ١٢) ففي م ، ن : وفي ح ١٣) والطمأنينة ح ، م : — ن ‖ له ح : — م ، ن ١٤) ورضاهم بمذهبه ح ، م : ورضاهم ورضاهم مذهبه ن ‖ مصغية ح : مصيغة م ، ن ‖ ثنائهم م : ثناء الناس ح ، ن ‖ وخوف سقوط ح ، ن : والخوف عن سقوط م ١٥) إلى هذا م ، ن : — ح ‖ لهذا ح ، م : فهذا ن ١٦) يبقى م : تبقيًا ح : بقيا ن ‖ ذكر ح ، م : ذكره ن ١٧) ادكر ح ، م : ذكره ن ‖ جهدًا ح ، م : جدا ن

إليها؟ فمتى عرف هذا ربّه حيث يطمئنّ إلى أعمال خرجت من أركان دنسة وقلب كدر وإيمان سقيم؟

(٢١)

فالكيّس إن فُتح له الطريق سار إلى الله، لا يعرّج يمينًا ولا شمالاً، فعَفّ عن شهوات المعاصي. ثم عفّ عن شهوات الحلال كما عفّ عن شهوات الحرام، ثم عفّ عن شهوات الطاعات وتحيّر الأحوال كما عفّ عن الحرام. ثم عفّ عن كلّ مشيئة خطرت بباله كما عفّ عن هذه الأشياء. يقول في نفسه: إنّ حجابي بيني وبين ربّي نفسي. فما دامت معي مشيئة واحدة فنفسي قائمة بين يديّ تحجبني عن ربّي!

(٢٢)

فهذا عبد مسدّد موفّق. فما زالت به أمواج المجاهدة ترفعه وتخفضه، فكلّما وجد من عمل لذّةً تركه وتحوّل إلى غيره حتى ملّ وأُجهدَ فرفض العمل كلّه وقعد حارسًا لقلبه من لصوصيّة هذه النفس.

قال له قائل: وكيف يحرسه وما لصوصيّتها؟

قال: إنّ الصدر ساحة القلب والنفس، فللقلب في هذه الساحة باب وللنفس باب، فإذا حلّ العطاء من الله في الصدر – فإنّما هو للقلب – ثارت النفس لتأخذ منه نصيبًا لحلاوة العطاء، استفزّت بصاحبها، أي: استخفّت، فإنّما قعد حارسًا للقلب لئلاّ تأخذ النفس نصيبها. فإن أخذت بغلبتها نصيبها لم يقدر الحارس منها على منعها، فإذا أرادت أن تُعمِل الأركان بعمل من أعمال البرّ بما أصابت من العطاء منعها العمل.

---

١) فمتى مَ. نَ: متى حَ ٤) فالكيّس مَ. نَ: والكيّس حَ ‖ إن مَ: – حَ. نَ ‖ سار: فسار حَ، مَ: وسار نَ ‖ الله مَ. نَ: + تعالى حَ ٧) خطرت بباله مَ. نَ: – حَ ‖ بيني حَ، مَ: وبيني نَ ١٠) تخفضه مَ: تخفظه حَ. نَ ١١) عمل حَ. مَ: عمله نَ ‖ تركه: فارقه حَ. نَ: فتركه مَ ‖ أجهد حَ، مَ: اجتهد نَ ١٢) هذه حَ. مَ: هذا نَ ١٣) لصوصيتها مَ: لصوصيّة النفس حَ. نَ ١٤) القلب والنفس مَ: النفس والقلب حَ: القلب نَ ‖ فللقلب حَ، مَ: وللقلب نَ ١٥) حلّ مَ. نَ: دخل حَ ‖ فإنّما – للقلب حَ. مَ: – نَ ‖ ثارت – (١٦) العطاء حَ. مَ: – نَ ‖ ثارت مَ: وثارت حَ ‖ منه: منها مَ: – حَ ١٦) استفزّت – استخفّت مَ: – حَ. نَ ‖ فإنّما – ١٧) نصيبها مَ. نَ: – حَ ‖ نصيبها مَ: نصيبًا نَ ‖ الحارس مَ. نَ: الحارثين حَ (تحريف) ‖ منها مَ: – حَ. نَ ١٨) الأركان بعمل مَ، حَ: – نَ ‖ بما حَ، نَ: مما مَ ‖ من العطاء حَ. مَ: من الحظ من نَ ‖ منعها العمل مَ: منعها من العمل حَ: منعها القصد نَ

(٢٣)

فهذا موضع الزلّة إذا عمل وتابع هواها، فالجاهل بهذا الطريق لمّا أصابت النفس حلاوة العطاء استفزّت بصاحبها، فدعته إلى عمل الأركان فهي خائنة لِمَا فيها من الشهوات، فإن تركها صاحبها وما استفزّت له أفسدت نصيبها من العطاء بشهواتها، فهذا الحارس لهذا الطريق إن أمعن في الحراسة وصدق الله في ذلك فقد اشتغل بغاية الشغل فكيف يصل إلى عمال الأركان؟ أليس عمل الأركان عندما وُصِفَتْ بَطّالةً؟ فلا تعبأنّ بهؤلاء البطّالين ولا يغرّنّك تماوتهم وتسمّتهم، فإنّ عامّتهم هرّاب عبيد أبّاق متأكّلة.

(٢٤)

فما زال ذلك دأب هذا الصادق في سيره إلى الله: يمنع نفسه لذّة الحرام ولذّة الحلال ولذّة الطاعات ولذّة العطاء. ومع ذلك يجاهد نفسه في تصفية الأخلاق الدنيّة مثل الشحّ والرغبة والترفه والجفوة والحقد وأشباه ذلك. فإنّ الشحّ والرغبة من قدر الشيء والحقد والجفوة من قدر النفس.

فهو دائب في هذا السير، فأيّة عبادة تفوق هذا؟ حتى إذا استفرغ مجهوده من الصدق فلم يبق للحقّ قبله اقتضاء التفت إلى نفسه فوجدها كما كانت بديًّا، فيها تلك الهِنات موجودة.

---

٢) الزنّة مَ، نَ: الدلالة حَ || اذا – هواها حَ، مَ: – نَ ٣) استفزّت بصاحبها نَ: استفزّت به حَ: استفزت مَ || فدعته – ٤) صاحبها مَ، نَ: – حَ || فهي مَ: وهي نَ ٤) له مَ: به حَ: – نَ || بشهواتها حَ، مَ: له شهواتها نَ ٥) الطريق حَ، مَ: – نَ ٦) عندما وصفت مَ: عندما وصفناه حَ: عندما وضعت نَ ٧) البطّالين حَ، نَ: البطاطين مَ || تسمتهم حَ، مَ: تمشيتهم نَ || عبيد حَ، مَ: وعبيد نَ ٩) ذلك مَ، نَ: – حَ || هذا حَ، نَ: هذه مَ || الصادق حَ، مَ، نَ: المفتون بهامش مَ || الله مَ، نَ: + تعالى حَ ١١) والترفه مَ: – حَ، نَ والجفوة – ذلك مَ: والمذمة والجفوة والحقد وأشباه ذلك ن: – حَ || فإن – الشيء مَ، نَ: – حَ ١٣) هذا السير حَ، نَ: السير مَ || فأية مَ: فأي حَ، نَ || اذا حَ: حين نَ: – مَ || من حَ، مَ: ومن نَ ١٤) للحق حَ: – مَ، نَ || قبله حَ، نَ: – مَ || كما مَ، نَ: كلما حَ ١٥) الهنات: الهيات حَ، نَ: الهيأة مَ

(٢٥)

قال له قائل : وما تلك الهِنات؟

قال : الفرح بالأحوال والطلب للمنازل العليّة عند الله ، ومع هذا يفرح بالأحوال عند الخلق ويطلب عندهم تلك المنازل ، في مكامن نفسه سِرًّا من صاحبه وركونًا إلى الحياة وتنسّمًا لرَوحها ولقاء الإخوان والنظر في المواضع التي هي مظانّ مكامن النفس من بقاع الأرض ، بمنزلة سمكة يريد صاحبها أن يميتها فألقاها على تراب ، فهي تضطرب فيه قد أزف منها الموت ، ثم أشفق عليها صاحبها فيغطّها في الماء غطًّا ، ثم يرمي بها الى اليبس ، ثم لمّا أزف منها الموت رشّ عليها الماء فأحياها ، فهذا لعب من صاحبها بها .

(٢٦)

فلمّا استفرغ هذا الصادق مجهوده في الصدق في سيره على ما وصفتُ ، فوجدها حيّة معها هذه الهنات تحيّر فانقطع صدقه .

فقال : كيف لي بأن أُخرِجَ من نفسي حلاوة هذه الأشياء؟ فعلم أنّه لا يقدر على ذلك / كما لا يقدر أن يبيّض الشعرة السوداء. ١٥٥ ب

(٢٧)

وقال : إنّ هذه نفس قد أوثقتها بالصدق منّي لله ، فكيف لي بها أن آخذ وثاقها؟

---

٢) الهنات : الهيات حَ ، نَ : الهيأة مَ ٣) والطلب – هذا مَ ، نَ : – حَ ‖ يفرح مَ : الفرح نَ : – حَ ‖ بالأحوال مَ ، نَ : – حَ ٤) تلك المنازل مَ : تلك المنزلة حَ : المنازل نَ ٥) والنظر مَ ، نَ : في النظر حَ ‖ هي مَ ، نَ : – حَ ‖ مظانّ – ٦) بقاع حَ ، مَ : مضمأن النفس في بقاع نَ ٦) تراب مَ ، نَ : التراب حَ ‖ فهي مَ ، نَ : وهي حَ ٧) أشفق مَ : يشفق حَ : شفق نَ ‖ فيغطها – غطًا مَ ، نَ : فتغمسها في الماء غمسًا حَ ‖ يرمي مَ ، نَ : يرم حَ ٨) فأحياها حَ ، مَ : أحياها نَ ‖ بها مَ ، نَ : – حَ ١٠) فوجدها مَ : ووجدها حَ ، نَ ١١) معها حَ ، نَ : – مَ ‖ الهنات نَ : الصفات حَ : الهيأة مَ ‖ فانقطع مَ ، نَ : وانقطع حَ ١٢) فقال نَ : وقال حَ ، مَ ‖ بأن مَ ، نَ : أن حَ ١٣) أن حَ ، مَ : – نَ ١٥) نفس مَ ، نَ : نفسي حَ ‖ مني لله حَ ، مَ : من الله نَ ‖ فكيف – أن مَ : وكيف بها أن حَ : فكيف لي أن نَ ‖ آخذ مَ ، نَ : حللت حَ

فانبثقت عليّ وهربت منّي ، متى ألحقها ؟ فوقع في مفاوز الحيرة ، فاستوحش وبقي وحيدًا في خلاء تلك المفاوز ، لأنّه ذهب أنس النفس ولم ينل أنس الخالق .

(٢٨)

فحينئذ صار مضطرًّا حيران لا يدري أيُقبل أم يُدبر ، فصرخ إلى الله آيسًا من صدقه ، صفر اليدين خالي القلب من كلّ جهده ، وقال في نجواه : قد تعلم يا عالم الخفيّات أنّه لم يبق لعلمي بالصدق موضع قدم أتخطّى إليه ، ولا لي مقدرة على محو هذه الشهوات الدنسة من نفسي وقلبي ، فأغثني !

(٢٩)

فأدركته الرحمة ، فرُحِمَ ، فطِير بقلبه من مكانه الذي انقطع فيه صدقه في لحظة ، فوقف به في محلّ القربة عند ذي العرش ، فوجد رَوح القربة ونسيمها وتبحبح في فضائها وهي ساحات التوحيد ، وذلك قوله : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ، وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ، أَإِلَٰهٌ مَعَ اللهِ ﴾ ، ينبئك في هذه الآية أنّ وَلَهَ قلبك إلى صدق نفسك وجهدك لا يكشف السوء عنك ، ولا يجيبك إلى ما دعوتَه حتى تخلص دعوتَك ووَلَهَ قلبك إلى الله الذي أولَهَ القلوب مضطرّةً إليه .

(٣٠)

فالمضطرّ الذي قد انقطع زاده وحمولته وبقي متحيّرًا في المفاوز لا يهتدي لطريق فهو

---

١) فانبثقت : فاسقت ح : فانبثق م : — ن ‖ هربت ح : هرب م ، ن ‖ متى م ، ن : — ح ٢) خلاء ن : خلال م : — ح ‖ المفاوز م ، ن : المفازة ح ‖ ذهب م ، ن : قد ذهب ح ‖ الخالق ح ، ن : الخلق م ٤) مضطرًّا م ، ن : مطتطرًا ح ‖ حيران م : — ح ، ن ‖ أيقبل م ، ن : يقبل ح ‖ آيسًا م ، ن : يائسًا ح ٥) جهده م . ن : جهد ح ‖ قد — الخفيّات ح ، م : علام الغيوب والخفيات ن ٦) لعلمي بالصدق ح ، ن : بعلمي للصدق م ‖ أتخطى : أتخطا ح ، م ، ن ‖ اليه م ، ن : فيه ح ‖ لي ح ، م : — ن ‖ محو هذه ح ، ن : هذا م ٩) فطير ح ، م : فظهر ن ‖ فيه ح : — م ، ن ١٠) فوقف به ح ، م : ووقع ن ١١) وهي — التوحيد م : وفي ساحات توحيده ح : وفي مناجات توحيده ن ١٢) ويجعلكم — الأرض ح ، م : — ن ‖ أ — الله م : — ح ، ن ‖ ينبئك — هذه ح ، م : — ن ‖ أن وله ح ، ن : أنه أوله م ١٣) ولا يجيبك ح ، م : — ن ‖ ما م ، ن : — ح ١٤) الله م ، ن : + تعالى ح ‖ مضطرة اليه م ، ن : حتى تكون مضطرًّا ح ١٦) قد م : — ح ، ن ‖ المفاوز م : المفازة ح : مفاوز ن ‖ لطريق ن : الى الطريق ح : الطريق م

....

١١) — ١٢) القرآن الكريم ٦٢/٢٧

مرحومٍ مغاث . ألا ترى أنّ الله قد أباح للمضطرّ في مفاوز الأرض من المَيتة ما أباح رحمةً له وغياثًا . فالمضطرّ في مفاوز السير إليه أحقّ بالرحمة والغياث .

(٣١)

وقال في تنزيله : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ . فحقيقة الجهاد أن لا يبقى للصدق موضع قدم يتخطّى إليه . ثم قال : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ . وإنّ السبل الطرق . وذلك ليُعلَم أنّ للأولياء طبقات فيها تفاوت على أقدار نفوسهم ووفاقها واحتمالها لما يُفتَح ويَرِد من العطاء . فإنّما هداه لسبيله بصدق المجاهدة . والهدى أن يميل بقلبه إليه . مشتقّ من التهادي . يقال في اللغة : مشى فلان يتهادى أي يتمايل . ومنه مأخوذة الهدية لأنّها تميل بالقلب إلى صاحبها .

(٣٢)

فإنّما رُحم العبد حين خلصت دعوته . وإنّما خلصت دعوته حين صار مضطرًّا ولم يبق له معتمد ولا ما يلتفت إليه . فأمّا دعوة رجل إحدى عينيه إلى ربّه والأخرى إلى عمله فما هو بمضطرّ ولا خلصت دعوته . فلمّا أجيبت لهذا المضطرّ دعوته طير بقلبه من محلّ

---

١) مغاث حَ ، مَ : يغاث نَ ‖ الله مَ : + تعالى حَ ، نَ ‖ قد أباح مَ ، نَ : أحل حَ ‖ مفاوز مَ ، نَ : مفازة حَ ‖ من مَ : — حَ ، نَ ‖ ما أباح مَ ، نَ : — حَ ٢) مفوز مَ ، نَ : مفازة حَ ٤) وقال حَ ، مَ : + عز اسمه نَ ‖ فحقيقة حَ ، مَ : حقيقة نَ ‖ أن لا مَ ، نَ : الا حَ ٥) لنهدينهم سبلنا حَ ، مَ : الآية نَ ٦) وإن — الطرق مَ ، نَ : والسبيل الطريق حَ ‖ وذلك ليعلم مَ : يعلمهم حَ : ذلك ليعلم نَ | للأولياء حَ ، نَ : الأولياء مَ ‖ طبقات مَ : طرقًا حَ ، نَ ‖ على حَ ، نَ : — مَ ٧) ووفاقها مَ : ووفى بها حَ : ووقايها نَ ‖ واحتمالها — العطاء مَ ، نَ : — حَ ‖ هداه مَ ، نَ : هذه حَ ‖ لسبيله مَ ، نَ : سبيله حَ ٨) اليه حَ ، مَ : — نَ ‖ التهادى مَ ، نَ : تهادى حَ ٩) ومنه — صاحبها حَ ، نَ : — مَ ‖ مأخوذة حَ : مأخوذ نَ ‖ لأنها حَ : إنما نَ ١١) العبد حَ ، مَ : — نَ ‖ وانما خلصت دعوته حَ ، مَ : — نَ ‖ حين مَ ، نَ : حتى حَ ‖ ولم يبق — ١٢) له مَ ، نَ : وثم له حَ

١٢) معتمد مَ ، نَ : معتدك حَ ‖ ما يلتفت مَ : ملتفت حَ ، نَ ‖ رجل حَ ، مَ : الرجل نَ ‖ إحدى حَ ، مَ : واحدى نَ ١٣) بمضطرّ مَ ، نَ : مضطر حَ ‖ هذا مَ : هذا حَ : بهذا نَ

....

١) قارن : El. s.v. mayta: Gräf. Jagdbeute. Index 356

٤) القرآن الكريم ٧٨/٢٢

٥) القرآن الكريم ٦٩/٢٩

٨) لسان العرب ١٥ . ٣٥٩ ب

الصادقين في طرفة عَينٍ إلى محلّ الأحرار الكرام ، فرُتّبت له هناك مرتبة على شريطة لزوم المرتبة ليعتق من رقّ النفس ويكشف عنه السوء الذي وصف الله تعالى في هذه الآية .

(٣٣)

قال له القائل : وما ذلك السوء؟

قال : الذي وصفتُ لك بديًّا : ممّا كان يجد في نفسه في تلك الهنات الدنيّة التي لم يقدر أن يمحوها عن نفسه ، وإنّما يمحوها منه الله ، فقيل له : الزم المرتبة بقرب الله وأنت عتيق من رقّ النفس ، حتى تزايلك هذه الهنات التي في نفسك بما يَرِد عليك من أنوار القربة فتحرقها فتصير من صفوته وتصلح له .

(٣٤)

ووكّل به الحقّ ليحرسه ، فإن ثبت في مركزه فقد وَفَى بشرط الله ، وإن أخلّ بمركزه وهرب فمخذول قد خدعته نفسه الأمّارة بالسوء ، فانظر أيّة نفس هذه حيث تقدر على خدعه وهو في محلّ الكرام الأحرار!

(٣٥)

قال له قائل : أين محلّ الصادقين وأين محلّ الكرام؟

قال : محلّ الصادقين في السماء الدنيا عند بيت العزّة ، فهناك محلّهم لأنّهم عبيد النفوس .

قال له قائل : وما بيت العزّة؟

---

١) عين مَ ، نَ : — حَ ‖ الأحرار حَ ، مَ ، نَ : الأبرار هامش مَ ‖ هناك مَ ، نَ : هنالك حَ ٢) تعالى حَ ، مَ : — نَ ٤) له القائل مَ : له قائل حَ : القائل نَ ‖ ذلك حَ ، مَ : ذاك نَ ٥) وصفت لك مَ : وصفت حَ : وصفنا نَ ‖ الهنات حَ ، نَ : الهناة مَ ‖ الدنية مَ : الدنسة حَ ، نَ ٦) يمحوها منه الله حَ ، مَ : محوها من الله عز وجل نَ ‖ له حَ ، مَ : — نَ ‖ بقرب الله مَ ، نَ : بقرب الى الله حَ ٧) تزايلك مَ ، نَ : تزايل حَ ‖ الهنات نَ : الصفات حَ : الهناة مَ ‖ بما مَ : مما حَ : لما نَ ٨) وتصلح حَ ، مَ : فتصلح نَ ١٠) وفى حَ ، مَ : وفا نَ ‖ الله حَ ، مَ : + عز اسمه نَ ١١) قد خدعته مَ : خدعته حَ : عن خدعة نَ ‖ أيّة حَ ، مَ : أي نَ ‖ هذه مَ ، نَ : هي هذه حَ ١٢) الكرام الأحرار حَ ، مَ : الأحرار والأكرام نَ ١٤) له قائل حَ ، مَ : له القائل نَ ‖ اين حَ ، مَ : واين نَ ‖ واين — ١٥) الصادقين حَ ، مَ : — نَ ١٥) في السماء مَ ، نَ : سماء حَ ١٧) له قائل مَ : — حَ ، نَ

قال : حيث نزل القرآن جملة واحدة في ليلة مباركة . فوضع في بيت العزّة في السماء الدنيا . ثم نزل نجومًا في عشرين سنة ، كذلك روي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما . وأمّا محلّ الكرام فالبيت المعمور في حدود علّيين فوق السماء السابعة ، يَحِلّونها ثم يتفرّقون منها على مراتبهم في علّيين إلى العرش ، عساكرَ بعضها فوق بعض حتى ينتهوا إلى محلّ الأربعين حول العرش .

(٣٦)

فهؤلاء كلّهم أولياء حقوق الله ، وهم أولياء الله يصيرون إلى الله في مراتبهم ، فيحلّون بها فيتنسّمون رَوح القربة ويعيشون في فسحة التوحيد والخروج من رقّ النفس ، فقد لزموا المراتب فلا يشتغلون بشيء إلاّ بما أذن لهم فيه من الأعمال ، فإذا صرّفهم من المرتبة إلى عمل أيّدهم بحرسه . فيمضون مع الحَرَس في تلك الأعمال ، ثم ينقلبون إلى مراتبهم ، فهذا دأبهم .

(٣٧)

فمن لم يَفِ منهم بما شرط عليه من لزوم المرتبة ومضى في عمل من أعمال البرّ ، يحسب أنّه قد قوي واستغنى بما نال من نور القربة ، فينبغي أن لا يكون معطّلاً ، فقد وقع في الخذلان لأنّه ترك الشرط ومضى بهوى نفسه ، وإنّما شُرط عليه لزوم المرتبة لأنّ هوى

١) السماء م̄ : سماء ح̄ ، ن̄ ٢) نزل ح̄ ، م̄ : أنزل ن̄ ‖ كذلك ح̄ ، م̄ : كذا ن̄ ‖ رضي الله عنهما ن̄ : رحمه الله ح̄ : رضي الله عنها م̄ ٣) الكرام م̄ ، ن̄ : الأحرار الكرام ح̄ ‖ فالبيت ح̄ : فبيت م̄ ، ن̄ ‖ حدود م̄ ، ن̄ : خلود ح̄ ‖ يحلونها م̄ : لحونها ح̄ : يلحجونها ن̄ ٤) ينتهوا م̄ ، ن̄ : ينتهي ح̄ ٧) يصيرون م̄ ، ن̄ : يسيرون ح̄ ‖ الله م̄ ، ن̄ : + تعالى ح̄ ٨) فيتنسّمون م̄ ، ن̄ : ويتنسمون ح̄ ‖ من م̄ ، ن̄ : عن ح̄ ٩) فيه ح̄ : — م̄ ، ن̄ ١٠) أيدهم م̄ : أبدانهم ح̄ : أيديهم ن̄ ‖ بحرسه م̄ ، ن̄ : حرسهم ح̄ ‖ ينقلبون م̄ ، ن̄ : ينقلون ح̄ ١١) فهذا م̄ : هذا ح̄ ، ن̄ ١٣) منهم ح̄ : له م̄ : — ن̄ ١٤) فقد م̄ ، ن̄ : قد ح̄ ١٥) بهوى ن̄ : لهوى ح̄ : بهوا م̄ ‖ عليه م̄ ، ن̄ : — ح̄ ‖ هوى ح̄ ، ن̄ : هوا م̄

....

١) تفسير ابن كثير ٦ : ٤٢٨
٢) ابن عباس : قارن : EI
٣) قارن : Radtke, Weltgeschichte

نفسه معه والأدناس التي وُصفت في نفسه ، فكيف يجوز أن يمضي من المرتبة إلى عمل بلا إذن . فإنّه إذا مضى بلا إذن لم يكن معه حرّاس ومعه هواه وشهوته ، فإذا عمل لله وهواه معه أَيُترَكُ ويُخلى سبيله أن يرجع إلى مكان القربة فيقف في المرتبة مع الصفوة؟ إنّ هذا لحمق عجيب لمن طمع في هذا أن يقف مع الصفوة وقد لطخ الحقّ وعمل لله بهوى نفسه .

(٣٨)

فهذا رجل مستدرج مخدوع ، يُعمل نفسه في أعمال البرّ ويزعم : إنّي إنّما خُلِقتُ
١٥٦ أ للعبودة وهذه عبودة ! / فيقال له : إنّ عبودة الأولياء أصفى من أن تمازجها هنات النفس . فكيف يكون ما تعمل عبودة وأنت في أوحال النفس وشهواتها وخدعها وأمانيها والتفاتها إلى خيالها . فإن احتجّ بقول الله : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ، وقال : أفلا ترى أنّه أشار إلى العمل ، قيل له : احذر هذا الكيف الذي قاله فإنّ كيف هو صفة العمل ، أي : لننظر بأيّ صفة تعمل ، ولم يقل : لننظر ماذا تعملون .

(٣٩)

فإن أردت أن تقوم له بالعبودة فاجتهد في خروجك من رقّ النفس إلى رقّه حتى

---

١) التي ح ، م : الذي ن ‖ يجوز ح ، م : + له ن ٢) حراس ح ، م : حريص ن ‖ شهوته م : شهواته ح ، ن ‖ لله م ، ن : + تعالى ح ٣) معه ح ، م : — ن ‖ أيترك ح ، م : لا يترك ن ‖ ويخلى سبيله ح : — م ، ن ‖ فيقف – الصفوة م : فيقف مع الصفوة في المرتبة ح : فيقف في المرتبة مع الشهوة ن ٤) لحمق ن : الحمق ح ، م ‖ أن م ، ن : أنه ح ‖ وقد ح ، ن : قد م ‖ لله م : — ح ، ن ٧) فهذا ح ، م : هذا ن ‖ أعمال م : نواع ح ، ن ‖ إنّي م ، ن : انني ح ‖ خلقت ح ، م : كلفت ن ٨) للعبودة ن : للعبوديّة ح ، م ‖ عبودة ن : عبودية ح ، م ‖ عبودة م ، ن : عبودية ح ‖ تمازجها : يخالطها ح : يمازجها م ، ن ‖ هنات ح : هناة م ، ن ٩) فكيف م : وكيف ح ، ن ‖ عبودة م ، ن : عبودية ح ‖ أوحال ح ، ن : اوحوال م (تحريف) ‖ وخدعها وأمانيها ح ، م : وخدعها واماتنها ن ١٠) خيالها ح ، م : حالتها ن ‖ فإن احتجّ ح ، م : واحتجّ ن ‖ الله م : + عز وجل ح ، ن ‖ من بعدهم ح ، م : — ن ١١) وقال ح : قال م ، ن ‖ أفلا ح ، م : أولا ن ‖ قيل له ح : فيقال له م : فيقال ن ١٢) هو ح ، ن : — م ‖ أي – تعمل م ، ن : الذي ننظر اي صفة تعملون ح ١٥) له ح ، ن : — م ‖ بالعبودة م ، ن : بالعبودية ح

....

١٠) – ١١) القرآن الكريم ١٠/١٤

تكون له عبدًا ، فالعبودة لعبيده والعبادة لعبيد النفس ، ومن لم يصل إلى الله في مجالس القربة حتى تُحرق تلك الأنوار جميع ما في نفسه من الأدناس فإنّما وصوله إلى مكان القربة أو هو بعدُ في الطريق ، لا يدري أين هو ، وإنّما جرأته على الأمور من بعض أنوار العطاء ، كيف يخاطر بنفسه وينخدع لها ، فيخالط ويباشر الأمور التي تدلّس نفسه فيها ، فتأخذ بنصيبها ، ثم يزعم : إنّي ذو حظّ من الله ، هيهات ! هذا رجل لم يصبر على السير قلبه فملّه فلم يرتفع له ما أمل من الوصول إلى الله ، فأقبل على عمل النسّاك ، يتصنّع بأعمالهم وينطق بكلام الأولياء التقاطًا عن أفواه الماضين وكُتُبهم وحكاياتٍ ومقاييسَ ، يشوّش الطريق على المريدين وينسب الأولياء إلى ما لا يعلمه ، فكفى بهذا تردّيًا في آبار المهالك .

(٤٠)

فيقال لهذا المسكين المتحيّر :

صف لنا منازل الأولياء إذا استفرغوا مجهود الصدق ، فقُرِّبوا ،

أين منازلهم ؟

وكم عدد منازلهم ؟

وأين منازل أهل القربة ؟

وأين الذين جازوا العساكر ؟

وبأيّ شيء جازوا الى منتهاهم ؟

---

١) فالعبودة م، ن : فالعبودية ح ‖ الله م، ن : + عز وجل ح ٢) فإنّما ح : وإنما م، ن ٣) أو هو م، ن : اذ ح ‖ جرأته ح : جرءته م : حرى به ن ‖ من بعض م، ن : من حيث بعض ح ٤) فيخالط م، ن : ويخالط ح ‖ الأمور م، ن : للأمور ح ‖ تدلس ح : يتدنس ح : تتدنس م : تتدنس ن ‖ نفسه م، ن : — ح ٥) فتأخذ بنصيبها م : فتأخذ النفس نصيبها ح : فيأخذ بنصيبها ن ‖ إني م : أنه ح : الى انه ن ٦) قلبه ح : — م، ن ‖ فملّه م : — ح : فمن له ن ‖ له ح ، م : — ن ‖ الله م، ن : + تعالى ح ‖ النساك م، ن : الكسالى ح ٧) بكلام م، ن : بأعمال ح ‖ التقاطًا — ٨) الأولياء ح ، م : — ن ‖ وكتبهم و م : — ح ٨) الطريق — المريدين م : طريق المريدين عليهم في الأمر ويفسد ح ‖ وينسب م : بنسبة ح ‖ فكفى ح ، م : نلقي ن ١٢) استفرغوا — الصدق ح ، م : أسفر عن الجهد والطريق ن ‖ فقربوا م، ن : — ح ١٣) اين منازلهم م، ن : — ح ١٥) وأين — القربة ح : — م، ن ١٦) جازوا العساكر ح ، م : جاوزوا السكر ن ١٧) وباي — منتهاهم م : وبأي شيء جازوا والى أين منتهاهم ح : بأي شيء جازوا والى أين منتهاهم ن

وأين مَقاوِم أهل المنظر؟
وكم مقاومهم؟
وأين أهل المجالس والحديث؟
وكم عددهم؟
وبأيّ شيء استوجبوا هذا على ربّهم؟
وما حديثهم ونجواهم؟
وبأيّ شيء يفتتحون المناجاة؟
وبأيّ شيء يختمونها؟
وبماذا يجاوبون؟
وكيف يكون صفة سيّدهم؟
ومن الذي يستحقّ خاتم الولاية كما استحقّ محمّد ﷺ خاتمَ النبوّة؟
وبأيّ صفة يكون ذلك المستحقّ لذلك؟
وما سبب الخاتم وما معناه؟
وكم مجالس الملك؟
وكم مجالس مُلك المُلك حتى يؤدّي إلى مالك الملك؟
وأين مَقاوِم الرسل من مقاوم الأنبياء؟
وأين مقاوم الأنبياء من مقاوم الأولياء؟
وأيّ شيء حظّ كلّ رسول من ربّه؟

---

١) واين – المنظر م، ن: – ح ‖ المنظر م: النظر ن ٢) وكم مقاومهم م: كم يقاومهم ن: – ح ٣) واين – والحديث م: وأين مقام أهل المجالس والحديث ح: واين المجالس والحديث ن ٧) المناجاة ح، ن: المناجات م ٨) يختمونها ح، م: يختتمونها ن ٩) بما م، ن: مما ح ‖ يجاوبون م: يجابون ح، ن ١٠) سيدهم م، ن: سيرهم ح ١١) من الذي م: من ذا ح: من الذين ن ‖ الولاية م، ن: الأولياء ح ‖ خاتم النبوة ح، م: – ن ١٢) لذلك ح، م: كذلك ن ١٣) ما معناه ح: معناه م، ن ١٤) وكم – الملك م، ن: – ح ١٥) وكم – مالك الملك م: وكم مجالس ملك الملك حتى يوصل إلى مالك الملك ح: حتى يؤدي إلى ملك الملك ن ١٦) مقاوم م: مقام ح، ن ١٧) مقاوم م: مقام ح، ن ١٨) حظ ح، م: خص ن

....

١) مقاوم، قارن: Einleitung 1.4.6

وأيّ اسم منحه من أسمائه؟
وأيّ شيء حظوظ الأولياء من أسمائه؟
وأيّ شيء علم البدء وقوله: كان الله ولا شيء معه، ثم ماذا؟
وما بدء الأسماء؟
وما بدء الوحي؟
وما بدء الروح؟
وما بدء السكينة؟
وما العدل؟
وما فضل بعض النبيّين على بعض وكذلك الأولياء؟
وخلق الله الخلق في ظلمة فما قصّتهم هناك؟
وكيف صفة المقادير؟
وما سبب علم القَدَر الذي طُوِي عن الرسل فمن دونهم لأيّ شيء طواه، ومتى ينكشف لهم سرّ القدر، وأين، ولمن؟
وما الإذن في الطاعة ومنع المعصية من ربّنا؟
وما العقل الأكبر الذي قسم العقول منه لجميع خلقه؟
وما صفة خلقة آدم وتولية فطرته؟
وما الفطرة؟
ولِمَ سمّاه بشرًا؟
وبأيّ شيء نال التقدمة على الملائكة حتى أمرهم بالسجود له؟
وكم عدد الأخلاق التي منحه؟
وكم خزائن الأخلاق وقوله: إنّ لله مائة وسبعة عشر خُلقًا؟

---

١) منحه ح، م: منتخب ن ٣) البدء ح، م: البدوة ن ‖ معه ح: – م، ن ‖ ثم ماذا م، ن: – ح ٥) بدء م، ن: بدء به ح ٩) وما – على بعض م: وما فضل النبيين على بعض ح: وقد فضل الله النبيين بعضهم على بعض ن ١٠) فما م: وما ح، ن ١٢) لأي م، ن: ولأي ح ‖ طواه م: طوى ح، ن ١٣) القدر ح، م: القدرة ن ‖ وأين – لمن م، ن: وأين يكشف لهم ح ١٤) وما ح، م: والإذن ن ١٥) قسم م، ن: قسمت ح ‖ منه ح، ن: منها م ١٦) وما – فطرته م: وما صفة آدم عليه السلام وما توليته وما فطرته ح: وما صفة خلق آدم عليه السلام وتولية فطرته ن ١٩) الملائكة ح، م: الولاية ن ٢٠) منحه م، ن: + عطاءً ح ٢١) قوله ح، م: + عليه السلام ن ‖ لله ح، م: + تبارك وتعالى ن

ما تلك الأخلاق؟
وكم للرسل منها؟
وما حظّ محمّد ﷺ منها؟
وأين خزائن المنن؟
ومن أين خزائن الشفاء؟
وأين خزائن سعي النفوس؟
ومن أين يُعطَى الأولياء؟
ومن أين يُعطَى الأنبياء؟
وأين خزائن النفوس؟
وأين خزائن المحدّثين من الأولياء؟
وما الحديث؟
وما الوحي؟
وما الفرق بين النبيّين والمحدّثين؟
وأين مكانهم منهم؟
وأين مكان سائر الأولياء منهم؟
وما حوض الوقوف؟
وكيف صار أمره كلمح البصر؟
وأمر الساعة أقرب من لمح البصر؟
وما كلام الله لعامّة أهل الموقف؟
وما كلامه للموحّدين ، فإنّه قد قال في تنزيله عندما ذكر العداة : ﴿لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾؟

---

٣) وما حظ محمد م̄، ن̄: وكم لمحمد ح̄ ‖ منها م̄، ن̄: — ح̄ ٥) ومن — الشفاء م̄: — ح̄، ن̄ ٦) وأين — النفوس ح̄: — م̄: وأين خزائن السعي ن̄ ٧) ومن — الأولياء م̄، ن̄: — ح̄ ٩) وأين — النفوس م̄: — ح̄. ن̄ ١٠) واين م̄، ن̄: ومن أين ح̄ ‖ الأولياء ح̄، م̄: الأنبياء ن̄ ١٣) والمحدّثين م̄، ن̄: وبين المحدثين ح̄ ١٥) مكان م̄: — ح̄، ن̄ ‖ سائر ح̄، ن̄: — م̄ ‖ منهم م̄، ن̄: — ح̄ ١٦) حوض ح̄، م̄: حظ ن̄ ‖ الوقوف ح̄: الرفرف م̄، ن̄ ١٧) أمره ح̄، م̄: مرة ن̄ ١٩) الله م̄، ن̄: + تعالى ح̄ ‖ الموقف م̄، ن̄: الوقوف ح̄ ٢٠) قد م̄، ن̄: — ح̄ ‖ العداة م̄، ن̄: العداوة ح̄

....

٢٠) – ٢١) القرآن الكريم ١٧٤/٢

وما كلامه للرسل؟
وإلى أين يأوون يوم القيامة من العرصة؟
وكيف مراتب الأنبياء والأولياء يوم الزيارة؟
وما حظوظ الأنبياء من النظر إلى الله؟
وما حظوظ المحدَّثين من النظر إليه؟
وما حظوظ سائر الأولياء؟
وما حظوظ العامّة؟ فإنّ للحظوظ بينهم في هذه الزيارة من التفاوت ما لا يطيقه البشر وصفاً، وكما أنّ للجنّة درجات فكذلك يوم الزيارة لهم درجات، وكم بين حظّ محمّد ﷺ وحظّ غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم، وفي الأخبار موجود أنّ الرجل منهم ينصرف بحظّه من ربّه فيذهل أهل الجنان عن نعيمهم اشتغالاً بالنظر إليه؟
وما المقام المحمود؟
وبأيّ شيء ناله؟
وما لواء الحمد؟
وبأيّ شيء يثني على ربّه حتى يستوجب لواء الحمد؟
وماذا يقدّم إلى ربّه من العبودة حتى يثني عليه ربّ العزّة ويشهد له بقدم الصدق؟
وبأيّ شيء يختمه حتى يناوله مفاتيح الكرم؟
وما مفاتيح الكرم؟
وعلى من يوزّع عطايا ربّه؟
وكم أجزاء النبوّة؟

---

١) للرسل ح، م: + عليهم السلام ن ٢) يوم – العرصة ح، م: من العرصة يوم القيامة ن ٣) الأنبياء والأولياء م. ن: الأولياء والأنبياء ح ٤) الله م: اليه ح: + تعالى ذكره ن ٥) من – إليه م: – ح، ن ٧) للحظوظ ح: الحظوظ م. ن || في ح، م: هي ن || هذه ح، م: – ن || يطيقه م، ن: يطيق له ح ٨) وكم بين ح، م: وكم من ن ٩) صلوات – عليهم م: عليهم السلام ح: – ن || موجود ح. ن: موجودة م || أن م. ن: – ح ١٠) فيذهل ح. م: فذهل ن || الجنان ح، م: + بعضهم ن ١٢) ناله م. ن: + وكم بين حظ محمد صلى الله عليه وسلم وحظوظ الأنبياء عليهم السلام ح ١٤) بأي ح. م: لأي ن || ربه م. ن: + عز وجل ح ١٥) العبودة م. ن: العبودية ح || له ح. م: – ن ١٦) يختمه ح. م: يثنى ن || يناوله ح. م: يخاوله ن ١٧) ما ح. م: – ن ١٨) ربه م. ن:

وما النبوّة؟
وكم أجزاء الصدّيقيّة؟
وما الصدّيقيّة؟
وعلى كم سهم تثبت العبودة؟
وما يقتضي الحقّ من الموحّدين؟
وما الحقّ؟
وماذا بدؤه؟
وأيّ شيء فعله في الخلق؟
وبماذا وُكّل؟
وما ثمرته؟
وما المُحَقّ؟
وأين محلّ من يكون محقًّا به ، فإنّه في بدء الأمر تابع للحقّ حتى يصير محقًّا فيقرن به الحقّ مؤيّدًا له؟
وما سكينة الأنبياء؟
وما سكينة الأولياء؟
وما حظوظ المؤمنين من قوله : ﴿ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَالأَوَّلُ وَالآخِرُ ﴾؟
وما حظّهم من قوله : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾؟
وكيف خُصّ ذكر الوجه؟
وما مبتدأ الحمد؟
وما قوله : آمن؟

---

١) وما النبوة حَ، مَ: — نَ ٤) العبودة مَ، نَ: العبودية حَ ٥) يقتضي حَ، مَ: نقتص نَ
٧) وماذا حَ: وممن مَ: وبم نَ ٨) فعله حَ، مَ: نعله نَ (تحريف) ٩) ذا بَ، نَ: ذى مَ
١٠) ثمرته حَ، مَ: نمرته نَ (تحريف) ١٢) محل حَ، مَ: المحل نَ ‖ به مَ: — حَ، نَ ‖ تابع حَ، مَ: تابعًا نَ ‖ فيقرن حَ، مَ: فيقوم نَ ١٤) وما — الأنبياء مَ، نَ: — حَ ١٥) ما حَ، مَ: — نَ
١٦) حظوظ مَ: حظ حَ، نَ ١٩) مبتدأ حَ، مَ: مبتدع نَ

...

١٦) القرآن الكريم ٥٧/٣
١٧) القرآن الكريم ٢٨/٨٨

وما السجود؟
وما بدؤه؟
وما قوله : العزّة إزاري / والعظمة ردائي؟ ١٥٦ ب
وما الإزار؟
وما الرداء؟
وما الكبرياء؟
وما تاج الملك؟
وما الوقار؟
وما صفات مجالس الهيبة؟
وما صفات ملك الآلاء؟
وما صفات ملك الضياء؟
وما صفات ملك القدس؟
وما القدس؟
وما سبحات الوجه؟
وما شراب الحبّ، وكأس الحبّ؟
ومن أين؟
وما شراب حبّه لك حتى يسكرك عن حبّك له؟
وما القبضة؟
وما القبضة ومن الذين استوجبوا القبضة حتى صاروا فيها؟
وما صنعه بهم في القبضة؟
وكم نظرته إلى الأولياء في كلّ يوم؟

---

١) السجود حَ، مَ: السحر نَ ٣) وما – إزاري حَ، مَ: وما قوله العزازايى نَ ‖ والعظمة ردائي مَ: وما قوله العظمة ردائي حَ: والكبرياء ردائي نَ ٧) الملك حَ، مَ: – نَ ٩) صفات مَ، نَ: صفة حَ ١٠) صفات مَ، نَ: صفة حَ ١٥) وكأس مَ، نَ: وما كأس حَ ١٧) لك حَ: – مَ، نَ ‖ يسكرك حَ مَ: اسكرك نَ ١٩) ومن حَ، مَ: وما نَ

....

٣) المعجم المفهرس ٤، ٢٠٤ آ

وإلى ماذا ينظر منهم؟

وإلى ماذا ينظر من الأنبياء؟

وكم إقباله إلى خاصّته في كلّ يوم؟

وما المعيّة فإنّه مع الخلق ومع أصفيائه وأنبيائه وخاصّته، فكيف الفرق بين هؤلاء في تفاوت ذلك؟

وما ذكره الذي يقول: ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ، فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾؟

وما معنى الاسم؟

وما رأس الأسماء الذي استخرج منه جميع الأسماء؟

وما الاسم الذي أبهم على الخلق إلاّ على خاصّته؟

وبماذا نال صاحب سليمان ذلك وطُوِي عن سليمان عليه السلام وهو رسول من الرسل؟

وما السبب في ذلك؟

وعلى ماذا اطّلع من الاسم، أعلى حروفه أم على معناه؟

وأين باب هذا الاسم الخفيّ على الخلق من أبوابه؟ وما كسوته؟

وما حروفه من حروف المعجم؟

والحروف المقطّعة مفتاح كل اسم من أسمائه، فأين هذه الأسماء وإنّما هي ثمانية وعشرون حرفًا؟

وكيف صارت الألف مبتدأ الحروف؟

---

٢) ذا ن̄: — ح̄: ذى م̄ ‖ ينظر ح̄، م̄: نظر ن̄ ‖ الأنبياء ح̄، م̄: الأولياء ن̄ ٤) فكيف م̄: وكيف ح̄، ن̄ ٦) فاذكروني ن̄: واذكروني ح̄، م̄ ٨) الأسماء م̄: أسمائه ح̄: أسماء ن̄ ‖ استخرج م̄، ن̄: استوجب ح̄ ١٠) وبماذا ح̄، م̄: وما ن̄ ‖ سليمان ح̄، م̄: + عليه السلام ن̄ ‖ عليه السلام م̄، ن̄: صلوات الله عليه ح̄ ١٣) وعلى ماذا م̄: وما ح̄: وعلى ما له ن̄ ‖ الاسم ح̄، م̄: العم ن̄ ‖ أعلى م̄: على ح̄، ن̄ ‖ حروفه ح̄، م̄: حروف ن̄ ‖ أم ح̄، م̄: أو ن̄ ١٤) واين باب ح̄، م̄: وارباب ن̄ (تحريف) ١٦) الحروف المقطعة ح̄: حروف المقطع م̄، ن̄ ١٧) حرفًا م̄، ن̄: + من هذه الحروف ح̄ ١٨) صارت م̄: صار ح̄، ن̄ ‖ الألف م̄، ن̄: — ح̄ ‖ الحروف ح̄، ن̄: الحرف م̄

....

٦) القرآن الكريم ٢٩/٤٥ ‖ القرآن الكريم ٢/١٥٢

١٠) قارن القرآن الكريم ٢٧/٤٠؛ رسالة القشيري، باب كرامات الأولياء

وكيف كرور اللام والألف في آخرها؟ فقيل: لام ألف؟ وقد ذكر أمره في الحروف؟ ومن أيّ حساب صار عدده ثمانية وعشرين حرفًا؟

وما قوله: خلق آدم على صورته؟

وما قوله: ليتمنّينّ اثنا عشر نبيًّا أنّهم كانوا من أمّتي؟

وما تأويل قول موسى عليه السلام: ربّ اجعلني من أمّة محمّد ﷺ؟

وما تأويل قوله: إنّ لله عبادًا ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيّون بمقاماتهم وقربتهم من الله؟

وما تأويل قوله: بسم الله؟ — فليس تأويله عند الحكماء أن تتقلّب لغته فتترجمه بالفارسيّة فما هو إلا أنّك تحوّلت من لغة إلى لغة. فليس هذا بتأويل بل هذا تحويل؟

وما تأويل قوله: السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته؟

وقوله: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنّه رُوي عن رسول الله ﷺ: إذا قال ذلك أصاب كلّ عبد صالح لله في السماء والأرض؟

وما تأويل قوله: أهل بيتي أمان لأمّتي؟

وقوله: آل محمّد والقائم بالحجّة، من أين يكلّم الخلق حتى يقيم حجّة الله عليهم، فإنّ الله تبارك وتعالى اسمه أقام الحجّة عليهم بالعبودة له وجعل للقائم بها طريقًا إلى محلّ خزائن الكلام؟ فأين خزائن الحجّة من خزائن الكلام؟

---

١) كرور م: كر ح، ن ‖ اللام – آخرها م: الألف واللام في آخره ح: الألف واللام وآخر ن ‖ فقيل – ألف ن: – ح: فقيل لام الألف م ‖ وقد – الحروف م، ن: – ح ٢) عدده م، ن: عددها ح ‖ عشرين م: عشرون ح. ن ٣) قوله م، ن: + صلى الله عليه وسلم ح ‖ خلق م، ن: + الله ح ٤) ليتمنين ح، م: ثماني ن ‖ اثنا عشر ح: اثنا عشرة م: اثني عشر ن ٥) عليه السلام م، ن: – ح ‖ صلى – سلم م، ن: – ح ٦) وما – الله ح، م: – ن ‖ بمقاماتهم م: بمقامهم ح ‖ وقربتهم م: وقربهم ح ٧) تنقلب م: يقلب ح، ن ٨) تحولت ح، م: حولت ن ‖ بتأويل ح، م: تأويل ن ‖ بل م: – ح، ن ٩) ورحمة – وبركاته م: – ح: ورحمة الله ن ١١) السماء م، ن: السموات ح ١٣) من أين ح: أن م: ومن أين ن ‖ يقيم م: يقوم ح: نقيم ن ١٤) تبارك – اسمه م: تعالى ح: – ن ‖ أقام م: قد أقام ح. ن ‖ بالعبودة م، ن: بالعبودية ح ‖ له ح، م: – ن ١٥) فأين م، ن: وأين ح

....

٣) المعجم المفهرس ٢. ٧١آ

٦) المعجم المفهرس ٤. ٤٥٩آ

٩) المعجم المفهرس ٢. ٥٣٠ب

١٠) – ١١) المعجم المفهرس ٢. ٥٣١آ

١٣) المعجم المفهرس ١. ١٣٤آ

وأين خزائن الكلام من خزائن علم التدبير؟
وأين خزائن علم الله من خزائن علم البدء؟
وما تأويل أمّ الكتاب ، وإنّه ادّخرها من جميع الرسل لهذا الرسول ولهذه الأمّة؟
وما معنى المغفرة التي غفر لنبيّنا ، وقد بشّر سائر النبيّين أيضًا بالمغفرة؟

(٤١)

فهذا وأشباه هذا هو علم الأنبياء والأولياء ، بهذا العلم يطالعون تدبيره وبهذا العلم يعاملونه ويقومون بالعبودة له ، لأنّ من كُشفَ له الغطاء عن هذا النوع من العلم فإنّما فُتح له في الغيب الأعلى حتى لاحظ ملك الملك ، بعد أن قُوّم ثم هذّب ثم أُدّب ثم نُقّي ثم طُهّر ثم طُيّب ثم وسّع ثم رُبّي ثم شُجّع ثم عُوّد فتمّت ولاية الله له ، فصلح له في المجلس الأعلى على مجالس الأولياء بين يديه ، يناجيه كفاحًا ويلج مجالسه سماحًا ، ماله وَجاج ، فيرجع من عنده مع الغناء الأكبر فيقوم له بالعبودة في أرضه .

(٤٢)

فيقال لهذا البائس : إن كنت في خلوٍ من هذا الذي ذكرناه وفي عمى عن علمه فما دخولك في هذا الباب حتى تكدّر الماء الصافي؟ فأيّ جرمٍ أعظم مِن جرم مَن يلتقط كلام الأولياء حرفًا حرفًا حتى يخلّطه فيصيّره حكايات ، ثم يرمي بها إلى قوم يتزيّن بذلك

---

١) وأين – الكلام م : – ح ، ن   ٢) وأين – الله ح ، م : – ن الله م : + عز وجل ح ‖ خزائن م : – ح   ٣) من ح ، م : عن ن ‖ الرسل ح ، م : + عليهم الصلاة والسلام ن ‖ الرسول ح ، م : + صلى الله عليه وسلم ن   ٤) غفر م ، ن : قد غفر ح ‖ لنبينا م : + محمد صلى الله عليه وسلم ح : الله لنبينا عليه الصلاة والسلام ن ‖ أيضًا ح ، م : – ن   ٦) فهذا م ، ن : وهذا ح ‖ الأنبياء ح ، م : + صلوات الله عليهم ن ‖ والأولياء م ، ن : وعلم الأولياء ح   ٧) يعاملونه م ، ن : + بهذا العلم ح ‖ بالعبودة م ، ن : بالعبودية ح ‖ لأنّ م : لانه ح : لا ن ‖ الغطاء ح ، م : – ن   ٨) في ح ، م : من ن ‖ ملك الملك ح ، ن : ملك الملوك هامش م ‖ ثم نقى – ٩) طهّر ح ، م : – ن   ٩) ثم ربي – شجع م ، ن : – ح ‖ عود م ، ن : عوذ ح ‖ الله له ح ، م : الله ن ‖ فصلح م ، ن : وصلح ح   ١٠) على م : من ح ، ن ‖ ما له وجاج م : ما له من حاجز ح : له ن   ١١) فيرجع ح ، م : ويرجع ن ‖ له بالعبودة ن : له بالعبودية ح : بالعبودة م ‖ في أرضه م : محارصة ح : في روضة ن   ١٣) خلو ح ، م : خلق ن ‖ ذكرناه ح : ذكرنا م ، ن   ١٤) مَن م : رجل ح ، ن   ١٥) حتى م : ثم ح ، ن ‖ يخلطه ح ، م : خلطه ن ‖ فيصيره م : فيصيرها ح : فاصمره ن

عندهم ، فيُعمي عليهم طريقهم ويفسد عليهم سيرهم ، ولا هو عالم بالطريق ولا بالمكامن في الطريق ولا بمنتهى القوم ومنازلهم ، مِن شُغله بنفسه وانخداعه لها وإصغائه إليها وتَستُّره بذلك عن خلقه ، فهو أبدًا في التزيّن والاغتراب والقصد ، لِما يعلم أنّه يكسب بذلك جاهًا عند الخلق ، وأعظم المصائب عنده الوقت الذي يعمل فيه عملاً ينكسر به جاهه عند الناس ، فهذا عبد نفسه ، فمتى يتفرّغ لعبودة ربّه ومتى يصلح هذا لله ومتى يصفو له طريقه إلى الله؟

(٤٣)

قال له قائل : صف لنا شأن الذين وصلوا ، فوقفوا في مراتبهم على شريطة لزوم المرتبة ، وما سبب اللزوم؟ وصِف لنا شأن الذين وصلوا فرفعت عنهم الشريطة وفُوّضت اليهم الأمور! ومن وليّ حقّ الله ومن وليّ الله؟

قال : إنّ الواصل إلى مكان القربة رُتّب له محلّ ، فحلّ بقلبه هناك مع نفس فيها تلك الهنات باقية ، فإنّمَا أُلزِم المرتبة لأنّه إذا توجّه إلى عمل من أعمال البرّ مع النفس مازجه الهوى ومحبّة محمدة الناس وخوف سقوط المنزلة ، فلا تخلو أعماله من التزيّن والرياء وإن دقّ ، أفيطمع عاقل في أن يترك قلبه مع دنس الرياء / والتزيّن أن يحلّ محلّ القربة؟ ١٥٧ أ
فيقال له : قرّبناك في موضع القربة فنعتقك من رقّ النفس ونشترط عليك مع العتق من

---

١) ولا هو مَ : فلا هو حَ ، نَ ‖ بالمكامن مَ ، نَ : بالمكان حَ ٢) الطريق مَ ، نَ : + ولا هو من ذلك الرفيق حَ ‖ بمنتهى مَ : منتهى حَ ، نَ ‖ انخداعه لها حَ ، مَ : الخداعة بها نَ ‖ تستره – ٣) بذلك مَ : تسيره ذلك حَ : ستره ذلك نَ ٣) أبدًا مَ ، نَ : أبدى حَ ‖ الاغتراب مَ : الاعتذار حَ ، نَ ٤) فيه حَ : – مَ ، نَ ‖ ينكسر حَ ، مَ : ينكس نَ ٥) عبد حَ ، مَ : عزّ نَ ‖ يتفرغ مَ ، نَ : يتضرع حَ ‖ لعبودة ربه مَ : لعبودية ربه حَ : لعبودية نَ ‖ يصفو : يصفوا مَ ، نَ : يصفى حَ ‖ له مَ : – حَ ، نَ ٦) الله حَ ، مَ : + تعالى نَ ٨) قائل حَ ، نَ : القائل مَ ‖ مراتبهم مَ ، نَ : مقامهم حَ ‖ شريطة مَ ، نَ : شرط حَ ٩) المرتبة مَ ، نَ : حفظ المرتبة حَ ١١) محل مَ : محلا حَ : – نَ (بياض) ١٢) الهنات حَ : الهناة مَ : – نَ (بياض) ‖ فإنما مَ : فإنّه إنّمَا حَ : وإنّما نَ ‖ مع النفس – ١٣) المنزلة مَ : عمل ثم ينال في موضع القربة ليعتق من رق النفس فمازجه الهوى ومحبة ما حمده الناس وخوف سقوط المنزلة حَ : مع عمل النفس (بياض) ومحبة محمدة الناس وخوف سقوط المنزلة نَ ‖ مازجه : ممازجه مَ ١٣) تخلو حَ ، نَ : يخلوا مَ ‖ أعماله مَ ، نَ : عمله حَ ١٤) دق مَ ، نَ : رق حَ ‖ مع حَ ، مَ : من نَ ١٥) له حَ ، مَ : – نَ ‖ قربناك – النفس و مَ ، نَ : – حَ ‖ قربناك مَ : فزيناك نَ ‖ فنعتقك مَ : فتعققك نَ ‖ نشترط حَ ، مَ : يشترط نَ

رقّ النفس الثبات هناك، فلا تتصدّر إلى عمل إلاّ بإذن، فإذا أذنّاك أصدرناك مع الحرّاس ووكّلنا بك الحقّ شاهدًا عليك ومؤيّدًا لك، والحرّاس يذبّون عنك.

(٤٤)

قال له قائل: وما تلك الحرّاس؟

قال: أنوار العصمة موكّلة به تحرق هنات النفس ونواجم ما انكمن منها، فكلّما نجم من مكامن النفس شيء من تلك الهنات أحرقته تلك الأنوار، حتى يرجع إلى مرتبته ولم تجد النفس سبيلاً إلى أن تأخذ بحظّها من ذلك، فيرجع إلى مرتبته طاهرًا كما انصدر من عنده، لم يتدنّس بأدناس النفس من التزيّن والتصنّع والرّكون إلى موقع الأمور عند المخلوقين.

(٤٥)

فهذا المخدوع المغرور لمّا وجد قوّة المحلّ ونور القربة وطهارتها ظنّ أنّه قد استولى، ونظر إلى نفسه ولم يجد فيها شيئًا في الظاهر يتحرّك، ولا يعلم أنّ المكامن مشحونة بالعجائب، ورُوي عن وهب بن منبّه رضي الله عنه أنّه قال: إنّ للنفس كمونًا ككمون النار في الحجر، إن دققته لم تجد فيه شيئًا وإن قدحته أورى نارًا، فكان هذا نظرًا من

---

١) الثبات مَ، نَ: الكون حَ ‖ هناك مَ: هاهنا حَ، نَ ‖ تتصدر مَ: تصدر حَ: يتصدر نَ ‖ فاذا مَ، نَ: فان حَ ‖ أذناك مَ: أذنا لك حَ، نَ ‖ أصدرناك حَ، مَ: وأحدرناك نَ ٢) الحراس مَ، نَ: الحوارس حَ ‖ بك مَ: لك حَ: — نَ ‖ الحق حَ: مع الحق مَ (مع بالهامش): الحق الحق نَ ‖ الحراس مَ: الحرس حَ، نَ ٤) الحراس مَ، نَ: الحرس حَ ٥) العصمة حَ، مَ: العظمة نَ ‖ به حَ، مَ: — نَ ‖ تحرق: يحرقون حَ، مَ، نَ ‖ هنات حَ، مَ: هنهنات نَ ٦) مكامن حَ، مَ: مكاين نَ ‖ شيء مَ، نَ: — حَ ٧) ولم — مرتبته حَ، مَ: — نَ ‖ ذلك مَ: ذلك العمل حَ ‖ انصدر مَ، نَ: صدر حَ ٨) بأدناس حَ، مَ: لأدناس نَ ‖ موقع مَ، نَ: موضع حَ ٩) المخلوقين مَ، نَ: الخلق حَ ١١) المخدوع المغرور مَ، نَ: المغرور المخدوع حَ ‖ طهارتها مَ، نَ: طهارته حَ ‖ قد مَ، نَ: — حَ ١٢) في الظاهر حَ، مَ: — نَ ‖ يتحرك — ١٤) نارًا حَ، مَ: وان قدحته أورى نارًا فكان هذا نظرًا من الله بالعجائب عن وهب بن منبه إن للنفس كمونًا ككمون الحجرين أو الحجران دقته لم تجد فيه شيئًا نَ (تصحيف) ١٣) وروى مَ: روى حَ ‖ رضي الله عنه مَ: رحمه الله حَ ١٤) اورى مَ، نَ: اروى حَ ‖ فكان حَ، مَ: وكان نَ ‖ نظرًا مَ، نَ: نظر حَ

....

١٣) وهب بن منبه، قارن: Khoury, Wahb 89ff.

الله أن رحمه فنقله في لحظة من محلّ الصادقين إلى محلّ الصدّيقين ، من بيت العزّة من السماء الدنيا إلى عساكر حول العرش ، فذهب لشقاء جَدّه وقال : أذهب وأطوف في البلاد فأدعو الخلق إلى الله . وأذهب فأعمل أعمال البرّ . فإنّما خُلقتُ للعبودة !

وهل أجابتك نفسك يا عبدالله حين دعوتَها حتى يجيبَك الناس ؟ وهل صفا قلبك لله حتى تصفو عبودتك ؟ وهل خرجتَ من رقّ نفسك حتى تدخل في رقّ الله ؟ هيهات ! ما أبعدك من الصدق . فكيف من طريق الصدّيقين !

(٤٦)

قال له القائل : ومن أين تلك الأنوار التي تُوكَّل بالحراسة لهذا الذي يثبت في مركزه ولم يتصدّر عنه إلّا بإذن ؟

قال : من مجالس الحديث !

قال : وما مجالس الحديث ؟

قال : مجالس المجذوبين أهل خاصّة الله ونصحائه ، يحبّون أن يصل هؤلاء إلى ما وصلوا ، فيقطع لهؤلاء قطعة من النور ، يحرسهم ذلك النور ما داموا في تلك الأمور ، فكلّما نجم من هنات النفس في الصدر شيء في وقت مباشرتهم تلك الأمور ثار ذلك الشعاع في صدره فخفي على القلب والنفس ذلك الناجم وبطل ، فمرّ في أمره مستقيمًا غير ملتفت إلى أحد . ثم يرجع إلى محلّه ومركزه نقيًّا .

---

١) الله م : + عز وجل ح : + تعالى ن ‖ أن رحمه ح ، م : أي رحمة ن ‖ فنقله ح ، م : فينقله ن ‖ لحظة ح ، م : الحظة ن ٢) السماء م : سماء ح ، ن ‖ لشقاء م ، ن : بشقاء ح ‖ وقال م : فقال ح ، ن ‖ وأطوف م : أطوف ح : فأطوف ن ٣) فأدعو : فأدعوا ح ، م ، ن ‖ الخلق م ، ن : الناس ح ‖ الله م : + تعالى ح ، ن ‖ للعبودة م ، ن : للعبودية ح ٤) وهل م ، ن : فهل ح ‖ يا عبدالله م : — ح ، ن ‖ لله م : لله عز وجل ح : — ن ٥) تصفو ح : تصفوا م ، ن ‖ عبودتك م : عبوديتك ح : عبادتك ن ‖ خرجت م ، ن : أخرجته ح ‖ نفسك م : النفس ح ، ن ‖ الله م ، ن : + عز وجل ح ٨) القائل م : قائل ح ، ن ‖ يثبت م : ثبت ح : بث له ن ٩) يتصدر م ، ن : يصدر ح ‖ عنه : عنها ح ، م ، ن ١١) قال م ، ن : قيل ح
١٢) المجذوبين م : المحدثين ح ، ن ‖ يحبون م ، ن : ويحبون ح ١٣) فيقطع م ، ن : ويقطع ح ‖ لهؤلاء م ، ن : لهم أولاً ح ‖ يحرسهم ن : فيحرسهم ح : تحرسهم م ١٤) هنات ح ، م : ههات ن ‖ ثار م : وثار ح : فان ثار ن ١٥) القلب والنفس م ، ن : النفس والقلب ح ‖ الناجم ح ، م : الناج ن (تحريف)
١٦) يرجع ح ، م : رجع ن

(٤٧)

فإذا انصدر منها بغير إذن — انصدر على غرور نفسه تلذّذًا بشهوة نفسه من ذلك العمل وقلّة صبره على لزوم المرتبة ، فانصدر بلا حرس — مدّت النفس إليه مخالبها فعيّبته فرجع الحقّ مخدوشًا مخموشًا ، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : لا تسل الإمارة فإنّك إن أُعطيتَها عن مسألة وُكلت إليها ، وإن أُعطِيتَها عن غير مسألة أعنت عليها ، فهذا تحقيق قولنا بعينه .

فهذا شأن وليّ حقّ الله ، ومع هذا قد يقال له وليّ الله لأنّ الله قد ولي أخذه ونقلانه إلى محلّ القربة .

(٤٨)

وأمّا وليّ الله : فرجل يثبت في مرتبته وافيًا لله بالشرط كما وفى له بالصدق في سيره وبالصدق في محلّ انقطاعه واضطراره ، فأدّى الفرائض وحفظ الحدود ولزم المرتبة حتى قُوّم وهُذّب وأُدّب ونُقّي وطُهّر وطُيّب ووُسّع ورُبّي وغُذّي وشجّع وعُوّد ، فتمّت ولاية الله له بهذه الخصال العشر ، فنُقل من مرتبته إلى مالك الملك فرُتّب له بين يديه وصار نجواه كفاحًا ، فاشتغل به عمّا سواه ، ولهًا به عن نفسه وعن كلّ شيء ، فصيّره في قبضته وقيّده بعقله وجعله أمينًا من أمنائه ، وصار كالمفوّض إليه لا يحتاج إلى إذن ، لأنّه حيث ما

---

٢) فإذا – منها مَ ، نَ : وان صدر غيرها حَ ‖ انصدر مَ ، نَ : صدر حَ ‖ تلذذًا مَ ، نَ : تلذذ حَ ‖ بشهوة مَ : بشهوات حَ : لشهوة نَ ‖ من مَ : في حَ ، نَ ٣) لزوم حَ ، مَ : ما الزم نَ ‖ فانصدر مَ : فان صدر حَ : فانصرف نَ ‖ مدت حَ ، مَ : مدة نَ ‖ اليه حَ ، مَ : – نَ ‖ فعيبته مَ : فيعبنه حَ : بعنيه نَ ٤) الحق مَ ، نَ : – حَ ‖ صلى – سلم مَ ، نَ : عليه الصلوة والسلام حَ ‖ تسل حَ : تسال مَ ، نَ ٥) فهذا مَ ، نَ : وهذا حَ ‖ تحقيق حَ ، مَ : الحقيق نَ ٧) شأن حَ ، مَ : بيان نَ ‖ ومع مَ ، نَ : وهو مع حَ ‖ قد حَ ، مَ : فقد نَ ‖ أخذه حَ ، مَ : أجره نَ ‖ نقلانه مَ : نقلته حَ : نقلابه نَ ١٠) يثبت مَ : ثبت حَ ، نَ ‖ لله بالشرط مَ ، نَ : بالشروط حَ ١١) وبالصدق مَ ، نَ : وبالصبر حَ ‖ محل مَ ، نَ : عمل حَ ‖ انقطاعه حَ ، مَ : الطاعة نَ ١٢) وأدب ونقي مَ ، نَ : ونقى وأدب حَ ‖ وربي مَ ، نَ : وزكى حَ ‖ وغذي مَ : – حَ ، نَ ١٣) له بهذه مَ ، نَ : لهذه حَ ‖ العشر حَ ، نَ : العشرة مَ ‖ مرتبته حَ ، مَ : مرتبة نَ ‖ فرتب حَ ، مَ : قريب نَ ‖ وصار حَ ، مَ : فصار نَ ١٤) عما مَ : عمن حَ : عن من نَ ‖ به نَ : – حَ ، مَ

....

٤) – ٥) المعجم المفهرس ١ ، ١٠٥آ

ذهب في شيء من أموره فهو في قبضته ، وأيّ حصن أحصن من قبضته وأيّ حارس أشدّ حراسةً من عقله الأكبر؟

(٤٩)

فهو قول رسول الله ﷺ فيما يحكي عن جبريل عليه السلام عن الله تعالى أنّه قال : ما تقرّب إليّ عبدي بمثل أداء فريضتي ، وإنّه ليتقرّب إليّ بعد ذلك بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وفؤاده ، فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش وبي يمشي وبي يعقل ، فهذا عبد قد خمد عقله للعقل الأكبر وسكنت حركاته الشهوانيّة لقبضته ، وهو قوله تعالى فيما رُوي عنه حيث قال له موسى : يا ربّ أين أبغيك؟ قال : يا موسى ! وأيّ بيت يسعني وأي مكان يحملني؟ فإن أردت أن تعلم أين أنا فإنّي في قلب التارك الوادع العفيف.

(٥٠)

فالتارك هو الذي تركه بجهده ، وفيه بقيّة ، ثم مَنَّ عليه ربّه بما وصفناه ، فودّعه موتًا عنه ، ثم عفّ ، فلا يلتفت إلى شيء ، فهذا موافق لذلك ، وكلاهما وليا أمر الله بالصدق حتى ولي اللهُ أيضًا لهما ، فالأوّل خرجت له الولاية من الرحمة ، فولي نقلانه من بيت العزة

---

٢) حراسة مَ، نَ : من حراسة حَ ‖ الأكبر مَ، نَ : — حَ ٤) يحكى مَ، نَ : يروى حَ ‖ عليه السلام مَ، نَ : — حَ ‖ الله تعالى مَ : الله عز وجل حَ : الله تبارك وتعالى نَ ٥) بمثل أداء فريضتي مَ : بمثل اداء ما افترضت عليه حَ : بمثل أداء الفرائض نَ ‖ بعد ذلك مَ، نَ : — حَ ٧) وبي يبطش حَ ، مَ : — نَ ‖ وبي يمشي مَ، نَ : — حَ ‖ قد خمد مَ : خمد حَ : حمل نَ ‖ للعقل مَ، نَ : بالعدل حَ ٨) تعالى مَ : — حَ ، نَ ‖ عنه مَ، نَ : — حَ ‖ موسى مَ : + صلوات الله عليه وسلم حَ : + عليه السلام نَ ٩) وأي مَ، نَ : أي حَ ‖ أن حَ ، مَ : — نَ ١٠) الوادع مَ، نَ : الورع حَ ١٢) هو الذي حَ ، نَ : الذي هو مَ ‖ وفيه بقية حَ ، مَ : وبقية نَ ‖ بما مَ، نَ : مما حَ ‖ وصفناه حَ : وصفنا مَ، نَ ‖ فودعه مَ، نَ : فورعه حَ ‖ موتًا عنه مَ : موتًا عليه حَ : — نَ ١٣) فهذا حَ ، مَ : فهو نَ ‖ وكلاهما مَ، نَ : كلاهما حَ ‖ وليا أمر الله مَ، نَ : ولى الله حَ ١٤) أيضًا لهما حَ ، مَ : أمرهما نَ ‖ نقلانه حَ ، مَ : بولاية نَ ‖ من مَ، نَ : ومن حَ

....

٤) قارن : Massignon, *Essai* 127

٨) — ١٠) قارن حلية ٢ ، ٣٦٤ ، ١٢

إلى محلّ القربة في لحظة ، والثاني خرجت له الولاية من الجود ، فولي نقلانه منها في لحظة مُلكًا مُلكًا إلى مالك الملك ، وهو قول الله : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ . فالله ولي إخراجهم مِن ظلمات النفس إلى نور القربة ، ثم من نور القربة إلى نوره ، ثم قال : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ، وولي الله أخذهم وولي نصرهم على نفوسهم فتولّوا / أيّام الدنيا نصرة حقوقه ، ثم ولي أخذهم

١٥٧ ب

إليه وضمّهم إلى المحلّ بين يديه ، فولوا دعوة خلقه إليه والثناء عليه ، ثم وصف مَن هؤلاء الأولياء فقال : ﴿ٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، أي : اطمأنّوا إليه ، ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ، أي يتّقون أن يطمئنّوا إلى أحد سواه .

(٥١)

قال له قائل : صف لنا الخصال العشر التي تمّت له ولاية الله بها من التقويم والتهذيب وسائر الخصال التي ذكرت !

قال : نعم ! أقامه في المرتبة على شريطة اللزوم بها ليقوَّم ، فلمّا وفى له بالشرط ولم يبغ عملاً في محلّ القربة نُقل منها إلى ملك الجبروت ليقوّم به فجبر نفسه وقمعها بسلطان الجبروت حتى ذلّت وخشعت ، ثم نقله منها إلى ملك السلطان ليهذّب ، فذابت تلك العُدَد التي في نفسه وهي أصول تلك الشهوات قد صارت عدّة ثابتة ، ثم نقله منها إلى

---

١) محل القربة مَ. نَ : محل منزلة القربة حَ ‖ فولى – ٢) مالك الملك مَ : فولى نقلانه منها في لحظة والثاني خرجت له الولاية من الجود فولي نقلانه منها في لحظة ملكًا الى ملك الى مالك الملك حَ (كذا) : فولى بولاية منها إلى لحظة ملكًا ملكًا الى ملك الملك نَ ٢) قول الله مَ : قوله تعالى حَ ، نَ ٣) فالله حَ ، مَ : – نَ ‖ ظلمات مَ ، نَ : ظلمة حَ ٥) أخذهم حَ ، مَ : أمرهم نَ ‖ فتولوا حَ ، مَ : فقولوا نَ ‖ نصرة حَ ، مَ : نطره نَ ‖ أخذهم حَ ، مَ : اخرهم نَ ٦) فولوا – عليه مَ ، نَ : فولوا عن دعوة خلقه وأو الثناء حَ ‖ ثم – ٧) الأولياء مَ : وأولياء من وصف من هؤلاء الأولياء حَ : من وصف من هؤلاء الأولياء نَ ٧) الذين – ٨) سواه مَ ، نَ : الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب ، أي اطمأنوا اليه ، وكانوا يتقون ، أي يتقون خلقه أن يطمئنوا إلى أحد سواه حَ ١٠) العشر مَ ، نَ : العشرة حَ ‖ له – بها مَ ، نَ : له الولاية ولاية الله بها حَ ١٢) بها مَ : لها حَ ، نَ ‖ ليقوم مَ : والتقويم حَ : لتقوم نَ ١٣) في محل القربة مَ ، نَ : – حَ ‖ ليقوم به مَ : ليقوم له حَ : لتقوم نَ ‖ فجبر حَ ، مَ : بجبر نَ ‖ وقمعها بسلطان حَ ، مَ : ومنعها سلطان نَ ١٤) ذلت مَ ، نَ : حلت حَ ١٥) العدد حَ ، مَ : العزة نَ ‖ قد صارت نَ : فصارت حَ : قد صار مَ ‖ عدة ثابتة مَ : عنه بانية فيها حَ : عنده ثابتة نَ

....

٢) – ٣) القرآن الكريم ٢/٢٥٧
٤) القرآن الكريم ١٠/٦٢
٧) القرآن الكريم ١٠/٦٣

ملك الجلال ليؤدَّب ، ثم نقله منها إلى ملك الجمال لينقَّى ، ثم إلى ملك العظمة ليطهَّر ، ثم إلى ملك البهاء ليطيّب ، ثم إلى ملك البهجة ليوسّع ، ثم إلى ملك الهيبة ليربّى ، ثم إلى ملك الرحمة ليرطب ويقوّى ويشجّع ، ثم إلى ملك الفردية ليغذى ، فاللطف يغذوه والرأفة تجمعه ، فتكنُفه ، والمحبّة تقرّبه ، والشوق يدنيه ثم يقرّبه ، ثم يدنيه ، والمشيئة تؤدّيه إليه ، والجواد العزيز يقبله ، فيقرّبه ، ثم يدنيه ، ثم يقرّبه ، ثم يدنيه ، ثم يهمله ، ثم يؤدّيه ، ثم يناجيه ، ثم يبسط منه ، ثم يقبض عليه ، فأين ما صار فهو في قبضته وأمين من أمنائه ، فإذا صار إلى هذا المحلّ فقد انقطع الصفات وانقطع الكلام والعبارات ، فهذا منتهى القلوب والعقول .

(٥٢)

قال له قائل : فهل للقلوب منتهى ؟ فإنّ ناسًا يقولون : لا منتهى للقلوب لأنّ القلوب تصير إلى من لا منتهى له ، وكلّ وليّ يزعم أنّه قد انتهى مقامًا لا يتقدّمه أحد فهو مخطئ ، ومن أين يبلغ أحد عظمة الله حتى يكون للقلوب منتهى ؟

قال : بحقّ أقول لك : هذا قول أَحمَقَ صاحب كلام ومقاييس ، يفكّر في نفسه أشياء يتوهّمها ، ثم يقيسها من تلقاء نفسه ، فأحذرك أن تصغي سمعك إليها ، فإنّه ينطق عن لسان الشياطين ، وأنا أصف لك هذا الباب لتعلم أغواره إن شاء الله .

---

١) ثم الى ح . م : ثم نقله الى ن ٢) ثم الى ملك البهاء ليطيب م : — ح : ثم نقله الى ملك البهاء وبه طيب ن ‖ ثم — ليوسع م : — ح : ثم نقله الى ملك البهجة ليوسع ن ‖ ثم الى ملك الهيبة ح ، م : ثم نقله الى ملك الهيبة ن ‖ ليربي م . ن : ليزكى ح ثم الى — ٣) ملك الرحمة ح ، م : ثم نقله الى ملك الرحمة ن ٣) ليرطب م ، ن : فيرغب ح ‖ ثم الى ملك ح . م : ثم نقله إلى ملك ن ‖ الفردية ن : الفردانية ح ، م ‖ ليغذى م : ليعود ح : لنعرد ن (كذا) ‖ فاللطف يغذوه م : باللطف نعدوة ح : فباللطف نعدوه ن ٤) والرأفة م : الرأفة ح : وبالرحمة ن ‖ فتكنفه م : فيكفه ح : فيكتنفه ن ‖ والمحبّة ح ، م : وبالمحبة ن ‖ والشوق ح ، م : وبالشوق ن ‖ ثم يقربه ثم يدنيه م : — ح ، ن ‖ والمشيئة ح ، م : وبالمشيئة ن ٥) اليه م . ن : — ح ‖ والجواد ح ، م : وبالجواد ن ‖ فيقربه م ، ن : ويقربه ح ‖ ثم يقربه ثم يدنيه م ، ن : — ح ٦) يؤديه ح . م : يريده ن ‖ يبسط منه ح ، م : ينبسط ن ٧) الى ح . م : في ن ١٠) منتهى — للقلوب م . ن : — ح ١١) تصير م ، ن : تسيره ح ‖ من م : ما ح . ن ١٢) ومن م . ن : فمن ح ‖ أحد م : — ح : أحدًا ن ‖ حتى ح ، م : حيث ن ١٣) بحق أقول لك ح . م : نحن نقول ن ‖ قول ح . م : كلام ن ‖ كلام وح ، م : — ن ١٤) يتوهمها ح ، م : ويتوهمها ن ‖ يقيسها م : نعلسها ح : تغيسها ن (تحريف) ‖ سمعك م . ن : — ح ١٥) الشياطين م ، ن : — ح ‖ لتعلم م . ن : لتعرف ح ‖ أغواره م : عواره ح : عوراته ن ‖ شاء الله م . ن : + تعالى ح

(٥٣)

إعلمْ أنّ الله تبارك اسمه عرّف العباد أسماءه، ولكلّ اسم مُلك ولكلّ ملك سلطان، وفي كلّ ملك مجلس نجوى وهدايا لأهله، وجعل لقلوب خاصّته هناك مَقاوِم، أولئك الذين تخطّوا من المكان إلى الملك، فرُبّ وليّ مقامه في أوّل ملكه، وله من أسمائه ذلك الاسم. وربّ وليّ مقامه التخطّي إلى ملك ثان وإلى ثالث وإلى رابع، فكلّمَا تخطّى إلى ملك أُعطي ذلك الاسم، حتى يكون الذي يتخطّى جميع ذلك كلّه إلى ملك الوحدانيَّة الفرديّة هو الذي يأخذ بجميع حظوظه من الأسماء، وهو حظوظه من ربّه، وهو سيّد الأولياء وله خاتم الولاية من ربّه، فإذا بلغ المنتهى من أسمائه فإلى أين يذهب؟ وقد صار إلى الباطن الذي قد انقطعت عنه الصفات. وهل الأسماء إلاّ صفاته، وهل وصف نفسه لهم إلاّ ليحتظّوا من صفاته؟

(٥٤)

فحظوظ العامّة من صفاته إيمانهم بها، وحظوظ المقتصدين وعامّةِ الأولياء المقرّبين شرح الصدور بذلك واستنارة علم تلك الصفات في صدورهم، كلّ على قدره وعلى قدر نور قلبه، وحظوظ المحدّثين وهم خاصّة الأولياء ملاحظة تلك الصفات وإشراق نور تلك الصفات على قلوبهم في صدورهم، ولذلك قال: ﴿هُوَ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، فهل الظاهر إلاّ ما ظهر على القلوب؟ فإنّمَا يظهر بصفاته على قلوب خاصّة أوليائه، فإذا انتهت الصفات صار إلى الباطن الذي لا يُدرَى، فقد استقرّ القلب، وكلّما علم أنّه ليس وراء هذه صفة ووجد هناك محلاًّ علم أنّه لا يتقدّمه أحد.

---

٢) اعلم حَ: — مَ، نَ || تبارك اسمه مَ: تعالى حَ: جلّ وعلا نَ ٣) مجلس نجوى مَ: مجلس ونجوى حَ، نَ || وجعل — مقاوم مَ: وجعل الله لقلوب خاصته من الأولياء هناك مقامات حَ: وجعل القلوب خاصته هناك مقام نَ || أولئك — ٤) الذين تخطوا مَ: أولئك الأولياء الذين تخطوا حَ: أولئك تخطى نَ ٤) ملكه مَ: ملك حَ، نَ ٥) ملك ثان: ملك ثاني مَ، نَ (تصحيف): الملك الثاني حَ || والى ثالث والى رابع مَ، نَ: والثالث والرابع حَ || فكلما مَ، نَ: وكلما حَ ٧) الفردية مَ، نَ: الفردانية حَ || وهو حظوظه مَ: وهو محظوظ حَ: وان حظوظه نَ ٨) خاتم مَ، نَ: ختم حَ || فاذا بلغ حَ، مَ: فالى مبلغ نَ ٩) قد مَ، نَ: — حَ || وهل الأسماء — ١٠) صفاته مَ: وبدل الا صفاته وقد وصف نفسه لهم إلا ليخطوا من صفاته حَ: واهل الأسماء لاصفايه وهل نسبت إلا ليحظوا من صفاته نَ ١٢) فحظوظ حَ، مَ: بحظوظ نَ ١٣) بذلك مَ، نَ: لذلك حَ || استنارة حَ، مَ: استنار نَ || على قدر مَ: قدر حَ، نَ ١٤) خاصة حَ، مَ: خاص نَ ١٥) في مَ، نَ: وفي حَ || لذلك حَ، مَ: بذلك نَ ١٦) فإنما مَ: وإنما حَ، نَ ١٧) وكلّما حَ، مَ: فكلّما نَ ١٨) هذه حَ، مَ: أهله نَ || ووجد حَ: وجد مَ: ووجدك نَ || محلاً مَ، نَ: محل حَ

....

١٥) القرآن الكريم ٣/٥٧

(٥٥)

فاسأل هذا الزاعم زعمه : ما أوّل أسمائه وما الاسم الذي هو وليّه ، فإن كان يعجز عن علمٍ هذا ، فكيف لا يخوض فيما هو أَوْلى به؟

وحدِّثني عن الأنبياء كيف عرفوا مقاومهم ، فإن قال : بالنبوّة ، قيل له : هذا عرفوه بالولاية ، فإنّ النبوّة مع البرهان والولاية مع البرهان : أليس السكينة حقًّا من الله يُنزلها على أنبيائه وأوليائه؟ فكما صحّ الوحي له بالروح فكذلك يصحّ الحديث لهذا بالسكينة ، وسنوضح هذا إن شاء الله فيما بعد.

فأمّا قوله : فإنّ القلوب تصير إلى من لا منتهى له ، فليس بحجّة له ، وذلك أنّ القلوب جُعلت لها مقاوم ، وجُعِلَ للمقاوم منتهى ، فتصير تلك القلوب إلى المَقاوِم إلى من لاطخ (؟) والمَقاوِم أيضًا لا منتهى لها ، ولكن عدد المَقاوِم معلوم منتهاه.

قال : وما منتهى الواحد الفرد؟ فما وراء هذا ممّا تضبطه العقول؟ هل تقدر أن تورد شيئًا؟ فإنّمَا تسير القلوب بعقولها إلى محلّ يُعقَل وإنّمَا يُعْقَل ما ظهر ، فإذا انتهى إلى المعلوم ووقف على من لا يعقل عنه وراء ذلك شيء وقد بطن عنه ، فبأيّ اسم يدعوه وفي أيّ ملك يظهر له ويحدّثه؟

(٥٦)

قال له قائل : وصفتَ الأولياء وذكرت أنّ لهم سيّدًا وله خاتم الولاية ، فما هذا؟

قال : نعم ، ففرّغ سمعك واشحذ عقلك بالافتقار إلى الله في درك ما أريد أن أقول

---

٢) فاسأل مَ: فسل حَ: نسال نَ ‖ زعمه حَ، مَ: — نَ ‖ اول مَ، نَ: لنور حَ ‖ الذي مَ، نَ: والذي حَ ‖ وليه : أوّل أسمائه حَ : ولى أسمائه مَ، نَ ٣) لا حَ، نَ: — مَ ٤) مقاومهم مَ، نَ: مقاماتهم حَ ‖ قال مَ، نَ: قال هذا حَ ‖ قيل له مَ، نَ: فقل حَ ‖ عرفوه حَ: عرفه مَ، نَ ٥) حقًّا حَ: حق مَ، نَ ٧) الله مَ: + تعالى حَ، نَ ‖ بعد حَ، مَ: بعد هذا نَ ٨) لقلوب تصير مَ، نَ: القلب تسير حَ ‖ من حَ: ما مَ، نَ ‖ له مَ، نَ: — حَ ٩) جعلت مَ، نَ: جعل حَ ‖ مقاوم مَ، نَ: مقامات حَ ‖ للمقاوم منتهى نَ: للمقامات منتهى له حَ: المقاوم منتهى له مَ ‖ فتصير — ١٠) لاطخ مَ: — حَ: فتصير القلوب الى المقاوم الى ما لا منتهى له نَ ١٠) لاطخ: كذا ‖ والمقاوم مَ، نَ: والمقامات حَ ‖ عدد المقاوم مَ: عدد المقامات حَ: عدد المقام نَ ١١) قال – الفرد مَ: قال وما منتهاه قال الواحد الفرد حَ، نَ ‖ هل تقدر – ١٢) شيئًا مَ: هل يقدر أن يورد بشيء حَ: هذا يقدر أن يورد شيئًا نَ ١٢) القلوب حَ، مَ: القلب نَ ‖ يعقل مَ، نَ: العقلى حَ ١٣) على من حَ، مَ: على ما نَ ١٦) له قائل مَ: القائل حَ: له القائل نَ ‖ وله مَ، نَ: وان لهم حَ ١٧) ففرغ مَ، نَ: فرغ حَ ‖ واشحذ حَ، مَ: واسحل نَ ‖ بالافتقار مَ، نَ: في الافتقار حَ ‖ الله مَ، نَ: + تعالى حَ

لك . لعلّه يرحمك فيرزقك فهمه !

إعلم أنّ الله اصطفى من العباد أنبياء وأولياء ، وفضّل بعض النبيّين على بعض ، فنهم من فضّله بالخلّة ، وآخر بالكلام ، وآخر بالثناء وهو الزبور ، وآخر بإحياء الموتى ، وآخر بحياة القلب حتى لا يخطئ ولا يهمّ بخطيئة ، وكذلك الأولياء فضّل بعضًا على بعض ، وخصّ محمّدًا ﷺ بما لم يؤت أحدًا من خلقه ، فمن الخصوصيّة ما يُعَمّ على الخلق إلاّ على أهل خاصّته ، ومنها ما ليس / لأحد عنه محيص ولا محيد. ١٥٨ أ

(٥٧)

فكان الله ولا شيء معه ، فجرى الذكر وظهر العلم وجرت المشيئة ، فأوّل ما بدأ بدأ ذكره ، ثم ظهر في العلم علمه ، ثم في المشيئة مشيئته ، ثم في المقادير هو الأوّل ، ثم في اللوح هو الأوّل ، ثم في الميثاق هو الأوّل ، ثم هو أوّل من تنشقّ عنه الأرض ، وهو الأوّل في الخطاب ، والأوّل في الوفادة ، والأوّل في الشفاعة ، والأول في الجواز ، والأوّل في دخول الدار ، والأول في الزيارة ، فبهذا ساد الأنبياء ، ثم خُصّ بما لا يُدفَع وهو خاتم النبيّين ، وهو حجّة الله على خلقه يوم الموقف فلم ينل هذا أحد من الأنبياء.

(٥٨)

قال له القائل : وما خاتم النبوّة؟

قال : حجّة الله على جميع خلقه ، يحقّقه قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا

---

٢) الله نَ : + تبارك اسمه حَ : + تبارك وتعالى مَ ٤) وآخر بحياة القلب نَ : وآخر بالعصمة من الذنوب وحياة القلب حَ : وآخر بحيوة القلوب مَ ‖ حتى لا يخطئ مَ ، نَ : — حَ ‖ بعضًا حَ ، مَ : بعض الأولياء نَ ٥) من خلقه مَ : — حَ . نَ ‖ يغم على مَ : يعمى عن حَ : يعمى على نَ ٦) عنه حَ ، نَ : منه مَ ٨) فكان مَ . نَ : وكان حَ ‖ معه مَ : — حَ ، نَ ‖ بدأ بدأ مَ ، نَ : بدأ حَ ٩) هو الأوّل حَ ، مَ : — نَ ٩) — ١٠) ثم في اللوح هو الأول ثم في الميثاق هو الأول حَ : — مَ ، نَ ١٠) من مَ : يوم حَ : ثم نَ ‖ وهو الأول مَ : ثم هو الأول حَ : والأول نَ ١١) الوفادة نَ : الوفاء مَ : الوقار حَ ‖ والأول في الجواز حَ ، مَ : — نَ ١٢) الأنبياء مَ . نَ : — عليهم السلام حَ ‖ خص حَ . نَ : + صلوات الله مَ ١٣) النبيين مَ : النبوة حَ : النبيين بالنبوة نَ ١٥) القائل مَ . نَ : قائل حَ ١٦) جميع مَ ، نَ : — حَ ‖ يحققه مَ : بحقيقة حَ : محققة نَ ‖ الله عز وجل مَ ، نَ : قوله تعالى حَ ‖ وبشر حَ ، نَ : بشر مَ

....

١٦) — ٤٠ : ١) القرآن الكريم ٢/١٠

أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ، فشهد الله له بصدق العبودة . فإذا برز الديّان في جلاله وعظمته في ذلك الموقف وقال : يا عبيدي إنّما خُلقتم للعبودة فهاتوا العبودة ! فلم يبق لأحد حسّ ولا حركة من هول ذلك المقام إلاّ محمّد ﷺ . فذلك القدم له يتقدم <**به**> جميع صفوف المرسلين إلى ربّه بخطوة ، قد أتى بصدق العبودة لله ، فيقبله الله منه ويبعث به إلى المقام المحمود عند الكرسي . فيكشف الغطاء عن ذلك الختم ، ويحيط به نور وشعاع ذلك الختم ، وينبع من قلبه على لسانه من الثناء ما لم يسمع به أحد من خلقه ، حتى يعلم الأنبياء كلّهم بأنّ محمّدًا ﷺ كان أعلمهم بالله . فهو أوّل خطيب وأوّل شفيع . فيُعطَى لواء الحمد ومفاتيح الكرم ، لواء الحمد لعامّة الموحّدين ومفاتيح الكرم للأنبياء .

ولخاتم النبوّة بدء وشأن عجيب عميق أعمق من أن تحتمله . فقد رجوتُ أنّه قد كفاك هذا القدر من علمه .

(٥٩)

وصار محمّد ﷺ شفيعًا للأنبياء والأولياء ومن دونهم ، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ فيما يصف من شأن المقام المحمود فقال : حتى إنّ إبراهيم خليل الرحمن يحتاج إليّ في ذلك اليوم . حدّثنا بذلك الجارود بن معاذ عن النضر بن شميل عن هشام الدَستُوائي عن

---

١) فشهد م̄، ن̄: فيشهد ح̄ ‖ العبودة م̄، ن̄: العبودية ح̄ ‖ فاذا برز ح̄، ن̄: فينادى م̄ ٢) عبيدي ح̄، ن̄: عبدي م̄ ‖ خلقتم م̄، ن̄: خلقتكم ح̄ ‖ فهاتوا م̄، ن̄: فهات ح̄ ٣) محمد ح̄، م̄: محمدًا ن̄ ‖ فذلك القدم له م̄: فبذلك ح̄: فذلك القدم الذي له ن̄ ٤) جميع – الى ربه م̄، ن̄: الى ربه على جميع صفوف الأنبياء والمرسلين ح̄ ‖ بخطوة ح̄، م̄: بخطوط ن̄ ‖ قد م̄، ن̄: لأنّه قد ح̄ ‖ العبودة لله م̄: العبودية لله تعالى ح̄: العبودة اليه ن̄ ‖ الله – ٥) منه م̄: الله تعالى منه ح̄: الله منهم ن̄ ٥) ويحيط – ٦) الختم م̄: فيحيط النور وشعاع ذلك الختم يبين عليه ح̄: لبس عليه ن̄ ٧) بالله م̄، ن̄: + عز وجل ح̄ ٨) لواء م̄، ن̄: ولواء ح̄ ١٠) بدء وشأن عجيب عميق م̄: بدء شأن عميق ح̄: بدء وشأن عميق ن̄ ‖ تحتمله م̄، ن̄: + هذه ح̄ ‖ رجوت ح̄، م̄: حوت ن̄ ١٣) وصار محمد م̄: فصار محمد ح̄: فصار محمدًا ن̄ ‖ قول – الله م̄، ن̄: قوله ح̄ ١٤) المحمود ح̄: – م̄، ن̄ ‖ فقال م̄: – ح̄، ن̄ ‖ الرحمن م̄: + صلى الله عليه وسلم ح̄: الله ن̄ ١٥) حدثنا – ٤١ ، ١) سلم ح̄، م̄: يروى الحديث بإسناده ن̄

....

١٤) المعجم المفهرس ٢ : ٥٧آ

١٥) الجارود بن معاذ . قارن : H T 22. Nr. 60 ‖ النضر بن شميل . قارن : تهذيب ١٠ ، ٤٣٧ ، رقم ٧٩٤ ‖ هشام الدستوائي . قارن : تهذيب ١١ ، ٤٣ ، رقم ٨٥

حمّاد، رفعه إلى رسول الله ﷺ.

ألا ترى أنّ الله قد ذكر البُشرَى في غير آية، فلم يذكرها إلاّ مع الشرط، فقال: ﴿بَشِّرِ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، وذكرها فلم يشترط فقال: ﴿بَشِّرِ الَّذِيْنَ آمَنُوا﴾، يعلمهم أنّ نجاة الجميع في ذلك الجمع بهذا القدم الصدق.

(٦٠)

فأمّا الحجّة: فكأنّه يقول للأنبياء: معاشر الأنبياء، هذا محمّد جاء في آخر الزمان ضعيف البدن، ضعيف القوّة، ضعيف المعاش، قليل العمر، أتى بما قد ترون من صدق العبودة وغزارة العلم بي والمعرفة بي، وأنتم مع قواكم وأبدانكم وأعماركم لم تأتوا بما أتى!

وينكشف الغطاء عن الختم فينقطع الكلام ويصير حجّتَه على جميع الخلق، لأنّ الشيء المختوم محروس. وكذلك تدبير الله لنا في هذه الدنيا: إنّه اذا وُجِد الشيء بختمه زال الشكّ وانقطع الخطاب فيما بين الآدميّين.

(٦١)

فجمع الله أجزاء النبوّة لمحمّد ﷺ وتمّمها وختم عليها بختمه، فلم تجد نفسه ولا عدوّه سبيلاً إلى ولوج موضع النبوّة من أجل ذلك الختم.

ألا ترى إلى حديث الحسن البصري عن أنس بن مالك رضي الله عنهما في حديث

---

٢) قد م: — ح، ن ‖ يذكرها ح: يذكره م، ن ‖ فقال م، ن: — ح ٣) بشر ح، م: وبشر ن ‖ وعصوا الصالحات ح، م: الآية ن ‖ وذكرها ح، م: فقال وذكرها ن ‖ فلم م، ن: ولم ح ‖ بشر — ٤) آمنوا م، ن: + أن لهم قدم صدق عند ربهم ح ٤) نجاة ح، ن: نجات م ‖ الجمع م، ن: اليوم ح + اطنه ٦) للأنبياء ح، ن: الأنبياء م + عليهم السلام ح ‖ جاء ح، م: — ن ٨) العلم بي — بي م: المعرفة والعلم ح: العلم والمعرفة ن ‖ مع م: في ح، ن ‖ أتى م، ن: قد أتى ح ٩) وينكشف م، ن: ويكشف ح ‖ فينقطع ح، م: وينقطع ن ‖ يصير ح: تصير م، ن ‖ الخلق م، ن: خلقه ح ١٠) محروس ح، م: المحروس ن ‖ الله م: + تعالى ح: + عز وجل ن ‖ بختمه ح، م: مختومًا ن ١١) زال ح، م: وما زال ن ‖ الخطاب م، ن: الخصام ح ‖ فيما بين ح، م: فيما بين فيما بين ن (تصحيف) ١٣) الله م، ن: + تعالى ح ‖ وتمّمها وختم عليها: وتمّمها وختمها عليها ح: وتمّمه وختم عليه م، ن ١٤) أجل ح، م: — ن ١٥) البصرى ح، م: رحمة الله عليه ن ‖ رضي الله عنهما م: رضي الله عنه ح: — ن

....

١) حماد، هو حماد بن سلمة، قارن: GAS 9,43

٣) القرآن الكريم ٢/٢٥ ‖ القرآن الكريم ١٠/٢

١٥) الحسن البصري، قارن: EI، أنس بن مالك، قارن: EI

الشفاعة عن رسول الله ﷺ ، قال : إذا أتوا آدم يسألونه أن يشفع لهم إلى ربّه ، قال لهم آدم : لو أنّ أحدكم جعل متاعه في غيبته ثم ختم عليها فهل كان يؤتى المتاع إلاّ من قبل الخاتم؟ فأتوا محمّدًا ﷺ ، فهو خاتم النبيّين.

قال رضي الله عنه : ومعناه عندنا أنّ النبوّة تمامًا جمعها لمحمّد ﷺ ، فجعل قلبه لكمال النبوّة وعاءً وختم عليها ، ينبؤك أنّ الكتاب المختوم والوعاء المختوم ليس لأحد سبيل إليه في الانتقاص منه ولا في الازدياد فيه ما ليس منه ، وأنّ سائر النبيّين لم يختم لهم على قلوبهم فغير مأمون أن تجد النفس سبيلاً إلى ما فيها.

ولم يَدَع الله تلك الحجّة مكتومة في باطن قلبه ، وحتى أظهرها ، فكان بين كتفيه ذلك الختم ظاهرًا كبيضة حمام ، وله شأن عجيب تطول قصّته.

(٦٢)

فإنّ الذي عمي عن خبر هذا يظنّ أنّ خاتم النبيّين إنّما تأويله أنّه آخرهم مبعثًا ، فأيّة منقبة في هذا؟ وأيّ عَلَم في هذا؟ هذا تأويل البُله الجهلة!

وتأويل العامّة : خاتَم النبيّين مفتوح التاء ، ومن قرأ من السلف بكسر التاء ، فإنّما يؤوّل بأنّه خاتِم على معنى فاعِل ، أي : أنّه ختم النبوّة بالذي أُعطي من الختم.

---

١) عن – وسلم ح̄ ، م̄ : عنه عليه السلام ن̄ ‖ آدم م̄ : + عليه السلام ح̄ ، ن̄ ‖ قال ح̄ : منعال م̄ : فقال ن̄ ٢) آدم ح̄ ، م̄ : + عليه السلام ن̄ ‖ ان م̄ ، ن̄ : – ح̄ ‖ غيبته ح̄ ، م̄ : عينه ن̄ ‖ يؤتى ح̄ ، م̄ : يوفي ن̄ ٣) الخاتم م̄ ، ن̄ : الختم ح̄ ٤) قال – عنه م̄ : – ح̄ ، ن̄ ‖ تمامًا جمعها م̄ ، ن̄ : تمت بأجمعها ح̄ ‖ قلبه ح̄ ، م̄ : عليه ن̄ (تصحيف) ٥) وختم عليها م̄ : عليها ختم ح̄ : ثم ختم ن̄ ‖ سبيل – ٦) اليه : سبيل عليه ح̄ : سبيل الا اليه م̄ : عليه سبيل ن̄ ٦) في الازدياد م̄ : بالازدياد ح̄ ، ن̄ ‖ ما م̄ ، ن̄ : مما ح̄ ‖ سائر النبيين م̄ ، ن̄ : سائر الأنبياء عليهم السلام ح̄ ‖ لم م̄ ، ن̄ : – ح̄ ٧) النفس ح̄ ، م̄ : للنفس ن̄ ٨) تلك م̄ ، ن̄ : – ح̄ ‖ مكتومة ح̄ : مكتومًا م̄ ، ن̄ ‖ وحتى م̄ : حتى ح̄ ، ن̄ ‖ أظهرها ح̄ : أظهره م̄ ، ن̄ ‖ فكان ح̄ ، م̄ : وكان ن̄ ‖ كتفيه م̄ ، ن̄ : كتفي ح̄ ٩) حمام ح̄ ، م̄ : + مكتوب عليه محمد رسول الله ن̄ ‖ تطول ح̄ ، ن̄ : بطول م̄ ١١) خبر ح̄ ، م̄ : – ن̄ ‖ يظن ح̄ ، م̄ : نظر ن̄ (تصحيف) ‖ النبيين ح̄ ، م̄ : النبي عليه الصلوة والسلام ن̄ ‖ إنما تأويله ح̄ ، م̄ : ايمانًا ويله ن̄ (تصحيف) ‖ آخرهم م̄ ، ن̄ : + آخر النبيين ح̄ ‖ فأية – ١٢) منقبة م̄ : فأي مبعثه ح̄ : فاية مبعنه ن̄ ١٢) هذا تأويل ح̄ ، م̄ : تأويل ن̄ ١٣) وتأويل العامة م̄ : وقرأ العامة ح̄ : م̄ ، ن̄ : + تعالى ح̄ ‖ قدر ح̄ ، م̄ : قال ن̄ ‖ صلى – يأتي ح̄ ، م̄ : عليه السلام على أن يأتني ن̄ ‖ اذا م̄ ، ن̄ : فاذا ح̄ ٨) يعني م̄ : – ح̄ ، ن̄ ‖ احتاج : احتاجت ح̄ ، م̄ ، ن̄ ٩) الله م̄ ، ن̄ : + تعالى ح̄ ‖ تقدم ح̄ ، م̄ :

....

١) – ٣) المعجم المفهرس ٦ : ١٦٨ آ ؛ مسند أحمد بن حنبل ١ : ٢٨٢

وممّا يحقّق هذا ذلك ما رُوي في حديث المعراج من حديث أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية فيما يذكر من مجتمع الأنبياء في المسجد الأقصى ، ويذكر كلّ نبيّ منّة الله عليه ، فكان من قول رسول الله ﷺ أن قال : وجعلني خاتِمًا وفاتحًا ، فقال إبراهيم ﷺ للأنبياء : بهذا فضلكم محمّد ﷺ .

(٦٣)

فالنبوّة هو العلم بالله على كشف الغطاء وعلى اطّلاع أسرار من الغيب ، وبصرٍ نافذ في الأشياء بنور الله التامّ ، فمن أجل هذا قدر محمّد ﷺ أن يأتي بقدم صدق إذاً استوت
١٥٨ ب الأقدام – يعني أقدام الأنبياء / في صفّها – وسئل الصادقون عن صدقهم ، احتاج الأنبياء إلى عفو الله وتقدّم محمّد ﷺ أمامهم بخطوة الصدق الذي أتي به بارزًا على جميع الأنبياء بجود الله وكرمه بأنّه أُعطي النبوّة وختم عليها ، فلم يكلّمه عدوّ ولا أخذت النفس بحظّها منه .

وذلك قوله في تنزيله : ﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الحَكِيمِ﴾ ، فالألف آلاؤه واللام

---

١) هذا م̄: – ح̄ ، ن̄ ‖ من حديث – ٢) الربيع ح̄ ، م̄: – ن̄ ٢) عن أبي م̄: بن ابي ح̄ ‖ العالية م̄: الغالية ح̄ : القالية ن̄ ‖ الأنبياء ح̄ ، م̄: ÷ صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ن̄ ‖ في المسجد ح̄ ، ن̄ : من مسجد م̄ ‖ يذكر ح̄ ، م̄: نذكر ن̄ ‖ نبي ح̄ ، ن̄ : شي م̄ (تصحيف) ٣) منة ح̄ ، م̄: ما من ن̄ ‖ فكان م̄: وكان ح̄ ، ن̄ ‖ قول ح̄ ، م̄: قوله لهم عليه الصلوة والسلام وعليهم ن̄ ‖ أن م̄ ، ن̄ : انه ح̄ ‖ وجعلني ح̄ ، م̄: جعلني ن̄ ٤) صلى – سلم م̄: – ح̄ :عليه السلام ن̄ ‖ للأنبياء م̄: + عليهم السلام ح̄ : – ن̄ ٦) بالله م̄ ، ن̄ : + عز وجل ح̄ ‖ من الغيب ح̄ ، م̄: الغيب ن̄ ‖ بصر ح̄ ، م̄: نظر ن̄ ٧) الأشياء م̄: + المستورة ح̄ ، ن̄ ‖ الله م̄ ، ن̄ : + تعالى ح̄ ‖ قدر ح̄ ، م̄: قال ن̄ ‖ صلى – يأتي ح̄ ، م̄: عليه السلام على أن يأتني ن̄ ‖ اذا م̄ ، ن̄ : فاذا ح̄ ٨) يعني م̄: – ح̄ ، ن̄ ‖ احتاج : احتاجت ح̄ ، م̄ ، ن̄ ٩) الله م̄ ، ن̄ : + تعالى ح̄ ‖ تقدم ح̄ ، م̄: يقدم ن̄ ‖ أمامهم بخطوة الصدق م̄: على جميع الأنبياء أمامهم يخطوا بالصدق ح̄ : أمامهم بخطوة بالصدق ن̄ ١٠) الأنبياء ح̄ ، م̄: + صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ‖ بأنه ح̄ ، م̄ انه ن̄ ١١) منه م̄: منها ح̄ : – ن̄
١٢) وذلك – تنزيله م̄: وهذا قوله تعالى في تنزيله ح̄ : وذلك قوله ن̄

....

١) قارن : EI, s.v. *miʿrādj* ‖ أبو جعفر الرازي ، قارن : H T 20, Nr. 26
٢) الربيع . هو الربيع بن أنس البكري . قارن : تهذيب ٣ ، ٢٣٨ ، رقم ٤٦١ ‖ أبو العالية ، هو رفيع بن مهران الرياحي . قارن : تهذيب ٣ ، ٢٨٤ ، رقم ٥٣٩ ؛ EI, s.v. *Abū l-ʿĀliya*
١٢) القرآن الكريم ١/١٠

لطفه والراء رأفته . ثم قال : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ﴾ . فقد علم الله أنّ قوله : ﴿ أَنْذِرِ النَّاسَ ﴾ ، ممّا يذهل عقول الصادقين والمنتبهين . وقال على إثر ذلك : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . أي : إنّي أنذرتكم لقائي ووقوفكم بين يديّ في عظمتي وجلالي وإنّي أقتضيكم صدق العبودة ، فبشّر المؤمنين أنّ لهم قدم صدق . وهو هذا الرجل الذي أوحينا إليه بالنذارة ، فكما كان على لسانه الوعد والنذارة حتى ذهلت العقول ، فله قدم صدق الذي يدرأ عنكم بصدقه يومئذ ما فاتكم من الوفاء به وما ضيّعتموه من حقّ النبوّة .

وكذلك رُوي لنا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قوله : قدم صدق ، قال : محمّد شفيع لهم يوم القيامة ، وقولِ رسول الله ﷺ : إنّ لي في ذلك اليوم مقامًا محمودًا يحتاج الخلق فيه إليَّ حتى إبراهيمَ خليل الله ، وهذا ممّا يحقّق ما قلنا .

(٦٤)

ثم لمّا قبض الله نبيّه ﷺ صيّر في أمّته أربعين صِدّيقًا ، بهم تقوم الأرض ، فهم أهل بيته وآله . كلّما مات منهم رجل خلفه آخر يقوم مقامه ، حتى إذا انقرض عددهم وأتى وقت زوال الدنيا ابتعث الله وليًّا اصطفاه واجتباه وقرّبه وأدناه وأعطاه ما أعطى الأولياء

---

١) ثم قال مَ . نَ : — حَ ٢) الله مَ ، نَ : سبحانه عز وجل حَ ‖ أن قوله مَ : أن حَ : أن قوله أن نَ
٣) والمنتبهين مَ : المبلّتين حَ : والمنتبيين نَ ‖ وقال مَ : فقال حَ ، نَ ٤) أي مَ : — حَ ، نَ ‖ في حَ . مَ : — نَ ‖ وجلالي مَ . نَ : — حَ ٥) صدق العبودة مَ ، نَ : العبودية حَ ‖ فبشر — صدق مَ : وبشر الذين آمنوا أنهم قدم صدق عند ربهم حَ . نَ ٦) بالنذارة حَ ، مَ : — نَ ‖ فكما مَ ، نَ : فما حَ ‖ والنذارة مَ . نَ : والنذراة حَ (تصحيف) ٧) الوفاء مَ : الوقالة حَ : الوقاية نَ ‖ ضيعتموه مَ ، نَ : ضيعتني حَ
٩) وكذلك مَ . نَ : وكذا حَ ‖ رضي الله عنه مَ . نَ : — حَ ١٠) محمد مَ : + صلى الله عليه وسلم حَ . نَ ‖ شفيع لهم مَ : شفيعهم حَ : يشفع لهم نَ ‖ وقول رسول الله مَ : وقول الرسول حَ : وقوله نَ ١١) الخلق فيه الى مَ . نَ : الى الخلق فيه حَ ‖ خليل الله مَ : خليل الرحمن حَ : الخليل نَ ‖ وهذا مما يحقق ما قلنا مَ ، نَ : وهذا تحقيق ما قلناه حَ ١٣) الله مَ . نَ : + عز وجل حَ ١٤) كلما مَ . نَ : فكل ما حَ ‖ منهم رجل مَ . نَ : واحد منهم حَ ‖ آخر مَ . نَ : — حَ ‖ وأتى حَ . نَ : فاذا أتى مَ ١٥) ابتعث مَ ، نَ : يبعث حَ ‖ وأعطاه ما أعطى مَ : وأعطاه ما أعطاه حَ : أعطاه ما أعطا نَ

---

١) — ٤) القرآن الكريم ٢/١٠
٨) أبو سعيد الخدري . قارن : الوافي ١٥ . ١٤٨ ، رقم ٢٠٠
٩) قارن : Laoust, *Ibn Baṭṭa*, transl. 97, Anm. (1)

وخصّه بخاتم الولاية ، فيكون حجّة الله يوم القيامة على جميع الأولياء ، فيوجد عنده بذلك الختم صدق الولاية على سبيل ما وُجد عند محمّد ﷺ صدق النبوّة ، لم يكلّمه العدوّ ولا وجدت النفس سبيلاً إلى الأخذ بحظّها من الولاية ، فإذا برز الأولياء يوم القيامة واقتُضُوا صدق الولاية والعبودة وُجد الوفاء عند هذا الذي له خاتم الولاية تمامًا ، فكان حجّةَ الله عليهم وعلى سائر الموحّدين من بعدهم ، وكان شفيعهم ، إمام الأولياء فهو سيّدهم ساد الأولياء كما ساد محمّد ﷺ الأنبياء ، وينصب له مقام شفاعة ويثني على ربّه ثناءً ويحمده بمحامد تُقرّ الأولياء بفضله عليهم بالعلم بالله.

(٦٥)

فلم يزل هذا الوليّ مذكورًا في البدء أوّلاً وفي الذكر أوّلاً وفي العلم أوّلاً ، ثم الأوّل بالمشيئة ، ثم الأول بالمقادير ، ثم الأوّل في اللوح ، ثم الأوّل في الميثاق ، ثم الأوّل في الحشر ، ثم الأوّل في الخطاب ، ثم الأوّل في الوفادة ، ثم الأوّل في الشفاعة ، ثم الأوّل في الجواز ، ثم الأوّل في دخول الدار ، ثم الأوّل في الزيارة ، فهو في كلّ مكان أوّل الأولياء كما كان محمّد ﷺ أوّل الأنبياء ، فهو من محمّد عند الأذن والأولياء عند القفا ، فهو عبد مقامه بين يدي الله في ملك الملك ، ونجواه هناك في المجلس الأعظم ، وهو في قبضته ، والأولياء من خلفه دونه درجة درجة ، ومنازل للأنبياء مثال بين عينيه.

(٦٦)

فهؤلاء الأربعون في كلّ وقت هم أهل بيته ، ولست أعني في النسب ، إنّما هو أهل

---

١) فيكون – ٢) الولاية حَ ، مَ : – نَ ‖ جميع مَ : سائر حَ ٢) صدق مَ ، نَ : من صدق حَ ٣) يوم – ٥) الأولياء حَ ، مَ : – نَ ٤) العبودة مَ : العبودية حَ ‖ له خاتم مَ : ختم حَ ٥) إمام الأولياء مَ : يوم القيامة حَ ٦) الأنبياء حَ ، نَ : على الأنبياء مَ ‖ شفاعة مَ ، نَ : الشفاعة حَ ٧) ويحمده حَ ، نَ : ويحمد مَ ‖ تقر حَ : يقر مَ ، نَ ‖ بالعلم مَ : في العلم حَ ، نَ ٩) هذا حَ ، نَ : – مَ ‖ البدء – العلم أوّلاً مَ : البدء أولاً أولاً في الذكر وأولاً أولاً في العلم حَ : البدو وأولاً في الذكر وأولاً في العلم نَ ‖ ثم الأول – ١٠) بالمقادير مَ : ثم هو الأول في المشيئة ثم هو الأول في المقادير حَ : ثم الأول في المشيئة ثم الأول في المقادير نَ ١٠) ثم الأول في اللوح مَ ، نَ : ثم هو الأول في اللوح المحفوظ حَ ١١) المحشر مَ ، نَ : الحشر حَ ‖ الوفادة نَ : الوفاء مَ : الوفار حَ ١٣) محمد مَ ، نَ : محمدًا حَ ‖ فهو مَ : فهذا حَ ، نَ ١٤) يدي مَ : يديه حَ ، نَ ‖ الله مَ : – حَ ، نَ ‖ الملك حَ ، مَ : الملكوت نَ ١٥) للأنبياء مثال مَ : الأنبياء حَ : الأنبياء مثال نَ ‖ عينيه مَ ، نَ : يديه حَ

بيت الذكر، بُعث رسول الله ﷺ لإقامة ذكر الله وليبوّأ له مستقرًّا، وهو الذكر الصافي الخالص، فكلّ من آوى إلى ذلك المبوأ فهم آله وأهله، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: أهل بيتي أمان لأمّتي، فإذا ذهبوا أتى أمّتي ما يوعدون، فإذًا صار هؤلاء الأربعون أمانًا للأمّة، بهم تقوم الأرض، وبهم يستسقون الغيث، فإذا ماتوا أتاهم ما يوعدون، ولوكان يعني به أهل بيت النسب لكان يستحيل أن لا يبقى أحد منهم فيموتوا عن آخرهم، وقد كثّر الله عددهم حتى لا يُحصَى.

(٦٧)

قال له القائل: جميع ما وصفتَ من صفة الأولياء هو في الباطن، فهل لهم علامة في الظاهر يُعرَفون بها؟ وهل يلزم تصديقهم إذا ادّعوا الولاية؟ وما الفرق بين النبوّة والولاية؟ وما المحدَّث من الأولياء؟

قال: الفرق بين النبوّة والولاية أنّ النبوّة كلام ينفصل من الله وحيًا معه روح من الله فينقضي الوحيُ فيختمه بالروح فبه قَبولُه، فهذا الذي يلزم تصديقه، ومن ردّه فقد كفر لأنّه ردّ كلام الله. والولاية لمن ولي الله حديثه على طريق الخزائن، فأوصله إليه، فله الحديث، ينفصل ذلك الحديث من الله على لسان الحقّ معه السكينة التي في قلب المجذوب فيقبله ويسكن إليه.

(٦٨)

قال: وما الحديث من الكلام وما الفرق بينهما؟

قال: الحديث ما أظهر من عِلمه الذي برز في وقت المشيئة، فذاك حديث في النفس كالسرّ، إنّما يُرفَع ذلك الحديث محبّةً من الله لهذا العبد، فيمضي مع الحقّ إلى قلبه

---

١) بعث حَ. مَ: بعد نَ ‖ لإقامة ذكر مَ، نَ: لامة وذكر حَ ‖ وليبوّأ له مستقرًّا مَ: وليبؤ له مستقر حَ: وليبوى لهم مستقرًا نَ ٢) الى حَ. مَ: — نَ ٣) ذهبوا حَ، مَ: ذهب أهل بيتي نَ ‖ فإذًا مَ: فلما حَ: فإنّما نَ ٤) يستسقون حَ: يسقون مَ. نَ ٥) أن لا مَ، نَ: الا ان حَ ‖ أحد منهم مَ: منهم أحد حَ. نَ ‖ فيموتوا مَ. نَ: فيموتون حَ ٦) يحصى مَ، نَ: يحصون حَ ٨) القائل مَ. نَ: قائل حَ ‖ هو حَ. نَ: — مَ ‖ فهل حَ. مَ: فما نَ ١٠) وما — الأولياء حَ. مَ: — نَ ١١) الفرق — والولاية حَ. مَ: — نَ ١٢) فينقضي مَ: فيقضي حَ، نَ ‖ فيختمه مَ: يختمه حَ: ويختمه نَ ١٣) الله مَ، نَ: + تعالى حَ ‖ الخزائن مَ، نَ: أخرى حَ ‖ فأوصله مَ، نَ: وأوصله حَ ١٤) ينفصل مَ. نَ: وينفصل حَ ‖ الله مَ، نَ: + عز وجل حَ ‖ التي مَ: تلقاه السكينة حَ: تلقاه السكين التي نَ ١٥) المجذوب مَ، نَ: المحدث حَ ١٨) أظهر مَ: ظهر حَ، نَ ‖ فذاك مَ: فذلك حَ، نَ ١٩) الله مَ، نَ: + تعالى حَ

فيقبله القلب بالسكينة ، فمن ردّ هذا فلم يكفر ، ولكن يخيب ويصير وبالاً عليه ويبهت قلبه ، لأنّ هذا ردّ على الحقّ ما جاءت به محبّة الله من علم الله في نفسه ، فأودعه الحقّ وجعله مؤدّيًا إلى هذا القلب ، والأوّل ردَّ على الله كلامه ووحيه وروحه .

(٦٩)

فالمجذوب والمحدّث لهم منازل ، فمنهم من أعطي ثلث النبوّة ومنهم من أعطي نصفها ومنهم من له زيادة حتى يكون أوفرهم حظًّا من ذلك مَن له ختم الولاية .

قال له القائل / : إنّي أهاب هذا القول أن يكون لأحد من النبوّة شيء سوى ١٥٩ أ
الأنبياء !

قال : ألم يبلغك حديث رسول الله ﷺ أنّه قال : الاقتصاد والهدى الصالح والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوّة ، فإذا كان المقتصد له من أجزاء النبوّة ما ذُكر فما ظنّك بالسابق المقرّب؟

(٧٠)

قال له قائل : وما الروح وما الوحي وما الحقّ وما السكينة وما المحبّة؟

قال : الروح والوحي ما قال الله في تنزيله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ . وأمّا السكينة فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، والمحبّة قوله : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ ، والحقّ هو حفظة التوحيد الذي ورد على القلب .

---

١) رد هذا حـ ، م: رده ن ‖ ولكن م: بل حـ : ولكنه ن ‖ بخيب حـ ، م: عنت ن (تحريف) ٢) في حـ . م: عن ن ٣) مؤديًا حـ ، م: ماديًا ن ‖ والأول حـ ، ن: والأولى م ‖ كلامه حـ ، م: لأنه كلامه ن ٥) فالمجذوب والمحدث م ، ن : فالمحدثين حـ ٦) له حـ ، م تكون له ن ‖ من ذلك م ، ن : في ذلك حـ ‖ له ختم م ، ن : ختم له حـ ٩) الصالح م ، ن : — حـ ١٠) من النبوّة م ، ن : من أجزاء النبوّة حـ ١١) ما ذكر ن : بما ذكر م : ما ذكرت حـ ١٣) قائل م ، ن : القائل حـ ١٤) الله في تنزيله م : وما قال الله في كتابه حـ : الله تعالى في تنزيله ن ١٥) وأمّا السكينة م : — حـ ، ن ‖ فقال حـ : ما قال م : وقال ن ١٦) قوله م . ن : في قول الله تعالى حـ ‖ ورد حـ ، ن : وردت

....

٩) — ١٠) المعجم المفهرس ٥ ، ٣٩٦ ب

١٤) القرآن الكريم ٥٢/٤٢

١٥) القرآن الكريم ٤/٤٨

١٦) القرآن الكريم ٥٤/٥

قال له القائل : قد عرفتُ أنّه مذكور كلّه في التنزيل ، وإنّما ابتغيت معرفة نفس هذه الأشياء لا الأسماء !

قال : هيهات ! أنت محتاجٍ إلى الصبر عن معرفة هذا حتى إذا ارتقيت من طريق أهل الإرادة إلى محلّ القربة فُرِّتبَ لك هناك فسل حينئذ عن هذه الأشياء ، فإن ناولتك الحاجة إلى معرفة هذا من عند سادات الأولياء المحدّثين – وهم بمكانتهم في مراتب القربة هناك تشخص أبصارهم إلى من يعرف هذا من عندهم – فإنّ علم هذه الأشياء عندهم وهو الحكمة العليا التي يقال لها حكمة الحكمة.

(٧١)

قال له القائل : قد وصفت الفرق بين النبيّ والمحدَّث ، فما صفة هؤلاء الآخرين من الأولياء ؟

قال : إنّ أهل الطريق يناجون ، ومن في هذه المراتب يُناجَى ، والمجذوبين يحدَّثون ، فالحديث من حيث أعلمتك ، والنجوى من العطاء ، تُرمَى إليه مقالات من نوركأنّ قائلاً يقول كذا ، ليس معه حرّاس النبيّين ولا المحدّثين من الروح والسكينة وتولية الوحي والحقِّ تلك المقالاتِ ، فصاحبه منه في ريب لا يأمن أن يخالطه العدوّ بشيء أو تمازجه النفس بخدعها ودواهيها ، فكم من مريد مخلّط استمع إلى نجواه فركن إليها وقد مازجته النفس بدواهيها فإذا هو ضحكة للشياطين ، تحدّث نفسه في نفسه بشيء فيحسبه من الله فيركن إليه.

---

١) القائل ح ، م : قائل ن ‖ معرفة نفس — ٢) هذه الأشياء م ، ن : منه معرفة الأشياء ح ٢) لا الأسماء ح ، م : — ن ٣) قال — ٤) الأشياء ح ، م . ٣) اذا ح : اذ م ‖ ارتقيت م : رقي بك ح ‖ من م : عن ح ٤) لك م : — ح ‖ ناولتك م ، ن : أولئك ح ٥) من [illegible] م : — ح ، ن ‖ وهم — ٦) عندهم ح ، ن : — م ‖ في ح : من ن ٦) من يعرف ح : تعرف ن ‖ عندهم : عند سادات الأولياء المحدثين ح ، ن ٩) القائل ح ، م : قائل ن ‖ الآخرين ح ، م : الآخر ن ١١) ومن — المراتب م : وهم ومن في هذه المرتبة ح : ومن هذه المرتبة ن ‖ والمجذوبين م : والمحدثين م ، ن ‖ يحدثون م ، ن : يحدون ح ١٢) فالحديث م ، ن : والحديث ح ‖ النجوى ح ، م : النحو ن ‖ ترمى ح : يرمى م : يرقي ن ‖ نور م : بعد ح ، ن ١٣) ليس ح ، ن : أليس م ‖ تولية ح ، م : قوله ن ١٤) يأمن ح ، م : تلب ن ١٥) فكم - ١٦) بدواهيها ح ، م : — ن ‖ مخلط م : غلط ح ١٦) للشياطين م ، ن : للشيطان ح ‖ في نفسه م ، ن : — ح ‖ فيحسبه ح : فيحسبها م ، ن ١٧) اليه : اليها ح ، م ، ن

قال له قائل : فهل يأمن المحدّث أن تكون نفسه تأتي بمثل ذلك أو عدوّه؟

قال : فأين الحقّ والسكينة ؟ فكما أنّ النبوّة من الله فكذلك الحديث من الله على جهة ما ذكرتُ لك ، وكما أنّ النبوّة محروسة بالوحي والروح فكذلك الحديث محروس بالحقّ والسكينة ، فالنبوّة يأتي بها الوحي ، والروح قرينه ، والحديث يأتي به الحقّ ، والسكينة قرينه . وسكينته متقدّمة للنبوّة ، والحديث في قلب النبيّ والمحدّث رائب ، وإنّما سمّيت سكينة لأنّها تسكّن القلب عن الريب والحزازة إذا ورد الحقّ بالحديث عن الله فكذلك الروح تعمل عملها على القلب إذا ورد الوحي عن الله ، ألا ترى بني إسرائيل لمّا أُعطوا السكينة وجدوا ثقلها وعلموا أنّهم يعجزون عن احتمالها على القلوب ، فسألوا الله أن يجعلها لهم في التابوت ، فكانت تنطق من التابوت وتسكّن القلوب بمنطقها فيعملون على ذلك .

ولمّا أُمر إبراهيم عليه السلام ببناء البيت قرنت له السكينة حتى أتى البقعة فالْتَوَت السكينة حتى صارت بمقدار البيت ، ثم نادت : أن ابنِ على قدر ظلّي ! فالسكينة مقدار من الله تلتوي وتنقبض وتمتدّ بمقدار ما يريد الله ، فهو حارس ما يورد به الوحي ويورده الحقّ وقابِل ومسكّن ، فأيّ ريب ههنا مع هذا؟

(٧٢)

قال له قائل : فليس للعدوّ مع هذا سبيل؟

قال : سبيله ههنا كسبيله في الوحي ! أليس قد ابتلي الرسل بذلك؟ فهل ترك الله

---

١) قائل م̄، ن̄: القائل ح̄ ‖ فهل م̄: وهل ح̄: هل ن̄ ‖ المحدث م̄، ن̄: المجذوب والمحدث ح̄ ٢) السكينة م̄، ن̄: والسكر منه ح̄ ‖ فكما م̄، ن̄: وكما ح̄ ٥) وسكينته م̄: والسكينة ح̄: وسكينة ن̄ ‖ رائب م̄: راتب ن̄: ثابت ح̄ ‖ سميت – ٦) سكينة ح̄، م̄: سمى السكينة ن̄ ٦) الريب ح̄، م̄: الذنب ن̄ ‖ والحزازة م̄: والحرارة ح̄، ن̄ ‖ الله م̄، ن̄: + تعالى نصل ح̄ ٧) على م̄، ن̄: في ح̄ ‖ الله م̄، ن̄: + تعالى ح̄ ترى ح̄، م̄: ترى ان ن̄ ٨) وجدوا ح̄، م̄: ووجدوا ن̄ ‖ احتمالها م̄، ن̄: + واستعمالها ح̄ ٩) فكانت تنطق ن̄: وكانت تنطق ح̄: فكان ينطق م̄ ‖ بمنطقها م̄، ن̄: بنطقها ح̄ ‖ فيعملون ح̄، م̄: ويعملون ن̄ ١١) قرنت له م̄: قرن به ح̄، ن̄ ‖ السكينة م̄، ن̄: – ح̄ ‖ فالتوت ح̄، م̄: والتوت ن̄ ١٢) صارت ح̄، ن̄: صار م̄ ‖ بمقدار ح̄، م̄: مقدار ن̄ ‖ ثم نادت ح̄، م̄: – ن̄ ‖ أن م̄، ن̄: – ح̄ ١٣) تمتدّ ح̄، م̄: تميل ن̄ ‖ يورد به م̄، ن̄: يورده ح̄ ‖ يورده ح̄، م̄: يورد ن̄

٧) قارن القرآن الكريم ٢٤٨/٢ ؛ تفسير ابن كثير ١ ، ٥٣٥ ؛ Goldziher, *Abhandlungen* 1,177.

ذلك الأمر في لبس؟ أليس قد نسخ ما ألقى الشيطان في أمنيّته وأحكم آياته؟ وإنّما كان ذلك مرّة واحدة. وقال الله تعالى في تنزيله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾، وكان ابن عبّاس يقرأ: ولا محدّث، يُخبر أنّ ذلك كان ممّا يُتلَى ثم تُرك، حدّثنا بذلك الجارود، قال: حدّثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عبّاس، فعلى قراءة ابن عبّاس للمحدّث ذكر في التنزيل، إلاّ أنّ تلاوته قد تُركت كما تُرك قوله: لو أنّ لابن آدم واديَين من ذهب لابتغى لهما ثالثًا، وكآية الرجم وأشياء كثيرة.

(٧٣)

فكأنّه قرن الرسالة والنبوّة والحديث في طلق واحد، على قراءة ابن عبّاس، فصيّرهم من المرسلين.

قال له القائل: وكيف صيّرهم من المرسلين؟

قال: لم أعن المرسلين إلى الخلق إنّما عنيت المرسلين من الله، فكلّ من ولي الله أمره واصطنعه واتّخذه فهو مرسل إلى الدنيا ومبعوث، ألا ترى إلى ما ذكر من ذكر أعدائه الذين كان أعدّهم عقوبةً لعباده من بني إسرائيل قوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُم عِبادًا لَنَا أُولِي

---

١) قد نسخ حَ، مَ: نسخ الله نَ ‖ في أمنيّته مَ: — حَ، نَ ٢) مرة حَ، نَ: — مَ ‖ الله تعالى مَ: — حَ: الله نَ ٣) الاّ – أمنيته حَ: — مَ، نَ ‖ وكان مَ، نَ: فكان حَ ‖ عباس حَ، مَ: + رضي الله عنهما نَ ‖ يقرأ مَ: يقرؤها حَ، نَ ‖ يخبر حَ، مَ: ويخبر نَ ٤) كان مما يتلى مَ: مما يتلى به حَ: مما كان يتلى نَ ‖ بذلك الجارود مَ، نَ: الجارود بذلك حَ ‖ قال حدثنا مَ: حدثنا حَ: وحدثنا نَ ٥) عباس مَ، نَ: رضي الله عنهما حَ ‖ فعلى مَ، نَ: — حَ ‖ قراءة حَ، نَ: قرأت مَ ‖ عباس حَ، مَ: + رضي الله عنهما نَ ٦) قد مَ: — حَ، نَ ‖ قوله مَ، نَ: — حَ ‖ ذهب حَ، مَ: مال نَ ‖ لابتغى – ثالثًا حَ: — مَ، نَ ٩) فكأنه مَ، نَ: وكان حَ ‖ فصيرهم حَ، مَ: فصير كلهم نَ ١٠) من المرسلين حَ، مَ: والمرسلين نَ ١١) القائل مَ: قائل حَ، نَ ‖ وكيف مَ، نَ: كيف حَ ١٢) لم أعن حَ: لم أعني مَ: الم أعن نَ ‖ الى مَ، نَ: من حَ ‖ من الله مَ: + عز وجل حَ: الى الدنيا نَ ‖ فكل مَ، نَ: وكل حَ ‖ الله مَ، نَ: + تعالى حَ ١٣) واصطنعه حَ، مَ: واصطعنه نَ ‖ الى ما ذكر حَ، مَ: ما ذكرت نَ ١٤) الذين حَ، مَ: الذي نَ ‖ عقوبة لعباده مَ، نَ: — حَ ‖ قوله مَ: فقال حَ، نَ ‖ عليكم حَ: عليهم مَ، نَ

---

٢) – ٣) القرآن الكريم ٢٢.٥٢

٤) سفيان بن عيينة، قارن: الوافي ١٥، ٢٨١، رقم ٣٩١؛ GAS 1.96, Nr. 17

٥) عمرو بن دينار، قارن: تهذيب ٨، ٣٠، رقم ٤٦

١٤) – ٥١، ١ القرآن الكريم ١٧/٥

بَأْسٍ شَدِيْدٍ﴾ ، فهم بعيث الله في الشرّ والعقوبة ، وهؤلاء بعيثه في الخير والغياث ، فقوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ﴾ ، أي : مَا أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ ، فهل أُرسِلَ نبيّ إلى أحدٍ؟ فلو كان كذلك فهو الرسول ، فأيّ شيء الفرق بين الرسول والنبيّ؟ فالرسول ينبئ ويُرسَل إلى قوم ليخبر ويؤدّي الرسالة ، والنبيّ الذي تنبأ ولا يرسل إلى أحد . فإذا سئل أخبر لهم ، وهو في خلال ذلك يدعو إلى الله ويعظهم ويبيّن لهم السبل في شريعة الرسول .

فالرسول له شريعة قد أتى بها عن الله يدعو القوم إلى تلك الشريعة ، والنبيّ الذي لم
١٥٩ ب يرسل هو يتبع شريعة ذلك الرسول ويدعو الخلق / إلى تلك الشريعة التي أتى بها الرسول ويدلّهم عليها .

فكذلك المحدّث يدعو إلى الله على سبيل تلك الشريعة ويدلّهم عليه ، وما يرد عليه على لسان الحقّ عن الله هو بشرى وتأييد وموعظة ، ليست بناسخة لشيء من الشريعة ، بل هي موافقة لها ، فما خالفها فهو وسوسة .

(٧٤)

فهذا الرسول والنبيّ والمحدّث قد قرن ابن عبّاس في تلاوته التنزيلَ ذكرَهم في طلق واحد وأنّهم مرسلون من عند الله ، وقد أخذ الله ميثاق كلّ واحد منهم على حدته : ميثاق الرسول برسالته ، وميثاق النبيّ بنبوّته ، وميثاق المحدّث بولايته ، وهم كلّهم يدعون إلى

---

١) فهم بعيث الله مَ : وهو بعث حَ : فنهم من بعثه نَ ‖ وهؤلاء بعيثه مَ : وهؤلاء بعثه حَ : ولا يعينه نَ ‖ الغياث حَ ، مَ : العقاب نَ ٢) فقوله مَ : بقوله حَ : قوله نَ ٣) أرسل نبي مَ ، نَ : أرسلنا نبيًّا حَ ‖ فأي حَ ، مَ : اى فاى نَ ٤) فالرسول مَ : والرسول الذى حَ : الرسول الذي نَ ‖ ينبئ مَ : سا حَ ، نَ ‖ يرسل مَ ، نَ : ايرسل حَ (تصحيف) ‖ قوم مَ ، نَ : قومه حَ ‖ ليخبر حَ ، مَ : ونخبروا نَ ‖ يؤدّى مَ : يدعى حَ : يؤدوا نَ ٥) أخبر لهم مَ : أخبر حَ : أخبرهم نَ ‖ الى الله مَ ، نَ : الى الحق لله حَ ٦) السبل مَ ، نَ : السبيل حَ ٧) فالرسول – ٨) الرسول حَ ، مَ : – نَ ‖ الله مَ : + تعالى حَ ٨) هو يتبع مَ : وهو تبع حَ ١٠) فكذلك – عليه حَ ، مَ : – نَ ‖ الله مَ : + عز وجل حَ ‖ عليه مَ : عليها حَ ‖ يرد عليه حَ ، نَ : يرد عليهم مَ : مصحح بالهامش : يردّ عليه ١١) هو مَ ، نَ : هي حَ ‖ لشيء حَ ، نَ : للشيء مَ ١٢) بل هي حَ : هو مَ ، نَ ‖ موافقة حَ ، مَ : موافق نَ ‖ فهو حَ : فهي مَ : هو نَ ‖ وسوسة مَ ، نَ ، وسواس حَ ١٤) قرن حَ ، مَ : قرأ نَ ‖ عباس مَ ، نَ : + رضي الله عنهما حَ ‖ في تلاوته التنزيل : في تلاوة التنزيل حَ : في تلاوته في التنزيل مَ : في تلاوته بالتنزيل نَ ‖ طلق حَ ، نَ : طبق مَ ١٥) وأنهم مَ ، نَ : بأنهم حَ ‖ الله مَ ، نَ : + تعالى حَ ‖ وقد حَ ، مَ : فقد نَ ١٦) المحدث حَ ، مَ : الحديث نَ ‖ وهم مَ : فهم حَ ، نَ

....

٢) القرآن الكريم ٥٢/٢٢

الله. إلاّ أنّ المرسل يقتضي أداء الرسالة بالشريعة. والنبيّ يقتضي الخبر عن الله، ومن ردّهما فقد كفر. والمحدّث حديثه له تأييد وزيادة تنبيه في شريعة الرسول، فإذا أنفقها على عباد الله كانت له بها إلى الله وسيلة ووجهة، ومن ردّه خاب عن بركته ونوره لأنّه أمر رشيد يدلّ على الله ويدعو إلى الله وينصح الله في عباده، كما ذكر عليّ رضي الله عنه حيث سئل عن ذي القرنين فقال: عبد ناصح لله فنصحه. وكما ذكر الله تعالى لقمان في تنزيله فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ﴾، ثم قال: ﴿يُؤْتِ الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، وقال: ﴿قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، فالدعاة على بصيرة أيضًا هم تابعو محمّد ﷺ على طريق الصفاء، ومن لم يتبع ذلك فهو داع إلى الحقّ.

(٧٥)

عدنا إلى ذكر ما كنّا فيه. فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم أحكم الله آياته، فإنّما وجد العدوّ سبيلاً إلى قلبه حتى أدرج وسوسته في الوحي بأمنيّة النفس، فأمنيّة الرسول خطرات. فإذا ابتلي بخطرة واحدة وجد العدوّ سبيلاً بتلك الواحدة، لأنّ الخطرة إذا

١) الله م، ن: + تعالى ح ‖ المرسل م: الرسول ح: الرسل ن ٢) تنبيه ح، م: بينة ن ‖ فاذا م: فإن ح، ن ‖ أنفقها م، ن: انفقها ح ٣) عباد م، ن: عبادة ح ‖ كانت – وسيلة م: كان له بها الى الله تعالى وسيلة ح: كانت بها الى الله الوسيلة ن ‖ وجهة ح، م: الرحمة ن ‖ رده ح: ردها م، ن ٤) رشيد ح، م: ورشد ن ‖ يدل – الى الله م، ن: يدعو الى الله تعالى ويدل عليه ح ‖ وينصح – عباده م: وينصح له في عباده ح: – ن ‖ كما – عنه ح: وكما ذكر في رحمة الله تعالى م: – ن ٥) حيث م، ن: حين ح ‖ فقال ح، ن: قال م ‖ لله م: الله ح، ن ‖ تعالى ح، م: – ن ٦) فقال ح، ن: قال م ‖ يشاء م، ن: + الآية ح ‖ ومن – ٧) كثيرًا م، ن: – ح ٨) بصيرة م: + أي على معاينة ثم قال ح، ن ‖ فالدعاة م، ن: + الى الله تعالى ح ‖ أيضًا م: – ح، ن ‖ تابعو محمد ح، م: بايعوا محمدًا ن ٩) داع ح، م: داعى ن ١١) عدنا ح، م: عندنا ن ‖ ذكر م: – ح، ن ‖ الا – ١٢) آياته م: الآية الى قوله ثم يحكم الله آياته ح: إلّا إذا تمنّى ألقى الشيطان أمنيّته الآية الى آياته ن ١٣) العدو م، ن: الشيطان ح ‖ الى قلبه – ١٤) سبيلاً ح، م: – ن ‖ وسوسته م: وسوسة ح ١٤) بخطرة م: بخطرات ح ‖ سبيلاً م: + الى قلبه ح

....

٦) القرآن الكريم ١٢/٣١ ‖ القرآن الكريم ٢/٢٦٩

٧ – ٨) القرآن الكريم ١٢/١٠٨

١١ – ١٢) القرآن الكريم ٢٢/٥٢

التفت صاحبها إليها فقد فُتق الباب المرتق . فرمى العدوّ كلمة في ذلك الفتق ، فمرّت الكلمة وصار الباب رتقًا كما كان . وجرت الكلمة مُدرَجةً في كلام الله في غطاء الأمنيّة مخفيّة مستورة عن القلب . حتى إذا انتبه القلب لمّا نُبّه وأخذه من الهول والفزع ما لا يحاط به وصفًا عزّاه الله بعظيم المصيبة التي حلّت به من أجل ذلك ، فقال : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاّ إِذَا تَمَنَّى﴾ ، حلّ به هذا ، فلستَ بأوّل من ابتلي بهذا .

فإنّما نُبّه لِما حُدّث لينسخ عن لسانه كلمة الشيطان ويحكم آياته ، فهل كان هذا إلاّ مرّة واحدة؟ أفليس قد قَبِلَ ما جاءه من الوحي بعد ذلك؟ وهل اتّهم قلبه ونفسه بعد ذلك؟ بل قال : إنّه قد تبيّن لي من أمري ما تبيّن ، فكيف لي بأن لا أصدّق ما يرد على قلبي بعد هذا ، فهل وقع في ريب ممّا جاء به الوحي بعد ذلك؟ فأين عمل الروح على قلبه حتى يصير الوحي مقبولاً؟

(٧٦)

فكذلك المحدّث إن حلّ به مثل ذلك ، لم يتركه الله ، وذلك حتى يتداركه وحتى ينسخ عن قلبه ما اندرج في حديثه عن رمي الشيطان ، ثم يطمئنّ بعد ذلك إلى ما يرد من الحديث . فأين عمل السكينة وأين حراسة الحقّ وأداؤه عن الله؟ فشأن المحدّث أعظم من أن يستخفّ بحديثه ، والرسول ﷺ يقول : اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله تعالى ! فإذا كانت الفراسة ممّا يتّقى تحقيقه ، وهو جزء من أجزاء الحديث ، وإنّما هو نَظَرٌ

---

١) اليها ح ، م : – ن || المرتق م ، ن : المغلق ح ٢) وصار ح ، ن : وصارت م || كان ح ، ن : كانت م || مدرجة م : مندرجة ح ، ن ٣) لما نبه ح ، م : لما فيه ن || الهول م ، ن : الذهول ح ٤) وصفًا م ، ن : – ح || عزاه – به م ، ن : – ح || بعظيم م : بعظم ن ٦) فإنّما م ، ن : وانما ح || لما حدث م ، ن : بما جرى ح || عن ح ، م : على ن || فهل م ، ن : وهل ح || إلا – ٧) مرة واحدة ح ، م : الأمر ن ٧) أفليس : فليس م ، ن : أليس ح || ما – الوحي م : من الوحي ما جاءه ح : ما جاء من الوحي ن || وهل ح ، م : هل ن || قلبه ونفسه م : نفسه وقلبه ح : نفسه فيما كان ن ٨) بل قال ح : وقال م : فقال ن || لي من م ، ن : من ح || لا ح : – م ، ن || على م ، ن : به على ح ٩) وقع ح ، م : – ن || في م ، ن : من ح || مما م ، ن : فيما ح || بعد م ، ن : من بعد ح || فأين م ، ن : بأثر ح ١٠) يصير م ، ن : يصدر ح ١٢) ذلك م ، ن : هذا ح || لم م ، ن : ثم ح || وذلك ح ، م : وذاك ن || وحتى – ١٣) ينسخ م : الله وحتى ينسخ ن : ينسخ ح ١٣) ثم يطمئنّ م : ثم يطهر ح : حتى يطمئن ن || يرد م ، ن : رد ح ١٤) الله ح ، م : + عز وجل ن ١٥) صلى – سلم م : عليه السلام ح ، ن

....

١٥ – ١٦) المعجم المفهرس ٧ : ٢٩٨ ب ؛ وقارن : نوادر الأصول ٢٧١ ، أصل ٢٢٧

وليس بخبر يُرَدّ ، وكذلك الإلهام هو قَذف من الله في قلب العبد – فكيف الحديث ؟ حدّثنا الجارود عن الفضل بن موسى عن زكريّا بن أبي زائدة عن سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : قد كان في الأمم قوم يَتكلّمون من غير أن يكونوا بأنبياء . فإن يك في أمّتي منهم فعمر بن الخطّاب . قوله : يتكلّمون أي : عن الله .

حدّثنا عبد الجبّار . حدّثنا سفيان عن ابن عجلان عن سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : قد كان في الأمم محدّثون ، فإن يك في أمّتي فعمر بن الخطّاب رضي الله عنه .

والمحدّث له الحديث والفراسة والإلهام والصِدّيقيّة ، والنبيّ له ذلك كلّه والنبوّة ، والرسول له ذلك كلّه والرسالة ، ومن دونهم من الأولياء لهم الفراسة والإلهام والصدّيقيّة .

(٧٧)

ورُوي عن رسول الله ﷺ أنّه قال : إنّ الله ضرب الحقّ على لسان عمر وقلبه ، حدّثنا

---

١) وليس م̄ ، ن̄ : فليس ح̄ ‖ وكذلك م̄ ، ن̄ : وكذا ح̄ ‖ الله ح̄ ، م̄ : + عز وجل ن̄ ‖ قلب ح̄ ، م̄ : حق ن̄ ‖ فكيف الحديث ح̄ ، م̄ : – ن̄ ٢) حدّثنا – ٣) سلمة ح̄ ، م̄ : وكذلك الحديث باسناده عن أبي سلمة ن̄ ‖ بن أبي م̄ : بن ح̄ ‖ سعد ح̄ : سعيد م̄ ٣) عن عائشة م̄ : – ح̄ ، ن̄ ‖ قالت م̄ : قال ح̄ ، ن̄ ‖ قد م̄ ، ن̄ : – ح̄ ‖ يتكلمون م̄ ، ن̄ : يكلمون ح̄ ٤) بأنبياء م̄ ، ن̄ : أنبياء ح̄ ‖ يك م̄ ، ن̄ : يكونوا ح̄ ‖ منهم – الخطّاب م̄ : فعمر منهم يعني بن الخطاب رضي الله عنه ح̄ : فعمر بن الخطاب ن̄ ‖ يتكلمون م̄ ، ن̄ : يكلمون ح̄ ٥) الله م̄ : – تعالى ح̄ : + عز وجل ن̄ ٦) حدثنا – ٧) قالت ح̄ ، م̄ : وعن عائشة رضي الله عنها قالت ن̄ ‖ حدّثنا سفيان م̄ : عن سفيان ح̄ ٨) رضي الله عنه ح̄ ، م̄ : – ن̄ ٩) كله م̄ ، ن̄ : – ح̄ ١٠) كله م̄ ، ن̄ : – ح̄ ١٢) وروى م̄ ، ن̄ : روى ح̄ ‖ عمر ح̄ ، م̄ : علي ن̄ ‖ حدثنا – ٥٥ ، ٣) وقليه ح̄ ، م̄ : – ن̄

....

٢) الفضل بن موسى ، قارن : تهذيب ٨ ، ٢٨٦ ، رقم ٥٢٥ ‖ زكريّا بن أبي زائدة ، قارن : تهذيب ٣ ، ٣٢٩ ، رقم ٦١٦ ‖ سعد بن إبراهيم . قارن : الوافي ١٥ ، ١٤٨ ، رقم ٢٠١

٢) – ٣) أبو سلمة ، قارن : تهذيب ١٢ ، ١١٥ ، رقم ٥٣٧ ‖ عائشة ، قارن : EI

٤) عمر بن الخطاب ، قارن : EI

٦) عبد الجبار ، قارن : H T 19, Nr. 13 ‖ سفيان ، هو سفيان بن عيينة ‖ ابن عجلان ، هو محمد بن عجلان . قارن : تهذيب ٩ . ٣٤١ ، رقم ٥٦٤

٧) – ٨) المعجم المفهرس ١ . ٤٣٤ آ ؛ مسند أحمد بن حنبل ٦ ، ٥٥

١٢) المعجم المفهرس ١ . ٤٨٦ آ

بذلك أحمد بن أبي بكر العمري، قال: حدّثني أبو بكر بن أبي أويس، قال: حدّثني محمّد بن عبد الرحمن بن نعيم المقرئ عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله ضرب الحقّ على لسان عمر وقلبه.

ورُوي عن ابن عمر أنّه قال: ما كنّا نبعد أنّ السكينة تنطق على لسان عمر، وما حذّر عمر شيئًا إلاّ نزل، ورُوي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: ما لقي الشيطان عمر إلاّ خرّ لوجهه، فهل كان هذا إلاّ من سلطان الحقّ وحراسة الولاية؟ ولهذا ما جاء عن النبيّ ﷺ أنّه قال: لو كان بعدي نبيّ لكان عمر، حدّثنا بذلك سليمان بن نصير، قال: أخبرنا المقرئ عن حيوة بن شريح.

(٧٨)

قال له القائل: فإن ورد على قلبه شيء لا يوافق الكتاب؟

قال: إنّ ولاية الله له تغيثه كما أغاث الله الرسول ﷺ في رسالته حتى ينسخ عن قلبه وحي الشيطان، ومُحال أن يكون قلب موصوف بهذا بأن يُترَك مخذولاً، ولو جاز هذا أن

---

١) حدثني مَ: حدثنا حَ ‖ أويس مَ: إدريس حَ ‖ قال مَ: – حَ ٢) بن نعيم مَ: بن أبي نعيم حَ ٤) وروى مَ: ويروى حَ: وعن نَ ‖ عمر حَ، مَ: + رضي الله عنهما نَ ٥) حذر حَ: حرز مَ: حدث نَ ‖ وروى عن رسول الله مَ: روى عن النبي حَ: وعن رسول الله نَ ‖ خر مَ، نَ: فر حَ ٦) هذا حَ، مَ: – نَ ٧) عمر حَ، مَ: + بن الخطاب نَ ‖ حدثنا – ٨) شريح حَ، مَ: – نَ ‖ بذلك مَ: – حَ ‖ نصير مَ: نصر حَ ٨) أخبرنا مَ: حدثنا حَ ‖ بن شريح مَ: عن شريح حَ ١٠) القائل مَ: قائل حَ، نَ ١١) له مَ، نَ: – حَ ‖ الله مَ: – حَ، نَ ‖ صلى – سلم مَ، نَ: – حَ ‖ ينسخ مَ، نَ: نسخ حَ ١٢) بأن مَ: – حَ: أن نَ ‖ هذا مَ، نَ: لهذا حَ

....

١) أحمد بن أبي بكر العمري، مجهول ‖ أبو بكر بن أبي أويس، هو عبد الحميد بن عبد الله، قارن: جرح ٣: ١٥، رقم ٧٢

٢) محمد بن عبد الرحمن، لعلّه محمد بن عبد الرحمن العمري البصري، قارن: ميزان ٣، ٦٢١، رقم ٧٨٣٩؛ لسان ٥، ٢٤٥، رقم ٨٥٠ ‖ نافع، قارن: تهذيب ١٠، ٤١٢، رقم ٧٤٢ ‖ ابن عمر، هو عبد الله بن عمر ٥) – ٦) فيض ٥، ٤٦٤، رقم ٧٩٧٤

٧) المعجم المفهرس ٦، ٣٣٢ب ‖ سليمان بن نصير، مجهول

٨) المقرئ: لعلّه عبد الله بن يزيد المخزومي، قارن: تهذيب ٦، ٨٢، رقم ١٦٣؛ تقريب ١، ٤٦٢، رقم ٧٥٠ ‖ حيوة بن شريح، قارن: جرح ٢/١، ٣٠٦، رقم ١٣٦٦؛ تهذيب ٣، ٦٩، رقم ١٣٥؛ تقريب ١: ٢٠٨، رقم ٦٥٩

يدوم إذًا لبطلت الولاية ، وإنّما يجوز هذا التخليط ودوام مثل هذه الأشياء لمثل هؤلاء المريدين الذين هم في / هذا الطريق ، ومن وصل إلى المرتبة ونفسه معه مشحونة بتلك ١٦٠ أ المكامن بدهاء النفس فأُلزم المرتبة على شريطة اللزوم ليهذّب . فهو كالمكاتَب الذي يعتق على مال . فهو عبد ما بقي عليه درهم . فأمّا من أُعتق جودًا ورحمةً عليه قد صار حرًّا لا تَبِعَةٌ عليه لمن كان يملكه .

(٧٩)

فكذلك هذا أُعتق على شريطة لزوم المرتبة هو كالمكاتَب ، فهو عبد ما بقي عليه خُلق من أخلاق النفس ، والمجذوب أعتقه الله من رقّ النفس حين جذبه فقد صار حرًّا ، وألزم المرتبة حين هُذّب وأُدّب وطُهّر ، فأعتقه الله من رقّ النفس بجوده بلا تبعة ، لم يبق للنفس فيه مطالبة خُلق من أخلاقها ، فهو أيضًا مجذوب من المرتبة ، وقد بيّن الله ذلك في تنزيله فقال : ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ . فالمجتبى من جباه الله فجذبه . فهو من أهل جبايته من المشيئة . والآخر ممّن هداه الله الوصولَ إليه بالإنابة ، فالأوّل من أهل مشيئته والثاني من أهل هدايته ، ولا تخلو الدنيا من هذه الأمّة مِن قائم بحجّة . كما قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : اللّهمّ لا تخل الأرض من قائم بحجّة

---

١) وإنّما م . ن : فإنّما ح ‖ هذا م . ن : لهذا ح ‖ دوام م . ن : حرام ح ٢) ونفسه معه م . ن : ومعه نفسه ح ‖ بتلك – ٣) النفس : بتلك المكامن بدهاة النفس م : بدهاة مكامن النفس ح : تلك المكامن بدهات النفس ن ٣) فألزم م . ن : وألزم ح ‖ ليهذب م . ن : – ح ٤) أعتق م ، ن : أعتقه ح ‖ ورحمة ح . م : أو رحمة ن ‖ قد م : فقد ح . ن ٧) أعتق م . ن : اعطى ح ‖ شريطة ح ، م : شرط ن ‖ هو م . ن : فهو ح ‖ فهو م . ن : وهو ح ٨) الله م . ن : + تعالى ح ‖ حين – ٩) النفس ح ، م : – ن ‖ حين م : حتى ح ‖ فقد صار م : فصار ح ٩) حين م : حتى ح ‖ وطهر م : + وزكى ح ‖ الله م : + تعالى ح ‖ بجوده م : من جوده ح : من حور ن ١٠) خلق م . ن : بخلق ح ‖ وقد بين م ، ن : فقدس ح ‖ ذلك ن : – ح ، م ‖ تنزيله م . ن : – ذلك ح ١١) فالمجتبى – ١٢) فجذبه م : والمجتبى من اختاره الله تعالى واجتذبه ح : فالمجتبا من اجتباه الله وجذبه ن ١٢) جبايته ح : جبية م : جدايته ن (تصحيف) ‖ الله – إليه م : بالوصول اليه ح : الله للوصول ن ١٣) من هذه م : في ح ، ن ١٤) كما ح . م : فا ن ‖ رضي الله عنه ح ، ن : عليه السلام م ‖ تخل ن : تخلى ح : تخلف م

....

١١) القرآن الكريم ١٣/٤٢
١٤) – ٥٧ ، ١) الكافي ١ ، ١٧٨ ، رقم ٧

كي لا تبطل حجج الله وبيّناته . وقال في تنزيله : ﴿قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ ، ولم يجعلها إلاّ لتابعيه ، فتابعوه من تابَعَه على جميع ما جاء به من عند الله قلبًا وقولاً وفعلاً .

(٨٠)

قال له القائل : فما علامة الأولياء في الظاهر؟

قال : أوّلها ما رُوي عن رسول الله ﷺ حيث قيل له : من أولياء الله؟ قال : الذين إذا رُؤُوا ذَكَّروا الله ، وما رُوي عن موسى عليه السلام أنّه قال : يا ربّ من أولياؤك؟ قال : الذين إذا ذُكرت ذكروا وإذا ذكروا ذكرت ، والثانية أنّ لهم سلطان الحقّ ، لا يقاومهم أحد حتى يقهره سلطان حقّه ، والثالثة أنّ لهم الفراسة ، والرابعة أنّ لهم الإلهام ، والخامسة أنّ من ناوأهم صُرع وعوقب بسوء العاقبة ، والسادسة اتّفاق الألسنة بالثناء عليهم إلاّ من ابتلي بحسدهم ، والسابعة استجابة الدعوة وظهور الآيات مثل طيّ الأرض والمشي على الماء ، ومحادثة الخضر الذي يطأ الأرض ، برّها وبحرها وسهلها وجبلها ، في طلب مثله شوقًا إليه ، وللخضر قصّة عجيبة في شأنهم ، قد كان عاين شأنهم في البدء في وقت المقادير . فأحبّ أن يدركهم فأُعطي الحياة حتى بلغ من شأنه أنّه يُحشر مع هذه الأمّة في زمرتهم ليكون لمحمّد ﷺ تبعًا ، وهو رجل من قرن إبراهيم خليل الله وذي

---

١) كى حَ ، مَ : حتى نَ ‖ حجج حَ ، مَ : حجة نَ ‖ وقال حَ ، مَ : + عز وجل نَ ٢) بصيرة مَ : + على معاينة حَ : + أي على معاينة نَ ‖ اتبعني مَ : + فلم يجعل الدعاء الى الله إلاّ على بصيرة حَ ، نَ : الا – نَ ‖ لتابعيه حَ ، نَ : التابعيه مَ ‖ جميع حَ ، مَ : – نَ ٣) الله مَ ، نَ : + تعالى ‖ فعلاً مَ : فهم أهل هذه الطبقة حَ : + فهي هذه الطبقة نَ ٥) القائل مَ : قائل حَ ، نَ ٦) قيل له حَ ، مَ : سئل نَ ٨) ذكرت – ذكرت مَ ، نَ : ذكروا ذكرت واذا ذكرت ذكروا حَ ‖ والثانية مَ ، نَ : الثانية حَ ‖ أن حَ ، مَ : – نَ ٩) أحد حَ ، نَ : أحدًا مَ ‖ يقهره حَ ، مَ : يقر نَ ١٠) العاقبة حَ ، مَ : الخاتمة نَ ١١) عليهم حَ : عليه مَ ، نَ ‖ بحسدهم : بحسده حَ ، مَ ، نَ ‖ الآيات حَ ، مَ : الآثار نَ ١٢) الخضر مَ : + عليه السلام حَ ، نَ ‖ يطأ مَ ، نَ : تطوى له حَ ١٣) للخضر مَ : + عليه السلام حَ ، نَ ‖ قد كان حَ ، مَ : كان قد نَ ‖ في البدء حَ ، مَ : – نَ ١٤) فأعطى الحياة حَ ، مَ : فأعطى أن يدركهم فأعطى الحيوة الدنيا نَ ‖ حتى مَ ، نَ : أحتى حَ ‖ مع حَ ، نَ : من مَ ١٥) في مَ ، نَ : وفي حَ ‖ ليكون – تبعًا مَ : ليكون تبعًا لمحمد ﷺ حَ : حتى يكون تبعًا لمحمد ﷺ نَ ‖ ابراهيم خليل الله مَ : ابراهيم الخليل حَ : ابراهيم عليه السلام نَ

....

١) – ٢) القرآن الكريم ١٢/١٠٨

٦) – ٨) قارن المعجم المفهرس ٢ : ٢٠١ آ ؛ الأولياء ١٠٤ ؛ وقارن : نوادر الأصول ١٤٠ ، أصل ١٠٣ ؛ Einleitung 1.5.2

القرنين، وكان على مقدّمة جنده حيث طلب ذو القرنين عين الحياة، ففاتته وأصابها الخضر، في قصّة لها طول، وهذه آياتهم وعلاماتهم، وأوضح علاماتهم ما ينطقون به من العلم من أصوله.

(٨١)

قال له القائل: وما ذلك العلم؟

قال: علم البدء وعلم المقادير وعلم يوم الميثاق وعلم الحروف، فهذه أصول الحكمة وهي الحكمة العليا، فإنّما يظهر هذا العلم عند كبراء الأولياء ويقبله عنهم من له حظّ من الولاية.

وأمّا شمائلهم: فالقصد والهدى والحياء واستعمال الحقّ فيما دقّ وجلّ وسخاوة النفس واحتمال الأذى والرحمة والنصيحة وسلامة الصدر وحسن الخُلق مع الله في تدبيره ومع الخَلق في أخلاقهم.

(٨٢)

قال له قائل: فهذا الذي وصفته، وقال بعض الناس إنّ الوليّ لا يرى، وإنّه في قباب الله، وإنّه مبرقع في برقع الله، فإنّه يأكل الحشيش، ولا يُرزأ من الدنيا إلاّ ما يسرّه، وإنّه لا يكلّم أحدًا، ويحسب في نفسه أنّه شرّ الخلق ويمقت نفسه.

قال له: هذا قول رجل أحمق يتوهّم إفكًا من تلقاء نفسه، لم يمرّ قطّ بباله عندي شأن الولاية على وجهه، هذا قول رجل لم يشمم شيئًا من رَوح هذا الطريق، ومعه

---

١) وكان على م̄، ن̄: وعلى ح̄ ‖ حيث م̄، ن̄: حتى ح̄ ‖ ففاتته ح̄، م̄: ففاته ن̄ ‖ وأصابها ح̄: وأصابه م̄، ن̄ ٢) لها طول م̄: طويلة ح̄، ن̄ ‖ وأوضح علاماتهم م̄: فأوضح علاماتهم ح̄: — ن̄ ‖ به ح̄: — م̄، ن̄ ٣) من أصوله ح̄، م̄: أصوله ن̄ ٥) القائل م̄: قائل ح̄، ن̄ ٦) علم البدء م̄: على البدى ح̄: علم العلم ن̄ ‖ وعلم المقادير — ميثاق م̄، ن̄: وعلم يوم الميثاق وعلم المقادير ح̄ ٧) فإنما — العلم م̄، ن̄: فلما نظر هذه العلوم ح̄ ‖ الأولياء ح̄، ن̄: لأولياء م̄ ٩) دق وجل م̄، ن̄: جلّ ودق ح̄ ١٣) قائل ح̄، م̄: القائل ن̄ ‖ وصفته وقال م̄: تصفه قال ح̄: يصفه ن̄ ‖ وإنّه م̄، ن̄: لأنّه ح̄ ١٤) الله م̄، ن̄: + تعالى ح̄ ‖ الله م̄، ن̄: + تعالى ح̄ ‖ فانه م̄: وانّ ح̄، ن̄ ‖ يرزأ من م̄: يرى من ح̄: يرى من امر ن̄ ‖ إلا ما يسرّه ن̄: إلا ما يستره ح̄: الا يستره م̄ ١٦) له هذا قول م̄: هذا القائل ح̄: هذا قول ن̄ ‖ إفكًا م̄: أشياء ح̄: شيئًا ن̄ ‖ نفسه ح̄، م̄: — ن̄ ‖ لم — بباله م̄، ن̄: لم يخطر بباله قط ح̄ ‖ عندي ح̄، م̄: عدى ن̄ (تصحيف) ١٧) هذا — رجل م̄: وهو قول رجل ح̄: هذا رجل ن̄ ‖ يشمم شيئًا م̄: يشم ح̄: يشم شيئًا ن̄

أشغال نفسه، فهو يحسب أنّه قد بلغ المنتهى غباوةً وجهالةً وبلاهةً، ويرى خدائع نفسه، فهو يزوّر في نفسه شأن الوليّ أنّه لا يستقيم أمره على ما يرى من نفسه حتى يهرب من الخلق ويعتصم بالمفاوز ويكون غامضًا لا يُعرف، ويجتزئ بالدون من المعاش، هذا رجل يبتغي الولاية من طريق الجهد والصدق فيه، ولا يعلم أنّ لله عبادًا نالوا ولايته من طريق المِنّة!

(٨٣)

ويقوّيه أيضًا ما بلغه عن رسول الله ﷺ أنّه قال فيما يحكي عن ربّه: إنّ أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ، ذو حظّ من صلاة، أحسن عبادة ربّه، وكان غامضًا في الناس، عجلت منيّته وقلّ تراثه وقلّت بواكيه.

فيُقَوَّى على ما توهّم في نفسه بهذا الحديث، أفلا يرجع إلى عقله فيعلم أنّ الأولياء بينهم تفاوت، وأنّ الوليّ الذي يطلب غموضًا في الناس ويُخفي شأنه إنّما يفعل ذلك من أجل أنّه لم يصل إلى الله فتحرق أنوار الوصول إليه شهوات نفسه، وهذا مكان الضعفاء، وحقّ للوليّ الضعيف أن يفعل ذلك ويكون على حذر من الأدناس، فإنّه إن لم يفعل لم يحلّ محلّ القدس، وقد رُوي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: مؤمن قويّ ومؤمن ضعيف، والمؤمن القويّ أحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف وكلاهما يحبّه الله، فهو هذا الذي ذكرنا

١٦٠ب ولأنّه لو / كان كما وصف لكان له الفضل على الصدّيق والفاروق.

---

١) أشغال نفسه م̄: اشتغال بنفسه ح̄: استعمال نفسه ن̄ ‖ غباوة – بلاهة م̄: عتاهة وبلاهة ح̄: عباهة وملاهة ن̄ (تصحيف) ٢) يزور ح̄، م̄: يرى ن̄ ‖ من نفسه م̄، ن̄: في نفسه شأن الولى ح̄ ‖ يهرب م̄، ن̄: هرب ح̄ ٣) بالمفاوز م̄، ن̄: بالمفارقة ح̄ ‖ غامضًا ح̄، م̄: – ن̄ ‖ يجتزئ ح̄، م̄: يجزى ن̄ ٤) الجهد ح̄، م̄: الجهل ن̄ ‖ ولا ح̄، م̄: وما ن̄ ‖ لله م̄، ن̄: + عز وجل ح̄ ٧) فيما يحكى م̄، ن̄: – ح̄ ‖ ربه م̄: + عز وجل ح̄، ن̄ ٨) صلاة ن̄: الصلوة ح̄، م̄ ٩) عجلت م̄، ن̄: + له ح̄ ١٠) فيقوى ح̄، م̄: نبقوا ن̄ ‖ بهذا م̄، ن̄: من هذا ح̄ ‖ الأولياء – ١١) بينهم م̄: اولياء الله بينهم ح̄: الاولياء فيهم ن̄ ١١) وأن م̄، ن̄: فإن ح̄ ‖ يفعل م̄، ن̄: يخفى ح̄ ١٢) اليه م̄: – ح̄، ن̄ ‖ نفسه ح̄، م̄: النفس ن̄ ١٣) للولى م̄، ن̄: الولى ح̄ ‖ إن لم يفعل م̄، ن̄: – ح̄ ١٤) وقد ح̄، م̄: – ن̄ ١٥) من – الضعيف ح̄، م̄: – ن̄ ‖ الله م̄، ن̄: + عز وجل ح̄ ‖ فهو هذا م̄، ن̄: فهذا ح̄ ‖ ذكرنا م̄، ن̄: ذكرناه ح̄ ١٦) ولأنه لو م̄: ولو ح̄: ولين ن̄ (تصحيف) ‖ وصف م̄، ن̄: + من شأن الولي ح̄ ‖ له ح̄، م̄: – ن̄ ‖ الصديق والفاروق ح̄، م̄: القصد ن̄

....

٧ – ٩) المعجم المفهرس ١، ٢١٢ آ؛ وقارن: نوادر الأصول ١٥٧، أصل ١٢٣

١٤) المعجم المفهرس ٣، ٥١٢ ب

فعياذ بالله أن يكون ما وصف من شأن الوليّ صفة الأقوياء ، وهذا رسول الله ﷺ رأس الأولياء ، وبعده الصدّيق من رؤوس الأولياء ، وبعده عمر ، فهل كان أحد منهم غامضًا في الناس؟ وفيما حكى الله تعالى في تنزيله فقال : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ . إلى آخر الصفة . فقال : ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ : رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ . فمن سأل ربّه الإمامة للمتّقين هل يكون غامضًا؟ فليس قد أثنى الله عليهم وقال : هم أصحاب الغرف في علّيّين . فقال : ﴿أُولٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ ، أي : على هذه الخصال وعلى الكون بين يدي الله بقلوبهم . ولم تقدر النفوس أن تأخذهم .

(٨٤)

فالذي وصف هذا الرجل من شأن الوليّ إنّما قاسه على بلاء نفسه واشتغاله ، فظنّ أنّ الوليّ إنّما يكون أبدًا هاربًا من هذه الأشغال ، ولا يعلم أنّ لله عبادًا قد قطع لهم من خزائن المنن قطائع ، فجاءت تلك الأنوار فطارت بقلبه إلى العُلى ، فجالت به في الملكوت مُلكًا مُلكًا الى ذي العرش ، حتى أحرقتْ جميع ما في صدورهم من نواجم النفس ، ثم مالت إلى النفوس فأحرقت ما فيها ، ثم بلغت المكامن التي فيها النواجم فأحرقتها ، فصارت نفسه

---

١) فعياذ مَ: فنعاذ حَ : – نَ ‖ بالله – الأقوياء مَ: بالله أن يكون كما وصف من شان الولى وصفة الأولياء حَ : – نَ ‖ وهذا – سلم حَ ، مَ: – نَ ٢) رأس الأولياء حَ ، مَ: – نَ ‖ وبعدهُ الصديق من رؤوس الأولياء مَ: وبعده الصديق رضي الله عنه حَ : عن رؤس الأولياء نَ ‖ وبعده عمر مَ: وبعده الفاروق رضي الله عنه حَ : وبعده عمر رضي الله عنه نَ ٣) وفيما حَ ، مَ: وما نَ ‖ تعالى حَ ، مَ: – نَ ٤) الصفة مَ: القصة حَ ، نَ ٥) ذرياتنا حَ ، مَ: ذريتنا نَ ‖ ربه مَ. نَ : + عز وجل حَ ٦) غامضًا مَ: + في الناس حَ ، نَ ‖ فليس مَ. نَ : أليس حَ ٧) أي حَ ، مَ: – نَ ‖ الله مَ، نَ : + تعالى حَ ١٠) فالذي مَ: والذى حَ ، نَ ‖ واشتغاله مَ. نَ : + بها حَ ١١) لله مَ. نَ : + عز وجل حَ ‖ من مَ، نَ : – حَ ١٢) قطائع مَ: قطايعا حَ ، نَ (لحن) ‖ العلى حَ ، مَ: العلا نَ ‖ في حَ ، مَ: الى نَ ١٣) أحرقت مَ، نَ : أحرق حَ ١٤) النفوس مَ. نَ : النفس حَ ‖ فاحرقت – فيها مَ: واحرقت جميع مـ فيها حَ : فاحرقت نَ ‖ بلغت مَ: تتبعت حَ ، نَ ‖ فيها مَ: منها حَ ، نَ

....

٣) – ٤) القرآن الكريم ٢٥/٦٣

٤) – ٥) القرآن الكريم ٢٥/٧٤

٧) القرآن الكريم ٢٥/٧٥

كمفازة جرداء وقلبه أزهر بمصابيح الله، كما وصف رسول الله ﷺ المؤمن فقال: قلبه أجرد أزهر، كما وصف في حديث آخر حيث قيل له: أيّ المؤمنين أفضل؟ قال: كلّ مؤمن مخموم القلب، قالوا: وما مخموم القلب؟ قال: التقيّ النقيّ لا إثم فيه ولا بغي ولا غلّ ولا حسد.

(٨٥)

وإنّما يخفى شأن الوليّ على صنفين من الناس: على هؤلاء البله الذين قد تبلّهت قلوبهم من الجهل، والصنف الآخر قوم في زيّ الأشكال، قد تشمّموا من رَوح هذا الشأن شيئًا، فأعماهم حسد نفوسهم عن شأنه، فصار مثلهم في ذلك كما حكى الله في تنزيله عن أهل عداوته فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾. وقال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾.

فإنّما يكون المؤمن في عمى من شأن نفسه حتى لا يُنَبَّأ عن طريق الرسول في حياته أو يُفتَح لقلبه الطريق إلى الله حتى يصل إليه. فتقع مناجاته في مجالس الملك بين يديه،

---

١) بمصابيح مٓ: بمصباح حٓ. نٓ ‖ الله مٓ. نٓ: + تعالى حٓ ‖ المؤمن حٓ، مٓ: قلب المؤمن نٓ ‖ قلبه حٓ، مٓ: — نٓ ٢) كما مٓ. نٓ: وكما حٓ ‖ قيل له حٓ. مٓ: سئل نٓ ٣) مؤمن حٓ، مٓ: — نٓ ‖ القلب حٓ، مٓ: — نٓ ‖ قالوا مٓ: قيل له حٓ: فقيل نٓ ‖ قال حٓ. مٓ: فقال نٓ ‖ النقى مٓ، نٓ: + الذى حٓ ‖ فيه حٓ، مٓ: — نٓ ٦) البله حٓ. مٓ: الله نٓ (تصحيف) ‖ الذين حٓ، مٓ: — نٓ ‖ تبلهت حٓ، مٓ: سهلت نٓ ٧) قوم مٓ، نٓ: على قوم حٓ ‖ زي حٓ. مٓ: وبز نٓ (تصحيف) ‖ تشمموا مٓ، نٓ: تنسموا حٓ ٨) شيئًا حٓ، مٓ: شمًا نٓ ‖ حسد مٓ، نٓ: حينئذ حٓ شأنه مٓ. نٓ: شأنهم حٓ ‖ فصار حٓ. مٓ: + أعماهم نٓ (تصحيف) ‖ حكى الله مٓ: حكى الله تعالى حٓ: قال الله نٓ ١٠) اليس – بالشاكرين حٓ. مٓ: — نٓ ‖ وقال مٓ، نٓ: + عزّ وجل حٓ ١١) في – اتقى مٓ: الآية حٓ: الى من اتقى نٓ ١٢) فإنّما حٓ. مٓ: وإنما نٓ ‖ من حٓ. نٓ: في مٓ ‖ لا ينبأ: نسا حٓ: لا يتيا مٓ: لا نسا نٓ ‖ عن مٓ: في حٓ: من نٓ ‖ الرسول حٓ، مٓ: + عليه الصلوة والسلام نٓ ‖ حياته حٓ: حيوته مٓ: حيرته نٓ (تصحيف) ١٣) يفتح مٓ. نٓ: + الله حٓ ‖ الى الله مٓ: إليه حٓ: الى الله عز وجل نٓ ‖ فتقع حٓ، نٓ: فيقع مٓ ‖ بين يديه حٓ. مٓ: لله لا له نٓ

---

١) – ٢) المعجم المفهرس ١. ٣٣٧ ب
٢) – ٤) المعجم المفهرس ٢. ٧٨ ب
٩) – ١٠) القرآن الكريم ٦/٥٣
١٠) – ١١) القرآن الكريم ٥٣/٣٢

فأين قول الله تعالى : ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ ، فهل البيّنة إلاّ هٰؤلاء ، وهل الشاهد إلاّ الحديث الذي يَرِد على قلبه والسكينة التي بقلبه؟

(٨٦)

قال له القائل : فما صفة ذلك الوليّ الذي له إمامة الولاية ورياستها وختم الولاية؟

قال : ذلك من الأنبياء قريب يكاد يلحقهم.

قال : فأين مقامه؟

قال : مقامه في أعلى منازل الأولياء في ملك الفرديّة قد انفرد في وحدانيّته ، ومناجاته كفاحًا في مجالس الملك ، وهداياه من خزائن السعي.

قال : وما خزائن السعي؟

قال : إنّما هي ثلاث خزائن : خزائن المنن للأولياء ، وخزائن السعي لهذا القائد الإمام ، وخزائن القرب للأنبياء ، فهذا مقامه ومقتضاه من خزائن المنن ومتناوله من خزائن القرب ، فهو في السعي أبدًا ، فرتبته ههنا ومتناوله من خزائن الأنبياء ، قد انكشف له الغطاء عن مَقاوِم الأنبياء ومراتبهم وعطاياهم وتحفهم.

(٨٧)

قال له القائل : فهل تخاف هذه الطبقة من الأولياء على أنفسها؟

قال : خوف ماذا؟

---

١) قول الله تعالى مَ : قوله حَ : قول الله عزّ وجل نَ ٢) هٰؤلاء مَ ، نَ : هؤلاء حَ ‖ بقلبه حَ ، مَ : تقبله نَ ٤) القائل مَ . نَ : قائل حَ ‖ فما مَ ، نَ : وما حَ ‖ الولي حَ ، مَ : — نَ ٥) ذلك حَ ، مَ : ذاك نَ ٦) قال حَ . مَ : ولما قال نَ ٧) قال مقامه مَ : قال حَ : — نَ ‖ الفرديّة مَ ، نَ : الفردانية حَ ٨) مجالس مَ . نَ : منازل حَ ‖ هداياه حَ . مَ : قد أتاه نَ (تصحيف) ٩) خزائن السعي مَ : المنن حَ ، نَ ١٠) — ١١) القائد الإمام مَ : الإمام القائد حَ : العابد الإمام نَ ١١) وخزائن القرب للأنبياء مَ : — حَ : وخزائن القرب للأولياء عليهم السلام نَ ‖ فهذا — ١٣) تحفهم مَ : فهو في السعي أبدًا فرتبته هاهنا ومتناوله من خزائن القرب وخزائن القرب للأنبياء عليهم السلام فهذا مقامه ومعتطاه من خزائن المنن ومتناوله من خزائن القرب وخزائن القرب للأنبياء عليهم الصلوة والسلام ومراتبهم وعطاياهم وتحفهم حَ : هذا مقامه من خزائن المنن ومتناوله من خزائن القرب فهو في السعي أبدًا فرتبته هاهنا ومتناوله من خزائن الأنبياء عليهم الصلوة والسلام قد انكشفت له الغطاء عن مقام الأنبياء عليهم الصلوة والسلام ومراتبهم وعطاءهم وتحفهم نَ ١٥) القائل مَ : قائل حَ ، نَ

....

١) القرآن الكريم ١١/١٧

قال : خوف الله !

قال : لو قُسم خوفه على أهل الأرض لأَوْسَعَهم ، وذلك أنّ خوف المنفرد لا يوصف ، ولكأنّ كلّ شعرة منه بجالة ، قد أخذته هيبة جلال الله ، وكلّ عرق منه قد امتلأ من عظمة الله ، وانفرد صدره وقلبه لوحدانيّته واكتنفته رأفته وشملته رحمته ، فبها يتصرّف في أموره وينبسط .

حدّثنا حفص بن عمر ، حدثنا محمّد بن بشر العبدي ، حدّثنا عمر بن راشد اليمامي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : سيروا ! سبق المفردون ! قالوا : يا رسول الله ، من المُفَرَّدون؟ قال : الذين اهتزّوا في ذكر الله يأتون يوم القيامة خفافًا يضع الذكر عنهم أثقالهم ، وهم الذين وصفهم في حديث آخر ، حدّثني بذلك أبي ، حدّثنا الحمّاني ، حدّثنا صفوان بن أبي الصهباء عن بكر بن عتيق ، عن سالم بن عبدالله ، عن أبيه ، عن جدّه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله تبارك وتعالى : من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين.

---

١) الله م̄، ن̄ : + عز وجل ح̄ ٢) قال – قسم ح̄ ، م̄ : لو اقسم ن̄ ‖ خوفه م̄، ن̄ : خوفهم ح̄ ‖ أهل ح̄ ، ن̄ : – م̄ ‖ لاوسعهم م̄ : لوسعهم ح̄ ، ن̄ ٣) ولكأن كلّ ح̄ ، م̄ : ولو كان ن̄ ‖ بجالة م̄ : بجبالها ح̄ : بجباله ن̄ ‖ أخذته م̄، ن̄ : أخذتها ح̄ ‖ الله م̄، ن̄ : + عز وجل ح̄ ٤) الله م̄، ن̄ : + عز وجل ح̄ ‖ وشملته رحمته م̄، ن̄ : ورحمته شملته ح̄ ‖ فبها م̄، ن̄ : فبهما ح̄ ٦) حدثنا – ٧) وسلم ح̄ ، م̄ : كما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ن̄ ‖ عمر م̄ : + رضي الله عنه ح̄ ‖ عمر بن راشد – ٧) كثير م̄ : عمر بن أسد التيمي عن يحيى بن كثير ح̄ ٧) سيروا ح̄ ، م̄ : سير ن̄ ٨) من م̄ : ما ح̄ ، ن̄ ‖ اهتزوا ح̄ ، م̄ : اهتدوا ن̄ ١٠) حدثني – الصهباء ح̄ : في حديث م̄ : – ن̄ ‖ عن بكر – ١١) عن سالم ح̄ : سالم م̄ : – ن̄ ١١) بن عبدالله – أبيه ح̄ ، م̄ : – ن̄ ‖ عن جده – ١٢) وتعالى م̄ : ...سلم عن ربه عزّ وجلّ قال ح̄ : عن جده – وسلم : – ن̄ + أنه قال قال الله تبارك وتعالى ١٣) أعطى السائلين م̄ : أعطى السالمين ح̄ : أعطيت السائلين ن̄

---

٦) حفص بن عمر ، قارن : HT 22, Nr. 62 ‖ محمد بن بشر العبدي ، قارن : الوافي ٢ ، ٢٥٠ ، رقم ٦٥٨ ؛ تهذيب ٩ ، ٧٣ ، رقم ٩٠ ؛ تقريب ٢ ، ١٤٧ ، رقم ٧٣ ‖ عمر بن راشد اليمامي ، قارن : جرح ٣ ، ١٠٧ ، رقم ٥٦٧ ؛ تقريب ٢ ، ٥٥ ، رقم ٤٢١ ؛ تهذيب ٧ ، ٤٤٥ ، رقم ٧٣٣

٧) يحيى بن أبي كثير ، قارن : تقريب ٢ ، ٣٥٦ ، رقم ١٥٨ ؛ تهذيب ١١ ، ٢٦٨ ، رقم ٥٣٩ ‖ أبو هريرة ، قارن : EI, s.v.

٧ – ٩) قارن : فيض ٤ ، ٩٢ ، رقم ٤٦٥١

١٠) أبي ، هو علي الترمذي ، قارن : H T 12 ‖ الحماني ، هو يحيى الحماني ، قارن : HT 14, Nr. 37 ‖ صفوان بن أبي الصهباء ، قارن : تقريب ١ ، ٣٦٨ ، رقم ١٠٥ ؛ تهذيب ٤ ، ٤٢٧ ، رقم ٧٣٦

١٠) بكر بن عتيق ، مجهول ‖ سالم بن عبدالله ، قارن : الوافي ١٥ ، ٨٣ ، رقم ١١٠

فالمشغول بذكره عن مسألته هذا محلّه منه ونواله ، فكيف بالمشغول عن ذكره به؟ إنّ هذا الأمر أجلّ من أن يفهمه الحطاميّون والبلعميّون !

قيل له : وما الحطاميّون والبلعميّون؟

قال : من أوتي ما أوتي من آيات الله وعِلم هذا الطريق ، فانسلخ منها وأخلد إلى الأرض واتّبع هواه ، فهو يتأكّل بهذا الاسم ويكدّر هذا الماء الصافي بجهله ، فهم عبيد النفوس لم يخرجوا من رقّها ، وتشدّقوا شيئًا من هذا الكلام التقاطًا وتوهّمًا ومقاييس ، فهم علائق الشياطين ، يسبحون في ماء راكد ويتلوّثون في حمأة منتنة ، فالماء الكدر علمهم والحمأة مأكلتهم التي ينالونها بذلك العلم.

(٨٨)

قال له القائل : فهل يخاف المحدّثون سوء العاقبة؟

قال : نعم : خوف ذهولٍ / وقلق ، ولكن يكون ذلك كالخطرات ، ثم يمضي ، فإنّ ١٦١ أ
الله لا يحبّ أن يكدّر عليهم منته.

قال له القائل : في أيّ وقت يكون ذلك أعمل فيهم؟

قال : إذا لاحظوا جلال الله ثم مشيئته وذكروا سابق علم الله فيهم ذهلت منهم القلوب والنفوس ، فإذا لاحظوا حظوظهم من الله التي خرجت تلك الحظوظ لهم من الرحمة والرأفة والمحبّة سكنوا ؛ فذاك زمام هذه الأشياء ، فلولا بهتهم في شأن العاقبة

---

١) فالمشغول م، ن : والمشغول ح ‖ منه ح ، م : — ن ‖ فكيف ح ، م : وكيف ن ‖ بالمشغول ح : المشغول م، ن ‖ به ح ، م : — ن ٢) أن يفهمه ح : أن يفهم م : أين يفهمه ن ‖ الحطاميون والبلعميون : الحطاميّون وأجلّ من أن يفهمه البلعميون ح : البلعيّون م : الحطاميون والبلغيون ن ٣) له ح : — م، ن ‖ الحطاميون ح : — م، ن ٤) ما أوتي من ح ، ن : — م ٥) هواه ح ، ن : هويه م ‖ ويكدر ح ، م : نكدر ن (تصحيف) ‖ بجهله م، ن : لجهله ح ٦) رقّها ح ، ن : رقه م ‖ وتشدقوا م : وسدوا ح : وبسدخوا (كذا) ن ‖ مقاييس ح ، م : مقاييسًا ن ٧) الشياطين م، ن : الشيطان ح ‖ في ماء راكد م : في ماء كدر ح : فيما كدر ن ‖ حمأة ح : حمأ م : حموه ن ٨) الحمأة ح ، م : الحنوة ن ‖ ينالونها م : تناولوها ح : يتناولونها ن ١٠) له القائل م : له قائل ح : القائل ن ١١) خوف م، ن : — ح ‖ لكن ح ، م : — ن ١٢) الله م : + تعالى ح ، ن ١٣) له القائل م : له قائل ح : القائل ن ‖ يكون م، ن : — ح ١٤) مشيئته م، ن : مشيّة الله تعالى ح ‖ علم الله م، ن : علمه ح ‖ منهم ح ، م : عنهم ن ١٥) من الله م، ن : — ح ‖ تلك الحظوظ م، ن : — ح ‖ لهم ح ، م : — ن ١٦) والمحبة ح : — م، ن ‖ فذاك م : فذلك ح ، ن ‖ بهتهم ح ، م : نهيتهم ن

وذهولهم لكانت النفوس في هذه الحظوظ التي نالوها طَلْقةً.

ألا ترى أنّ الصبيّ الطفل قد يبرّه أقرباؤه وعشيرته، فهو على تناول برّهم منقبض عنهم يهابهم ويحتشم من الانبساط، فإذا عاين أبويه انبسط ورفع الحشمة واستبدّ واجترأ، فهل ذلك إلاّ لمعرفته بأبويه وبما طالع من رأفتهم به ورحمتهم عليه وبما أبدوا له من مكنون صدورهم من المحبّة؟ فكفى بهذا لك دلالةً من شأن الطفل تعتبر به!

فلولا أنّ مع المؤمنين نفوسًا شهوانيّة – إذا اطّلعوا على ما لهم عند مليكهم من الرحمة والرأفة والمحبة والمحلّ الرفيع استبدّوا واجترؤوا وأفسدوا سبيلهم ورفضوا العبودة – لكانوا يُبَشَّرون إلاّ بذلك.

أما ترى من أدب الملوك كيف يعاملون خدمهم: ترى الخادم يحلّ من الملك من أجلِ أدبه وخطره محلّ الولد، فيكتم ذلك ويطوي عنه خبره وينقبض عنه كي لا يفسد ولا تنقطع عنه هيبته منه، فإذا أدّبه وراض نفسه وطالت صحبته فوّض إليه أموره وأفشى عنده أسراره التي لم يكن يطلعه عليها قبل ذلك، وأبدى له محبّته وأنزله من نفسه منزلة الأحرار. فإنّمَا طوى الله خبر العواقب عن المؤمنين نظرًا لهم كي لا تستبدّ نفوسهم ولا يأخذها الأشر والبطر بما أعطاهم من مننه.

(٨٩)

قال له القائل: فيجوز أن يبشَّر الأولياء بحسن العاقبة؟

قال: أمّا أولياء الحقّ فلا أحقّقه لأنهم لم يصلوا إليه وإنّما وصلوا إلى مكان القربة،

---

١) وذهولهم ح، مَ: وذكرها نَ ‖ لكانت النفوس ح: لكانت للنفوس مَ: لكان النفوس نَ ‖ طلقة ح، مَ: طنعة نَ ٢) الطفل مَ. نَ: العاقل ح ‖ قد يبره مَ: مدبره ح: نوبره نَ ‖ فهو ح، نَ: فهل مَ ٣) يهابهم ح. مَ: يهالهم نَ ‖ ويحتشم ح. نَ: ويحشم مَ ‖ أبويه ح، مَ: ابوه نَ ‖ واستبد ح، مَ: واستد نَ ٤) لمعرفته مَ، نَ: بمعرفته ح ‖ طالع مَ. نَ: عاين ح ‖ به مَ، نَ: – ح ٦) مع المؤمنين ح، مَ: بالمؤمنين نَ ‖ اذا مَ، نَ: اذا ما ح ‖ لهم مَ، نَ: بهم ح ‖ مليكهم ح، مَ: ملكهم نَ ‖ الرحمة – ٧) المحبة مَ: الرأفة والمحبة والرحمة ح: الرأفة والرحمة والمحبة نَ ٧) والمحل ح، مَ: والمجد نَ ‖ العبودة مَ، نَ: العبودية ح ‖ لكانوا – ٨) يبشرون ح. مَ: فكانوا ما ينشرون نَ ٩) أما مَ: ما ح: الا نَ ‖ أدب مَ، نَ: آداب ح ‖ يحلّ ح، مَ: يحمل نَ ١٠) وخطره ح، نَ: – مَ ١١) تنقطع ح، مَ: يقطع نَ ‖ عنه – منه ح: هيبته عنه مَ، نَ ‖ وطالت ح. مَ: وطالب نَ ‖ أفشى مَ، نَ: فاشيًا ح ١٢) أسراره مَ: أمرًا ح: أسرارًا نَ ‖ التي مَ: – ح، نَ ‖ يطلعه ح. مَ: ليطلعه نَ ١٣) فإنّما مَ: وإنّمَا نَ: فإن ح ‖ طوى الله مَ، نَ: الله تعالى حجب ح ‖ خبر مَ: – ح، نَ ١٤) الأشر ح. مَ: الا اثنين (كذا) نَ ١٦) القائل نَ: قائل ح، مَ ‖ فيجوز مَ، نَ: أفيجوز ح ١٧) وإنما مَ: إنما ح. نَ

ومكّن لهم على شريطة اللزوم مخافة خيانة النفس ، وأمّا المتّصلون به المحدّثون فلا أبعده .

قال له القائل : ولِمَ ذلك ؟

قال : لِمَا قد ذكرت : إنّ ما يَرِد على قلوبهم إنّما يورده الحقّ وتقبله السكينة ، والسكينة هي مقدار الله ، فهو الذي قدّر به حدود الكعبة لإبراهيم حتى بنى على ظلّه ، وهو الذي كانت بنو إسرائيل تعمل على كلامه من التابوت ، وصفه الله في تنزيله فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ ، أي : طمَأنينةَ قلوبٍ مع طمأْنينتهم بذلك من طريق الإيمان ، فبالسكينة تطمئنّ القلوب للخبر الوارد على قلوبهم ، فيجوز أن يبشَّروا وتطمئنّ قلوبهم بالبشرى ، فأين قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنيا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ .

(٩٠)

ورُوي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنّه قال : سألت عنها النبيّ ﷺ فقال : ما سألني عنها أحد قبلك . البشرى هي الرؤيا الصالحة يراها العبد أو تُرَى له .

وجاء عن رسول الله ﷺ : إنّ رؤيا العبد المؤمن كلام يكلّمه الربّ في منامه .

---

١) مخافة ح̄ ، م̄ : ومخافة ن̄ ‖ أبعده م̄ ، ن̄ : أبعد ح̄ ٢) القائل م̄ ، ن̄ : قائل ح̄ ‖ ذلك ح̄ ، م̄ : ذاك ن̄ ٣) قد م̄ ، ن̄ : — ح̄ ‖ إنّ — يرد م̄ : إنما ح̄ : لزم لا (كذا) ن̄ ‖ يورده ح̄ ، ن̄ : يورد م̄ ٤) هي ح̄ : هو م̄ ، ن̄ ‖ الله م̄ ، ن̄ : من الله ح̄ ‖ قدر به ح̄ : قدر م̄ : قدرته ن̄ ‖ لإبراهيم : + خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليه ح̄ : + عليه السلام م̄ : + خليل الله عليه السلام ن̄ ٥) تعمل م̄ ، ن̄ : تعملون ح̄ ‖ الله م̄ ، ن̄ : + تعالى ح̄ ‖ فقال م̄ : + عز من قائل ح̄ : + تعالى ن̄ ٧) طمأنينة — الإيمان م̄ : طمأنينة في قلوبهم من طمأنينتهم فذلك من طريق الإيمان ح̄ : اطمأنينة قلوبهم مع اطمأنينتهم بذلك من طريق الإيمان ن̄ ‖ فبالسكينة م̄ ، ن̄ : وبالسكينة ح̄ ‖ للخبر م̄ : للخير ح̄ ، ن̄ ٨) على قلوبهم م̄ ، ن̄ : عليها ح̄ ‖ فيجوز ح̄ ، م̄ : فيحبون ن̄ ‖ قلوبهم م̄ ، ن̄ : في قلوبهم ح̄ ‖ بالبشرى م̄ ، ن̄ : بالنوال ح̄ ‖ قول — ٩) وتعالى م̄ ، ن̄ : قوله تعالى ح̄ ٩) الذين — يتقون م̄ : — ح̄ ، ن̄ ١٠) وفي الاخرة ح̄ ، م̄ : — ن̄ ١٢) روى — ١٣) البشرى ح̄ ، م̄ : — ن̄ ‖ وروى م̄ : روى ح̄ ‖ الله م̄ : + تعالى ح̄ ‖ النبي م̄ : رسول الله ح̄ ١٣) البشرى ح̄ ، م̄ : قال رسول الله ﷺ ن̄ ١٤) وجاء — ﷺ ح̄ ، م̄ : وعنه عليه الصلوة والسلام أنه قال ن̄ ‖ العبد م̄ : — ح̄ ، ن̄ ‖ الرب م̄ ، ن̄ : + تعالى ح̄

....

٦) القرآن الكريم ٤/٤٨

٩) — ١٠) القرآن الكريم ٦٢/١٠ — ٦٤

١٢) أبو الدرداء ، قارن : EI, s.v. ‖ المعجم المفهرس ١ ، ١٨٣ ب

فإذا كانت البشرى كائنة على روحه في منامه فكائنة البشرى على قلبه في يقظته ، فإنّ القلب خزانة الله ، وروحه يسري إلى الله يعرج إليه في منامه فيسجد له تحت العرش ، وقلبه يسري إليه فوق العرش في الحجب ، فيلاحظ المجالس ويُناجَى ويبشَّر ، وفيه توحيده وإلهامه وفراسته وسكينته . بل هو أثبت وأوكد ، فإنّمَا قصد رسول الله ﷺ لذكر المنام لأنّ النفس مزايلة للروح في ذلك الوقت فلا تقدر أن تُلقي فيه شيئًا ، فالقلب الذي قد نال مجالس الحديث قد ماتت نفسه وهو في قبضته أحصن وأوكد حراسةً من الروح في منامه ، ثم يرجع من حيث كان إلي عقله فيعرض عليه .

وإنّمَا ذكر الرؤيا عندنا لأنّ الرؤيا أعمّ وأكثر ، والقلب الذي في قبضته قليل في الخلق ، لا تبلغ عدّتهم عدد الأصابع ، وأين قوله : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ ، فهل البيّنة إلاّ ما انكشف له الغطاء عنه وأورده الحقّ ، فصار على بيّنة من ربّه ، وهل الشاهد الذي يتلوه إلاّ السكينة التي ذكرها الله في تنزيله : ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ ، فقد أخبر عن فعل السكينة على القلب أن يزداد بها طمأنينةً ، فإنّ الحقّ ثقيل والسكينة ثقيلة فسكن القلب بهمَا .

(٩١)

قال له القائل : ما صفة الوليّ الذي هذا بشراه؟

قال : احفظ علينا حتى ينقضي ما نحن فيه !

---

١) فاذا – منامه مَ ، نَ : – حَ ‖ فكائنة مَ ، نَ : فتأتيه حَ ‖ يقظته مَ ، نَ : اليقظة حَ ٢) الله حَ ، مَ : + تعالى نَ ‖ يسرى مَ ، نَ : يسير حَ ٣) فيلاحظ حَ ، مَ : يلاحظ نَ ‖ ويناجى مَ ، نَ : فيناجى حَ ‖ ويبشر مَ : ويبشرو حَ : وسرف (كذا) نَ ‖ وفيه توحيده مَ : فيه وتوحيده حَ : فيه بتوحيده نَ ٤) بل هو مَ ، نَ : وهو حَ ‖ فإنّم مَ : وإنّما حَ ، نَ ٥) للروح حَ ، مَ : الروح نَ ‖ فالقلب مَ ، نَ : والقلب حَ ٦) أحصن مَ : احصر حَ : أخص نَ ٨) لأن حَ ، مَ : لا ان نَ ٩) عدتهم مَ : عددهم حَ ، نَ ‖ وأين مَ ، نَ : فأين حَ ‖ قوله مَ . نَ : + عزّ وجل حَ ١٠) منه حَ ، مَ : – نَ ‖ فهل مَ ، نَ : وهل حَ ‖ ما مَ ، نَ : لمن حَ ‖ له الغطاء عنه مَ ، نَ : عنه الغطاء حَ ‖ وأورده حَ ، مَ : وارود (كذا) نَ ١١) وهل حَ ، مَ : وهذا نَ ‖ الا السكينة حَ ، مَ : والسكينة نَ ‖ ذكرها مَ : ذكر حَ ، نَ ‖ في تنزيله مَ : في كتابه حَ ، نَ ١٢) أخبر مَ ، نَ : + الله عز وجل حَ ‖ أن يزداد مَ ، نَ : ليزدادوا حَ ١٣) والسكينة ثقيلة مَ ، نَ : – حَ ‖ بهما مَ ، نَ : اليها حَ ١٥) القائل مَ ، نَ : قائل حَ ‖ هذا حَ ، مَ : – نَ ١٦) ينقضي حَ ، مَ : نقصص نَ

....

٩) – ١٠) القرآن الكريم ١٧/١١

١١) – ١٢) القرآن الكريم ٤/٤٨

إنّ الله تبارك وتعالى خلق الآدميّ ، وله قلب وعاء لتوحيده ونفس وعاء لشهواته ، والصدر ساحة القلب والنفس ، ولكلّ واحد منهما باب شارع إلى هذه الساحة ، فللنفس مشاركة مع القلب فيما يَرِد على القلب في هذا الصدر، فما دامت النفس حيّة وفي غطاء الشهوات لم يُؤْمَن من أن تُلقِيَ من حديثها في القلب كي تأخذ بحظّها من القلب.

فبالنبوّة قد انكشف الغطاء، فلم يبق هناك شيء يحجب ، فماتت النفوس وحييت القلوب به ، فإذا بُشِّرت بالنجاة لم يكن هناك نفس تضرّ وتستبدّ.

والأولياء الذين أخذوا من أجزاء النبوّة أكثرها هم المحدَّثون ، قربوا من الأنبياء محلاًّ ، ومنعوا البشرى نظرًا لهم من أجل ما بقي عليهم من حياة نفوسهم لكي يُقهَر هذا الخطر العظيم الذي ركبوا أهواله : هذا الذي بقي في نفوسهم — فإذا رُفّه ذلك / عنهم ورُفع عن ١٦١ ب
قلوبهم حجاب البهاء والمجد والبهجة والجمال فتردّدت قلوبهم في مُلك المُلك ، وتراءى لهم من عظيم رحمته وسعة مغفرته ، ولاحظوا عزّه وجلاله وجوده ، وعاشوا في كَنفه منبسطين إليه . فإن بُشِّروا جاز لأنّ عظمة الله قد ملأت صدورهم ووحدانيّته قد ملأت قلوبهم ، وصَفَتْ أرواحهم بقسطها من صفوة الأنبياء.

(٩٢)

قد بشّر رسول الله ﷺ فقال : أبو بكر في الجنّة وعمر في الجنّة وعثمان في الجنّة وعليّ

---

١) تبارك وتعالى م، ن : عز وجل ح ‖ الآدمى م : هذا الآدمى ح ، ن ‖ لتوحيده م ، ن : التوحيد ح
٢) واحد ح ، م : باحد (كذا) ن ‖ هذه ح ، م : — ن (بياض) ‖ فللنفس م : والنفس ح : فالنفس ن
٣) القلب م : هذا القلب ح ، ن ‖ فما دامت م ، ن : فمتى كانت ح ‖ وفي م ، ن : في ح ٤) من أن ن : — ح ، م ‖ من ح ، م : في ن ‖ كى ح ، م : حتى ن ‖ القلب م : البدن ح ، ن ٥) فبالنبوة ح ، م : فالنبوة ن ‖ قد م : — ح ، ن ‖ يحجب م ، ن : يحتجب ح ‖ النفوس م ، ن : النفس ح ٦) فإذا م : فإن ح ، ن ‖ بالنجاة ح ، م : بالحيوة ن ‖ تضرّ وتستبد ح ، م : تعيق ونصر تستبد ن ٧) هم م : فهم ح : وَهُم ن ‖ قربوا م : وقربوا ح : قد قربوا ن ٨) ومنعوا ح ، م : ولمنعوا ن ‖ نفوسهم م ، ن : — ح ‖ الخطر ح ، م : الحظ ن ٩) رفه م ، ن : رفع ح ‖ ورفع ح ، م : ووقع ن ١٠) البهاء م ، ن : — ح ١٠) فترددت ح ، م : فتردد ن ١١) عظيم ح ، م : عظم ن ‖ وجلاله وجوده ن : وجلالة جوده ح : وجوده م ‖ وعاشوا م : عاشوا ح ، ن ١٣) وصفت ح ، م : وصفة ن ‖ ارواحهم ح ، م : روحهم ن ‖ بقسطها م : فاتخذت بقسطها ح : من بسطها ن ‖ الأنبياء م ، ن : الدنيا صلوات الله وسلامه عليهم ح ١٥) قد — فقال م : وقد بشر رسول الله ﷺ تسعة من جملة أصحابه وعاشرهم رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ ح : فقد بشر النبي ﷺ تسعة من أجلّة أصحابه وعاشرهم رسول الله ﷺ ن

....

١٥) قارن إبانة ٦٢ . ٣ transl. Laoust 116f.

في الجنّة وطلحة في الجنّة والزبير وعبدالرحمن في الجنّة وسعد في الجنّة وسعيد في الجنّة، وقال في حديث آخر: وأبو عبيدة بن الجرّاح في الجنّة، حدّثنا بذلك أحمد بن عبدالله ابن عبدالله المهلّبي، قال: أخبرنا عبدالعزيز بن محمّد الدراوردي، حدّثنا عبدالرحمن ابن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن جدّه عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ، فذكر مثله.

فكان رسول الله ﷺ من أنصح الخلق لله في عباده، فهل بشّرهم إلاّ بعد معرفته بهم أنّه لا يضرّهم البشرى، وكلّهم صِدّيقون، والصدّيق الأكبر فيهم، والفاروق، والمحبوب، والشهيد، والحواري والرضيّ والأمين، وكلّهم أولياء وصدّيقون، فكذلك مَن بعدهم مِن المحدّثين الأولياء.

قال له القائل: إنّ هذا خبر أورده الرسول ﷺ، فليس في هذا ريب؟

قال له: إنّي لم أحتجّ بهذا لهذا الذي ذهبتَ إليه، إنّما جئتُ به محتجًّا أنّه بشّرهم، ولو علم أنّه يضرّهم لطوى عنهم هذا الخبر، أفترى أنّه لم يكن في أصحابه من أهل الجنّة غير هؤلاء العشرة؟ بئس الظنّ بمَن صاحب هذا! إنّما بشّرهم وطوى عن غيرهم لأنّه لم يأتمن نفوسهم على هذا الخبر، وإلاّ فعامّتهم كانوا من أهل الجنّة، وكذلك الأولياء من بعدهم، إنّما طوى الله هذا الخبر عنهم نظرًا لهم، لم يأتمن نفوسهم على هذا الخبر،

---

٢) وأبو نَ: أبو مَ: — حَ ‖ حدثنا — ٥) مثله: ذكر الإسناد نَ ‖ حدثنا مَ: وحدثنا حَ ‖ بن — ٣) الله حَ: بن عبدالله مَ ٣) قال أخبرنا مَ: حدثنا حَ ‖ الدراوردى حَ ‖ عبد الرحمن بن حَ: — مَ ٤) جده مَ: جدّه عن حَ ٥) سلم مَ: + ابو بكر في الجنة حَ ‖ فذكر مَ: وذكر حَ ٦) فكان مَ، نَ: وكان حَ ‖ لله مَ: لله تعالى حَ: — نَ ٧) بهم مَ: أنه حَ: بهم أنهم نَ ‖ البشرى حَ، مَ: — نَ ٨) والمحبوب حَ، مَ: المحبوب نَ ‖ والرضي مَ: والوصي حَ، نَ ‖ فكذلك مَ، نَ: وكذلك حَ ٩) الأولياء مَ، نَ: من الأولياء حَ ١٠) القائل نَ: قائل حَ، مَ ‖ إن مَ: — حَ، نَ ١١) بهذا لهذا حَ، مَ: بهذا الحديث نَ ‖ محتجًّا مَ: محتاجًا حَ: — نَ ١٢) علم حَ، مَ: علموا نَ ‖ لطوى حَ، مَ: لنقلوا نَ ‖ هذا مَ، نَ: — حَ ‖ أفترى مَ، نَ: أترى حَ ‖ في حَ، مَ: من نَ ١٣) بئس مَ، نَ: وبئس حَ ‖ بمن صاحب مَ: يظن بصاحب حَ: ظن صاحب نَ ١٤) يأتمن حَ، مَ: تأمن نَ ‖ على مَ، نَ: عن حَ ‖ وإلا — ١٥) الخبر: — حَ ١٥) هذا — عنهم مَ: — نَ ‖ لم مَ: ثم نَ ‖ يأتمن مَ: تامن نَ

....

٢) أحمد بن عبد الله: مجهول

٣) عبد العزيز بن محمد الدراوردي. قارن: لباب ١، ٤٩٦؛ تهذيب ٦، ٣٨٣، رقم ٦٧٧ ‖ عبد الرحمن ابن حميد. قارن: تقريب ١، ٤٧٨، رقم ٩١٧؛ تهذيب ٦، ١٦٤، رقم ٣٣٤

والذين قرّبهم وأوصلهم وذهبت الخيانات من نفوسهم وماتت شهواتها وحييت القلوب بالله فلم يضرّهم البشرى ، ألا ترى كيف وصفهم في تنزيله . فقال : ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ .

ورُوي في خبر أنّ أبا قُحافة نال من رسول الله ﷺ فسمعها أبو بكر رضي الله عنه فصكّ في صدره حتى وقع مغشيًّا عليه ، ويقال فيه نزلت هذه الآية وفي أبي عبيدة ، وذلك أن الجرّاح سبّ رسول الله ﷺ فحمل أبو عبيدة عليه فقتله .

وقال عبدالرحمن بن أبي بكر لأبي بكر : يا أبت ، لقد كنت وجدت إليك سبيلاً يوم بدر في الحرب فضِقت عنك ، قال : أمّا إنّني لو وجدت ذلك عنك لَمَا ضِقتُ .

ورُوي عن سريّة مرّت على عهد رسول الله ﷺ ، فلمّا لقوا العدوّ فنال بعضهم من رسول الله ﷺ فقال رجل من الأنصار لذلك العدوّ : لي أبوان فاذكرهما بما شئت من السبّ ولا تذكر رسول الله ﷺ ، قال ، فكأنّما أغراه فازداد سبًّا ، فلم يصبر هذا الرجل فحمل وحده عليهم فألقى نفسه بين ظهرانيهم فقتلوه ، فلمّا رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ كأنّهم توهّموا أنّه ألقى بيديه إلى التهلكة ، فقال ﷺ : فما ظنّكم برجل لقي الله غدًا متّكئًا فقعد له .

---

١) وذهبت م̄ : ذهبت ح̄ ، ن̄ ‖ شهواتها م̄ ، ن̄ : شهواتهم ح̄ ‖ وحييت القلوب م̄ : وحمسب قلوبهم ح̄ : وحييت ن̄ ٢) فقال م̄ : + عز من قائل : + تعالى ن̄ ٣) من – ٤) منه ح̄ ، م̄ : الآية الى قوله بروح منه ن̄ ٥) وروي في خبر م̄ : فروى ح̄ : وروى الحنو (كذا) ن̄ ‖ أن أبا قحافة م̄ : أن أبي قحافة ح̄ : أن انا محافة (كذا) ن̄ نال ح̄ ، م̄ : قال ن̄ ‖ فسمعها م̄ ، ن̄ : فسمعه ح̄ ٦) وقع مغشيًّا عليه م̄ ، ن̄ : غشى عليه ووقع ح̄ ابي عبيدة ن̄ : أبي عبيدة بن الجراح ح̄ : عبيدة م̄ ٧) سب م̄ ، ن̄ : ثبت ح̄ ‖ أبو – عليه م̄ : عليه ابنه أبو عبيدة بن الجراح ح̄ : عليه أبو عبيدة ابنه ن̄ ٨) بكر ح̄ ، م̄ : + رضي الله عنهما ن̄ ‖ لأبي بكر م̄ ، ن̄ : لأبيه ح̄ ‖ يا أبت م̄ ، ن̄ : – ح̄ ‖ لقد كنت م̄ ، ن̄ : لئن ح̄ ٩) في الحرب م̄ ، ن̄ : – ح̄ ‖ فضقت م̄ ، ن̄ : لصفحت ح̄ ‖ قال م̄ ، ن̄ : فقال ح̄ ‖ انني م̄ : أني ح̄ ، ن̄ ‖ لو وجدت ح̄ ، ن̄ : لوجدت م̄ ‖ ذلك عنك م̄ : منك ح̄ : ذاك منك ن̄ ‖ لما ح̄ ، ن̄ : ما م̄ ‖ ضقت م̄ ، ن̄ : صفحت عنك ح̄ ١٠) عن م̄ ، ن̄ : أنّ ح̄ ‖ فنال م̄ : ونال ح̄ ، ن̄ ١٣) وحده ح̄ ، م̄ : – ن̄ ‖ بين ح̄ ، م̄ : في ن̄ ‖ ظهرانيهم ن̄ : أظهرهم ح̄ : ظهريهم م̄ ١٤) بيديه م̄ : نفسه ح̄ : بيده ن̄ ‖ فقال م̄ : + رسول الله ح̄ ، ن̄ ١٥) متكئًا ح̄ ، م̄ : منيًا ن̄ ‖ فقعد ح̄ ، م̄ : فغفر ن̄

....

٢) – ٤) القرآن الكريم ٢٢/٥٨

٥) تفسير ابن كثير ٦ ، ٥٩١ ؛ تفسير القرطبي ١٧ ، ٣٠٧

فهذه صفة الأولياء وهذا شأنهم في الظاهر : ﴿لاَ يَخَافُونَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ، يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ، أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ، أهل رقّة ورحمة ورأفة . لا رقّة ملقٍ وخداع واستمالة ، أعزّة على الكافرين ، أهل غلطة وحمية لله ، لا تجلّد وتجبّر صلفًا واستبدادًا .

فوصف الله تعالى أنّه كتب في قلوبهم الإيمان ، فالعامّة من الناس حبّب إليهم الإيمان بالله وزيّنه في قلوبهم ، والأولياء كتبه في قلوبهم ، فليس المحبَّب المزيّن كالمكتوب في قلوبهم . فقد حبّبه إلى المكتوب لهم وزيّن ذلك أيضًا في قلوبهم ، ثم قال : ﴿ فَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ . فمن كَتَبَ الله الإيمان في قلبه وأيّده بروح منه فحقوق أن يبشَّر .

قال له القائل : لِمَ ذاك؟

قال : لأنّ الكتاب من المِنّة والكريم لا يرتجع في المنّة .

(٩٣)

قال : وما الكتاب وما الروح؟

قال : كتاب ربّ العالمين في قلوب خاصّته ، والروح هو الحقّ .

قال : وما الحقّ وما الكتاب؟

قال : استقصِ في السؤال على قدر طوقك لاحتمالها ، فإنّما القلوب أوعية ، كلّ وعاء إنّما يحتمل بقدره ، فإذا حمّلته أكثر من ذلك انبثق وفاض فكان فسادًا ، وليكن

---

٢) أذلة – ٣) لله حَ . مَ : الآية الى الكافرين أهل الغلطة وحمية الله نَ ٣) لا تجلد – ٤) واستبدادًا مَ : لا تحاسد ولا تجبر ولا صلف واستبداد حَ : – نَ ٥) تعالى حَ ، مَ : – نَ ‖ في – الإيمان مَ ، نَ : الإيمان في قلوبهم حَ ‖ فالعامّة من الناس مَ : فالعامّة – ٦) بالله : – حَ : والعامة نَ ‖ اليهم مَ : في قلوبهم نَ ٦) بالله نَ : – مَ ‖ وزيّنه في قلوبهم مَ : – حَ ، نَ ‖ والأولياء – قلوبهم نَ : – حَ ، مَ ‖ فليس – ٧) قلوبهم مَ ، نَ : – حَ ‖ في – ٧) قلوبهم نَ : – مَ ‖ فقد مَ . نَ : وقد حَ ‖ حبّبه حَ . نَ : حبب مَ ‖ ذلك أيضًا : أيضا ذلك حَ : أيضا مَ : ذلك نَ ‖ ثم قال مَ . نَ : فقال حَ ٨) فمن كتب مَ : – حَ ، نَ ‖ الله – منه مَ : – حَ ، نَ ‖ أن مَ ، نَ : بأن حَ ‖ يبشر مَ . نَ : يبشره حَ ٩) القائل مَ ، نَ : قائل حَ ‖ لم مَ : ولم حَ ، نَ ‖ ذاك مَ ، نَ : ذلك حَ ١٠) يرتجع مَ : يرجع حَ . نَ ١٥) استقص مَ : استقصي حَ : استقصر نَ ‖ قدر حَ ، نَ : قد مَ (تصحيف) | طوقك مَ . نَ : ذوقك حَ ‖ لاحتمالها مَ ، نَ : واحتماله حَ ‖ كلّ مَ : وكلّ حَ ، نَ ١٦) انبثق مَ ، نَ : انشق حَ ‖ فكان مَ ، نَ : وكان حَ

....

١) – ٢) القرآن الكريم ٥٤/٥

٧) – ٨) القرآن الكريم ٢٢/٥٨

استقصاؤك في شأن النفس حتى تطهِّرها حتى ينشرح صدرك. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾، إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الحَقَّ وَالبَاطِلَ﴾.

فهؤلاء أولياء الله. كتب الله في قلوبهم الإيمان وجعل لهم متعلّقًا بقوله: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾، فأوجب لهم الرضى عنهم، فقال: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾، ثم وصفهم بأنّهم أهل الرضى عنه في الأحوال وقال: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾، ووصفهم بأنّهم حزبه، فقال: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللهِ﴾، فهم رجاله في أرضه والذابّون عن أمره والناصرون لحقّه.

وقال في آية أخرى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا﴾، فإذا ذكر الله المؤمن فإنَّمَا يذكر الذي استكمل الإيمان، فصيّره مستمسكًا بالعروة الوثقى. فوصف العروة أنّها هي التي لا تنفصل من وليّ / العروة. ١٦٢ أ

قال له القائل: وما العروة؟

قال: حقيق عليّ أن أخبر بها حتى أجد لها موضعًا فإنّها حكمة الحكمة!

قال له القائل: تَحَرَّ فينا واحتسب تعطّفًا!

قال: نعم! سل مفتقرًا إلى ربّك!

قال: وما العروة؟

---

١) تعالى ح̄. ن̄: — م̄ ٢) فاحتمل — ٣) والباطل ح، م̄: الآية ن̄ ٤) الله م̄، ن̄: + تعالى ح̄ ‖ الله م̄: + عز وجل ح̄: — ن̄ ‖ لهم م̄، ن̄: له فيهم ح̄ ٥) عنهم ح̄، م̄: فقال عنهم ن̄ ‖ الله عنهم م̄، ن̄: + ورضوا عنهم ح̄ ‖ ثم وصفهم ح̄: وصفهم م̄: ووصفهم ن̄ ٦) بأنهم ح̄، م̄: أنهم ن̄ ‖ في ح̄، م̄: وفي ن̄ ‖ وقال ح̄، م̄: فقال ن̄ ‖ ووصفهم ح̄، م̄: ثم وصفهم ن̄ ٧) رجاله م̄، ن̄: رجال الله ح̄ ٩) لا انفصام لها م̄: التي لا انفصام لها ح̄: — ن̄ ‖ المؤمن ح̄، م̄: المؤمنين ن̄ ‖ الذى استكمل م̄، ن̄: المستكمل الإيمان ح̄ ١٠) الوثقى م̄، ن̄: + لا انفصام لها ح̄ ‖ أنّها ح̄، م̄: أنما ن̄ ‖ لا — العروة م̄، ن̄: لا انفصام لها التي لا تنفصل من ولي العروة ح̄ ١١) القائل ح̄: قائل م̄، ن̄ ١٢) أخبر بها م̄: أوخرها ح̄: احرمها (كذا) ن̄ ١٣) تحر فينا م̄: فيجرى ح̄: فنحن نسال ن̄ ‖ تعطفًا م̄، ن̄: وتعطف ح̄ ١٤) سل ح̄، م̄: سال ن̄ ١٥) وما العروة ح̄، م̄: ما العروة الوثقى ن̄

....

٢) — ٣) القرآن الكريم ١٧/١٣
٤) — ٥) القرآن الكريم ٢٢/٥٨
٥) القرآن الكريم ٢٢/٥٨
٦) القرآن الكريم ٢٢/٥٨
٧) القرآن الكريم ٢٢/٥٨
٨) — ٩) القرآن الكريم ٢٥٦/٢

قال : جلال الله لا انفصام له من الله ، فلمّا أبداها في صدور الأولياء المحدَّثين ، فأشرق نور الجلال فيه ، تعلّقت قلوبهم به ، فهامت في جلاله ، فلَهَت عمّا سواه واشتغلت به ، فهم المستمسكون بالعروة الوُثقَى التي لا تنفصم من مُبدِئِها ، وأيّدهم بِرُوح الجلال ، فتعلّقت بذلك النَدى .

(٩٤)

وبجلال الله ائتلفت قلوب الأولياء حتى صارت القلوب كلّها على قلب رجل واحد ، فذلك قول النبيّ ﷺ : يدخل من أمّتي الجنّة سبعون ألفًا بغير حساب ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، فإنّما صارت هكذا لأنّ قلوبهم لَهَت عن كلّ شيء سواه ، وتعلّقت بمتعلَّق واحد ، فهي كقلب واحد ، ولذلك قال فيما يحكي عن ربّه : وجبت محبّتي للذين يتحابّون بجلالي ويتصافون بجلالي ، فهو الذي قال الله في تنزيله : ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ ، فألَّفَ بينهم بِرُوح ، وروح الجلال أعظم شأنًا من أن يوصف ، فإذا وجدت قلوبهم نسيم رُوح الجلال ، كادت تطير من أماكنها شوقًا إليه ، وهم محبوسون برمق الحياة ، فصار في اللقاء يهتشّ بعضهم إلى بعضٍ يطفئون حرقة الشوق بالاهتشاش بعضهم إلى بعض ائتلافًا وتلذّذًا وتبسّمًا .

١) له ح̄ ، ن̄ : لها م̄ ‖ صدور م̄ ، ن̄ : صدقة ح̄ ‖ المحدثين م̄ ، ن̄ : والمحدثين ٢) فأشرق م̄ ، ن̄ : وأشرق ح̄ ‖ فيه م̄ ، ن̄ : فيهم ح̄ ‖ تعلّقت ح̄ ، م̄ : فعلقت ن̄ ‖ به ح̄ ، م̄ : بها ن̄ ‖ عما ح̄ ، م̄ : عن من ن̄ ٣) واشتغلت م̄ ، ن̄ : واستغنت ح̄ ‖ بروح م̄ ، ن̄ : بروح منه ح̄ ٤) بذلك الندى ح̄ : بتلك … (بياض) م̄ : بذلك التأييد اليه ن̄ ٦) وبجلال م̄ ، ن̄ : بجلال ح̄ ‖ ائتلفت ح̄ ، ن̄ : ائتلف م̄ ٧) فذلك م̄ ، ن̄ : وهو ح̄ ‖ النبيّ م̄ : رسول الله ح̄ ، ن̄ ‖ من أمتي الجنة م̄ ، ن̄ : الجنة من أمتي ح̄ ٨) صارت م̄ ، ن̄ : صاروا ح̄ ‖ قلوبهم م̄ : القلوب ح̄ ، ن̄ ‖ عن ح̄ ، م̄ : على ن̄ ٩) فهي ح̄ ، ن̄ : فهو م̄ ‖ يحكى م̄ ، ن̄ : يذكر ح̄ ‖ للذين م̄ ، ن̄ : للذي ح̄ ١٠) بجلالي (مرتين) م̄ ، ن̄ : لجلالي ح̄ ‖ يتصافون ح̄ ، م̄ : يتصادقون ن̄ ‖ فهو الذي ح̄ ، م̄ : وهم الذين ن̄ ١١) فألّف – بروح ح̄ : بروحه م̄ ، ن̄ ١٢) كادت م̄ ، ن̄ : كادت أن ح̄ ١٣) برمق ح̄ ، م̄ : برفق ن̄ ‖ فصار م̄ : فصاروا ح̄ : وصارو (كذا) ن̄ ‖ يهتش م̄ : يهش ح̄ ، ن̄ ١٤) الشوق ح̄ ، م̄ : التشوق ن̄ ‖ بالاهتشاش م̄ ، ن̄ : باهتشاش ح̄ ‖ وتلذذًا وتبسمًا م̄ ، ن̄ : وتبسمًا وتلذذًا ح̄

....

٧) – ٨) المعجم المفهرس ٢ ، ٣٩٨ ب
٩) – ١٠) قارن المعجم المفهرس ١ ، ٤٠٨ ب
١٠) – ١١) القرآن الكريم ٨/٦٣

ومنه قول رسول الله ﷺ فيما يذكر العلماء : بروح الله ائتلفتم وكتاب الله تلوتم ومساجد الله عمّرتم ، أحبّكم الله وأحبّ من يحبّكم.

ومنه قوله ﷺ : إذا التقى المؤمنان فتصافحا تحاتّت عنهما ذنوبهما كما تحاتّت ورق الشجرة اليابسة ، فهذه صفة الأولياء ، حدّثنا ابن ميسرة ، حدّثنا إسماعيل بن عيسى بن سويد ، حدّثنا عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة ، قال : حدّثني سعيد بن إياس الجُريري ، عن أبي عثمان النهدي عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا التقى المسلمان كان أحبّهما إلى الله أحسنهما بشرًا لصاحبه ، فإذا تصافحا أنزل الله عليهما مائة رحمة ، تسعين منها للذي بدأ بالمصافحة وعشرًا منها للذي صُوفح ، فإنّما صاحَبَ البشرَ والصِفاحَ لِما في قلبه من هذه الأشياء التي وصفنا.

(٩٥)

وقال في شأن موته : ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ ،

---

١) قول – الله م، ن : قوله ح ‖ فيما يذكر م : لما ذكر ح : لما يذكر ن ٢) عمرتم ح ، ن : امرتم م
٣) قوله ح ، ن : قول رسول الله م ‖ فتصافحا م ، ن : وتصافحا ح ‖ عنهما م ، ن : – ح ‖ تحاتت م ، ن : تتحات ح ٤) الشجرة ح ، م : الأشجار ‖ حدثنا ... : الإسناد ناقص في ن ‖ ابن م : ابن أبي ح
٥) سويد م : سويدة ح ‖ عبيد م : عبد ح ‖ الحسن م : الحسين ح ‖ قال حدثني م : حدثنا ح
٦) قال – ٧) يقول ح ، م : وقال رسول الله ﷺ ن ٧) أحسنهما ح ، م : – ن ٨) الله م ، ن : – ح ‖ بالمصافحة م ، ن : – ح ‖ وعشرًا م : وعشرة ح : وعسر ن ٩) فإنّما م : + استوجب ح ، ن ‖ والصفاح م ، ن : والمصافحة ح ١١) وقال ح ، م : + الله عز وجل ن ‖ وجنة نعيم ح ، م : – ن

....

١) – ٢) قارن حلية ٢ ، ٨٩ ، ١
٣) – ٤) المعجم المفهرس ٣ ، ٣٢٦آ
٤) ابن ميسرة ، قارن : HT 23, Nr. 77 ، مجهول ‖ إسماعيل بن عيسى ، قارن جرح ١/١ ، ١٩١ ، رقم ٦٤٨
٥) عبيد الله بن الحسن . قارن : تقريب ١ ، ٥٣١ ، رقم ١٤٣٤ ؛ تهذيب ٧ ، ٧ ، رقم ١٢ ‖ سعيد بن إياس ، قارن : الوافي ١٥ ، ٢٠٢ ، رقم ٢٨١
٦) أبو عثمان النهدي ، قارن : تقريب ٢ ، ٤٤٩ ، رقم ١٠٧ ؛ تهذيب ٦ ، ٢٧٧ ، رقم ٥٤٦
٧) قارن : نوادر الأصول ٢٤٥ ؛ أصل ٢١١
١١) القرآن الكريم ٥٦/٨٨ – ٨٩

حدّثنا بشر بن هلال الصوّاف ، حدّثنا جعفر بن سليمان الضبعي الأشجعي ، عن هارون الأعور ، عن عبدالله بن شقيق ، عن عائشة ، عن رسول الله ﷺ أنّه قرأ : فرُوح وريحان ، بضمّ الراء ، ومن قرأ فرُوح ، فهو هذا الرُوح ، ومن قرأ : رَوح ، بفتح الراء ، فمرجعه إلى هذا ، لأنّ ذلك الرُوح له رَوح يكشف عنه كرب الموت وجهده وغمّه وضيقه.

وريحان : يدفع عنه رائحة الموت ومرارته ، فهذا للمقرّبين وهم أولياء الله ، ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ، أفليس لهم من أمر المقرّبين شيء؟

فقد أخبر الله أنّهم تعلّقوا بالعروة الوثقى ، والعروة الوثقى لا انفصام لها : وهو قوله : ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ ، والتأييد أن يجعل لقلبه متعلّقًا.

(٩٦)

فعبد له من الله كلّ هذه الحظوظ إن بشّره بفوز العاقبة ماذا يضرّه؟ وقد حصّلنا لك أنّ البشرى إنّما صارت ممنوعة من أجل الضرر ، وقلب هو في قبضته : به ينطق وبه يسمع

---

١) حدثنا ... : الإسناد ناقص في نَ ‖ الأشجعى حَ : — مَ ٢) عن رسول — ﷺ حَ ، مَ : وروى عن رسول الله ﷺ نَ ‖ فروح — ٣) وريحان مَ : وريح وريحان حَ : فروح نَ ٣) ومن مَ : فمن حَ ، نَ ‖ فروح نَ : روح حَ : الروح مَ ‖ هذا مَ ، نَ : — حَ ‖ روح مَ ، نَ : — حَ ٤) عنه حَ ، مَ : عن نَ ٦) رائحة حَ ، مَ : غصة نَ ‖ للمقربين مَ ، نَ : من المقربين حَ ‖ وأمّا حَ ، نَ : فأما مَ ٧) فسلام — اليمين حَ ، مَ : الآية نَ ‖ أفليس مَ : فليس حَ ، نَ ‖ أمر مَ ، نَ : — حَ ٨) شيء مَ ، نَ : في شيء حَ ٩) أنهم مَ : أنهم قد حَ : أن نَ ‖ والعروة حَ ، نَ : العروة مَ ‖ الوثقى مَ : — حَ ، نَ ‖ لا انفصام حَ : لانفصام مَ ، نَ ١٠) أن حَ ، مَ : هو أن نَ ‖ لقلبه مَ ، نَ : — حَ ‖ متعلقًا مَ : زمامًا متعلّقًا فتستقبل حَ : زمامًا متعلقًا نَ ١٢) فعبد حَ ، مَ : فعد نَ (تصحيف) ‖ بشره حَ ، مَ : يبشره نَ ‖ ذا حَ ، نَ : ذى مَ ‖ وقد — ٧٦ ، ١) تضره حَ ، مَ : — نَ ١٣) صارت مَ : كانت حَ

....

١) بشر بن هلال ، قارن : HT 22, Nr. 53 ‖ جعفر بن سليمان ، قارن : جرح ١/١ ، ٤٨١ ، رقم ١٩٥٧ ؛ تقريب ١ ، ١٣١ ، رقم ٨٣ ؛ تهذيب ٢ ، ٩٥ ، رقم ١٤٥ ‖ هارون الأعور ، قارن : Gas 9,43f.
٢) عبدالله بن شقيق ، قارن : تقريب ١ ، ٤٢٢ ، رقم ٣٧٧ ؛ تهذيب ٥ ، ٢٥٣ ، رقم ٤٤٤
٦) — ٧) القرآن الكريم ٥٦/٩٠ — ٩١
١٠) القرآن الكريم ٥٨/٢٢

وبه يبصر وبه يعقل ، ما تضرّه البشرى؟ فسائر الموحّدين بعقولهم يعقلون الأمور ، وهو بالله يعقل ، فلو عقل هذا الذي يكبر في صدره ما نقول قولَه : بالله يعقل – لعلم أنّ الذي ذهب إليه جهل كبير ، ولقد قصّر بأمر الأولياء ، وما أظنّ أن ينجو من هذا الأمر حتى يردّ به مذهبه ، وهو يرى في نفسه أن يعظّم أمر الله بتقصير أمر الأولياء ، فإذا هو يبني بجانب ويهدم أسّ ما يبني حتى يقتل نفسه تحت الهدم.

وهذا شبيه بأمر ذلك المخذول : ما زال ينزّه ربّه حتى نفاه ، والمخذول الآخر ما زال يُثبت له الصفات ردًّا على الآخر حتى شبّهه بخلقه.

(٩٧)

فهذه كلّها من ظلمة النفوس من أقوام لم يتطهّروا من أدناس القلوب ، ولم يروضوا أنفسهم حتى يتخلّصوا من حجبها ، وانخدعوا لها ، ووجدوا شيئًا من رَوح هذا الطريق ، فقعدوا وبسطوا له بساط الطبيب الذي يعترض ممرّ الناس ليبيع الأدوية بما يصف الناسُ ، فإذا هو تنفّق عليهم بكلام منظوم وقد أعدّه لهم ليأخذ دوانيقهم ، وهو في خلوّ من علم الطبّ ، فإذا وصف له الحاذق بالطبّ وبعلم الطبائع تحيّر.

فهذه الطبقة التي يكبر في صدورهم بلوغ الأولياء هذا المحلّ من ربّهم : فيدفعون هذا بجهلهم ، ولا يعلمون أنّ لله عبادًا غرقوا في بحر جوده ، فجاد عليهم بكشف الغطاء عن قلوبهم عن عجائب ، وأطلعهم من ملكه على ما نسوا في جنبه كلّ مذكور حتى تنعّموا به في حجبه الربّانيّة.

---

١) فسائر ح ، م : فسائر اسائر ن (تصحيف) ‖ وهو م ، ن : وهؤلاء ح ٢) يكبر م : الكبر ح : يكتب ن ‖ لعلم ح ، م : يعلم ن ٣) قصر بامر ح ، م : قصرنا من ن ‖ أظن م ، ن : ظن ح ‖ يرد – ٤) به ح ، م : يوديه ن (تصحيف) ٤) في ح ، ن : – م ‖ أن م : أنه ح ، ن ‖ الأولياء م ، ن : أولياء الله ح ‖ بجانب م : من جانب ح ، ن ٥) ويهدم أس ما يبنى م : ويهدم من جانب ما يبنى ح : ويهدم من أس ما يبن ن ٦) شبيه ح ، م : تشبيه ن ‖ ما زال ح ، ن : – م ٩) من ظلمة النفوس ح ، م : ظلمة النفس ن ‖ أدناس م ، ن : دنس ح ‖ يروضوا ح ، ن : يرصوا م ١١) فقعدوا ح ، ن : وقعدوا م ‖ له ح ، م : – ن ‖ يعترض ممر ح ، م : يعرض بمر ن ‖ ليبيع م : يبيع ح : لبيع ن ‖ بما م : – ح : به ن ‖ الناس م : للناس ح ، ن ١٢) فاذا هو تنفّق م ، ن : يتنفق ح ‖ عليهم ح ، م : للناس ن ‖ وقد ح ، م : قد ن ‖ دوانيقهم ح ، م : واسعهم ن ١٣) له م ، ن : لهم ح ‖ تحير م ، ن : تحيروا ح ١٤) التي يكبر ح ، م : وكتب ن ١٥) بجهلهم م ، ن : لجهلهم ح ‖ ولا م ، ن : فلا ح ‖ بحر ح ، ن : – م ١٦) على ح ، م : – ن ‖ في ح ، م : من ن ‖ مذكور ح ، م : ملكوت ن

(٩٨)

قال له القائل : فهمتُ عنك ما شرحتَ ، فكيف عجز هؤلاء الذين دفعوا هذا عمّا ذكرتَ ؟

١٦٢ ب قال : لإعجابهم بصدقهم وإكبابهم عليه وانقطاعهم / عن منن الله ، وكيف يعرفون منته وهم مشتغلون بنفوسهم ودواهيها ، ومتى يصلون إلى قرب الله وهذه أحوالهم ؟ فهم في غفلة عن الله وفي عمى عظيم ، إنّما بهم شغل نفوسهم ، فمرّة مشتغلون بقمع النفس وردّها عمّا تريد ، ومرّة مشتغلون بشهوة قد خدعتهم نفوسهم في تلك الشهوة حتى تدسّهم في التراب وهم في غمرة .

(٩٩)

قال له القائل : مثله ماذا؟ صف لنا شيئًا منه !

قال : أحدهم يخطر بباله شيء ممّا قد حُظر عليه من لحظة أو طرفة ، فتنازعه نفسه فيجاهدها حتى يردّها لأنّه محرَّم عليه ، فهو مشتغل في ذلك ، ثم تخدعه نفسه في مثله ممّا قد أُذن له فيه ، تُزيّن له ذلك حتى تجرّه إلى الذي حُرّم عليه ، فلا يزال ذلك من شأنه في السمع والبصر واليد والبطن ، حتى إذا صارت الجوارح ذات نهمة، والنفس قد كتمت القلب ذلك – فإذا خافت النفس أن يشعر القلب بذلك فينكر عليها ويأخذ فوق يديها – وثب إلى منطق حسن ليعظ به الناس ، ووثب إلى المحراب يأخذ في العبادة ، فموّه على القلب ، ويزكّي جوارحه عند القلب .

---

٢) له القائل مَ: له قائل حَ : القائل نَ ‖ فهمت مَ: قد فهمت حَ ، نَ ‖ عما حَ ، مَ: كما نَ ٥) مشتغلون مَ، نَ : مشغولون حَ ٦) وفي عمى مَ، نَ : وعمى حَ ‖ بهم مَ، نَ : – حَ ‖ شغل مَ، نَ : شغلتهم حَ ‖ فمرة حَ ، مَ: مرة نَ ‖ مشتغلون : مشغولون حَ : مشتغلين مَ، نَ ‖ وردها مَ، نَ : ودواهيها حَ ٧) تريد مَ، نَ : تريده حَ ‖ مشتغلون : مشغولون حَ : مشتغلين مَ، نَ ‖ بشهوة حَ ، مَ: – نَ ٨) غمرة مَ: غرّة حَ ، نَ ١٠) له حَ ، مَ: – نَ ‖ مثله مَ: مثل حَ ، نَ ‖ ماذا حَ ، نَ : ماذى مَ ١١) عليه مَ، نَ : – حَ ١٢) فيجاهدها مَ، نَ : فينازعها حَ ‖ لأنه – عليه حَ ، مَ: – نَ ‖ مشتغل مَ: مشغول حَ ، نَ ‖ مثله مَ: مثلهٖ حَ : ميلها نَ ١٣) له حَ ، مَ: في نَ ‖ تجره حَ ، مَ: نحره نَ ‖ من حَ ، مَ: في نَ ١٤) والبطن مَ: والرجل والبطن حَ : والنطق نَ ١٥) بذلك حَ ، مَ: – نَ ‖ فوق يديها مَ، نَ : يديها حَ ١٦) وثب مَ: وثبت حَ ، نَ ‖ ليعظ مَ: تعظ حَ ، نَ ‖ به مَ، نَ : – حَ ‖ ووثب مَ، نَ : وثبت حَ ‖ يأخذ مَ، نَ : فيأخذ حَ ‖ فموه مَ: تمره حَ : ينوه نَ ١٦) على حَ ، مَ: عن نَ ‖ ويزكى حَ ، مَ: ونولى نَ ‖ جوارحه مَ، نَ : جوارحها حَ

فإذا كانوا بهذه الصفة فمتى يصلحون لمكان القربة فضلاً عن مطالعة شأن الملكوت وقرب الله ونجواه؟

وعامّة نجوى هؤلاء وسوسة وخدعة للنفس، فإذا ذكروا شأن الأولياء وقدّروا أمورهم على ما يرون من أمور أنفسهم فكذبوا نعم الله ودفعوا منن الله وجهلوا أمر الله، فهذا من أعظم الفِرْيَة على الله.

(١٠٠)

قال له القائل: فإنّ بعضهم احتجّ بقوله: ﴿لاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾؟

وقال: إنّ الأمن أوّل ضلالة هذه الطبقة، وهذا يؤدّي إلى الزندقة – وقال: إنّ الله يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوات وَالأرضِ الغَيْبَ إلاَّ اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، وإنّ الولاية والمحبّة والعداوة والشقاوة والسعادة غيب عند الله، لا يعلمه إلاّ الله – وزعم أنّي ناظرتُ يحيى بن معاذ في ذلك حتى بقي وتحيّر – وقال: إنّ هذه الطبقة تُقدِّم نفسها على الأنبياء؟

قال رضي الله عنه: أمّا قوله: لا يأمن مكر الله، فهو قول الله لا ريب فيه ولا في قبوله، فهو أنّه لا يعلم ما حاله عند الله، فإن أمِنَ فهو خاسر جاهل كأنّه حكم على الله من غير أن يحكمه.

---

١) يصلحون ح̄ : يصلح م̄: يصلحوان ن̄ (تصحيف) ‖ عن ح̄، ن̄: على م̄ ٣) وعامة ح̄، م̄: عامّة ن̄ ‖ وخدعة ح̄. م̄: وخداع وخدشته ن̄ ‖ للنفس ح̄ : النفس م̄، ن̄ ‖ وقدروا أمورهم م̄: قدروا أموالهم ح̄ : قدروا أمورهم ن̄ ٤) يرون م̄. ن̄ : يريدون ح̄ ‖ أنفسهم م̄: نفوسهم ح̄، ن̄ ‖ الله ح̄، م̄: – ن̄ ٧) له القائل م̄ : له قائل ح̄ : هم قائل ن̄ ‖ مكر – ٨) الخاسرون ح̄. م̄: من مكر الله ن̄ ٩) أول ح̄، م̄: الأول ن̄ ‖ وقال – ١٠) يقول م̄. ن̄ : وقال الله ح̄ ١٠) وما يشعرون ح̄ : – م̄، ن̄ ١١) والعداوة م̄: – ح̄، ن̄ ‖ والشقاوة والسعادة م̄: والسعادة والشقاوة ح̄، ن̄ ‖ لا يعلمه م̄، ن̄: قال لا يعلمه ح̄ ‖ أني ح̄، م̄: الى ن̄ (تصحيف) ١٢) معاذ ح̄، م̄: + رحمه الله ن̄ | في ح̄، م̄: – ن̄ ‖ وتحير م̄. ن̄: متحيرًا ح̄ ‖ وقال م̄: – ح̄، ن̄ ‖ إن م̄: وان ح̄. ن̄ ‖ نفسها ح̄، م̄: أنفسها ن̄ ١٣) الأنبياء ح̄، م̄: أنبياء ن̄ ١٤) رضه م̄: له ح̄، ن̄ ‖ الله م̄: + إلا القوم الخاسرون ح̄، ن̄ ‖ فهو ح̄، م̄: فهذا ن̄

....

٧ – ٨) القرآن الكريم ٧/٩٩

١٠) القرآن الكريم ٢٧/٦٥

فأمّا من بشّره فردّ بشراه، فقد اجترأ كما اجترأ الآمِن، هذا أمِن من هذا الوجه وذلك من ذلك الوجه، فحقّ على من لم يُؤَمَّن أن لا يأمن، فحقّ على من أُمِّنَ أن يأمن، أفليس الأنبياء كانوا لا يأمنون، فلمّا أُمِّنوا أمِنوا، فالأنبياء لهم عقد النبوّة والأولياء لهم عقد الولاية.

(١٠١)

قال له القائل: وما عقد الولاية؟

قال: كشف الغطاء، ولي الله الأنبياء بأن أخذهم من نفوسهم إلى محلّ النبوّة وكَشْفِ الغطاء، وولي هذا الصنف من الأولياء بأن أخذهم من نفوسهم إلى محلّ الولاية وكَشْف الغطاء، فهؤلاء في عقده وهؤلاء في عقده، فلا يأمنون حتى يُؤَمَّنوا، وسائر الخلق من الموحّدين في عقد التوحيد رميًا إلى قلوبهم من عنده.

وهذانِ الصنفانِ جُذِبا بقلوبهم إلى ما لديه، واللذانِ عنده ينالان ممّا لديه وعقد قلوبهم هناك، والعامّة من العبّاد والزهّاد والمتّقين والمخلصين ينالون ممّا ألقى إليهم في أرضهم، فهؤلاء أرضيّون وأولئك عرشيّون، وهؤلاء نفسيّون وأولئك قدسيّون، وهؤلاء عبيد النفوس وأولئك عبيد الجواد الكريم، وهؤلاء الذين قال عيسى ابن مريم في خطبته: فلا عبيد أتقياء ولا أحرار كرماء، فالعبيد الأتقياء عبيد النفوس لم يفتح لهم الباب، فبقوا مع مجاهدة النفس، والأحرار الكرماء الذين عُتِقوا من رقّ النفوس بما فُتح لهم في الملكوت.

---

١) اجترأ م: اجترم ح، ن ‖ الآمن م: ذلك ح: الآخر ن ‖ أمن م: — ح، ن ‖ وذلك ح، م: وزالا ن (تصحيف) ٢) على من ح، م: لمن ن ‖ أُمن ح: أومن م، ن ٣) أفليس م: فليس ح، ن ‖ لا م، ن: — ح ‖ أمّنوا ح، م: أومنوا ن ‖ فالأنبياء م، ن: والأنبياء ح ‖ عقد م: عقدة ح، ن ٦) له القائل م: قائل ح: له قائل ن ‖ عقد م: عقدة ح، ن ٧) كشف الغطاء م: — ح، ن ‖ بأن ح: أن م، ن ‖ وكشف ح، م: فكشف ن ٨) هذا ح، م: لهذا ن ‖ بأن: أن ح، م، ن ‖ من نفوسهم ح، م: — ن ‖ وكشف ح، م: فكشف ن ٩) يأمنون ح: يأمنوا م: يؤمنون ن ‖ يؤمنوا ح، م: يومنون ن ١٠) عقد: عقدة ح، م، ن ‖ رميًا ح، م: فيه رميًا ن ‖ عنده ح، م: عقده ن ١١) وهذان الصنفان م: وهذا الصنفان ح: وهذه الصفات ن ‖ بقلوبهم ح، م: الى قلوبهم ن ‖ واللذان م: فاللذان ح: فاللان ن (تصحيف) ‖ ينالان ح: ينالون م، ن ‖ مما ح، م: ما ن ‖ وعقد ن: وعقدة ح، م ١٢) والمتقين والمخلصين ح، م: المتقين ن ‖ مما م، ن: ما ح ١٣) وهؤلاء نفسيّون م، ن: — ح ‖ قدسيون م، ن: قرسيون ح ١٤) وأولئك م، ن: وهؤلاء ح ‖ الجواد م، ن: الجود ح ‖ الكريم م، ن: الكرم ح ‖ ابن مريم م، ن: — ح ١٥) أحرار م، ن: أحرارا ح ١٦) فبقوا ح، م: فيقفوا ن ‖ النفس م، ن: النفوس ح + فهم الأتقياء ح، ن ‖ عتقوا ح، م: أعتقوا ن ‖ النفوس ح، م: — ن ١٧) في م، ن: من ح

قال الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾، فهؤلاء أهل اليقين.

(١٠٢)

قال له القائل: ومن أيّ طريق يؤمَّنون؟

قال: من طريق ما أخبرتك: الأنبياء أُمِّنوا من طريق الوحي، فالوحي أورده عليهم فقبلوه بالروح، والأولياء من طريق الحقّ، فالحقّ أورده عليهم، فقبلوه بالسكينة، ولم يقبلوا شيئًا خالف شريعة الرسول ﷺ، إنّما قبلوا بشراه بعد أن أعطاهم طهارة القلوب وعلم التوحيد ومعرفة الآلاء وأطلعهم بقلوبهم ملكًا ملكًا، وقطع لهم من كلّ ملك حظًّا وأوصلهم إلى نجواه ومجالسته القدسيّة، وأمات نفوسهم من جميع الشهوات دنيا وآخرةً، فامتلأت قلوبهم من عظمة الوحدانيّة.

وإنّما يستفيقون لذكر النفوس، فإذا أفاقهم لا يلتفتون إلى طلب فائدة أو علم أو حكمة حتى يكون هو الذي يفيدهم ويدلّهم، ولا يلتمسون رياسة ولا ميل الخلق إلى قبول ما جاؤوا به التفاتَ فِتنةٍ حتى يصير ذلك الالتفات حجابًا لهم عن خالقهم، فبعد هذه الأشياء بُشّروا بفوز العاقبة.

(١٠٣)

فلو لم يكن في قلوبهم إلاّ حسن الظنّ بعطائه لكان تحقيق ذلك الخبر على قلوبهم، فكيف بالفراسة والإلهام والحقّ والحكمة ورُوح الجلال، وعجائبَ في قلوبهم كلّها يحقّق

---

١) وليكون – ٢) الموقنين حَ، مَ: الآية نَ ٤) القائل مَ، نَ: قائل ‖ ومن مَ، نَ: من حَ ٥) أمنوا: اومنوا مَ، نَ: – حَ ‖ فالوحي حَ: والوحي مَ: – نَ ٦) من – الحق نَ: من الحق حَ: – مَ ‖ فالحق حَ: الحق مَ: – نَ ‖ عليهم مَ، نَ: على قلوبهم حَ ٧) شريعة – ﷺ مَ: الشريعة الرسول ﷺ حَ: الشريعة نَ ‖ قبلوا مَ، نَ: قبلوه حَ ٨) فأطلعهم مَ، نَ: فأطلع حَ ‖ بقلوبهم مَ، نَ: قلوبهم حَ ‖ وقطع حَ، مَ: ويطلع نَ ‖ من حَ، مَ: في نَ ٩) وأوصلهم حَ، مَ: فأوصلهم نَ ‖ مجالسته حَ: مجالسه مَ، نَ ١٠) فامتلأت حَ، مَ: وامتلأت نَ ١١) وإنما مَ: فانا حَ: فانما نَ ‖ أفاقهم مَ، نَ: أماتهم حَ ١٢) ميل حَ، مَ: مل نَ (تصحيف) ‖ قبول مَ، نَ: – حَ ١٣) فتنة حَ، مَ: فيه نَ ‖ يصير حَ، مَ: يصل نَ ‖ ذلك الالتفات مَ: الالتفات حَ: ذلك الاتفاق نَ ‖ عن حَ، نَ: من مَ ‖ هذه حَ، نَ: هذا مَ ١٦) بعطائه حَ: العطائية مَ، نَ ١٧) كلها نَ: كلما حَ، مَ

....

١) – ٢) القرآن الكريم ٦/٧٥

ويصدّق بعضُها بعضًا في قلبه هذا الخبر، ثم السكينة، فيَلْقَى الخبرَ فيقبله – فكيف يمكنه ردّه؟ هذا الذي يدفع هذا لا يعلم من هذه الأشياء إلاّ أسماءها، ولا يعلم صنع الله على القلوب وهو مقرون بهذه الأشياء، فلو علموا ما هذه الأشياء التي ذكرتُ وما أفعالها على القلوب لكانوا لا يحتجّون بمثل هذه الحجج.

فهم يقولون: حكمة حكمة وفراسة فراسة وإلهام إلهام، وليس عندهم وراء هذا
١٦٣ أ شيء. ألا ترى أنّك / تجد في مسائلهم أنّهم يقولون: ما الفرق بين الوسوسة والإلهام؟ أليس هذا من مسائل البَلَه الذي لا يعرف ما الإلهام؟ وليت شعري هل يعرف قصّة إلهام وفرقه وصفته ومن أين وكيف ومتى يكون؟ فلذلك هان عندهم الإلهام.

(١٠٤)

وقد بلغ من سلطان الإلهام مبلغًا أنّ عمر رضي الله عنه نطق عن الإلهام على المنبر: يا سارية، الجبلَ الجبلَ! فسمع الجيش كلمته في ذلك وهم منه على مسيرة شهر فيما روي في الخبر، فانحازوا إلى الجبل، فأغاثهم الله بذلك النداء.

فالمحدَّث حديثه فيما بينه وبين ربّه، فإذا صار إلى أمور الغيب قُذِف إليه الخبرُ مع شُعَل الأنوار، فلولا أنّ ذلك القذف موسوم بالرحمة لزالت له الجبال من هول السلطان الذي معه.

---

١) فيلقى حَ، مَ: تلقى نَ ‖ فكيف مَ، نَ: كيف حَ ٢) هذا مَ: وهذا حَ، نَ ‖ اسماءها ولا حَ، مَ: سما وهؤلاء نَ (تصحيف) ٣) وهو مَ، نَ: وهم حَ ‖ الأشياء مَ: الأسماء حَ، نَ ‖ الأشياء مَ: الأسماء حَ، نَ | ذكرت مَ، نَ: ذكر حَ ٤) يحتجون حَ، نَ: يحتجبون مَ ‖ بمثل حَ، مَ: لمثل نَ ٥) حكمة حَ، مَ: بحكمة نَ ‖ وفراسة مَ، نَ: فراسة حَ ‖ والهام الهام مَ، نَ: والهامًا إلهامًا حَ ٦) ترى حَ، مَ: – نَ ‖ بين – ٧) يعرف: – نَ ٧) البله مَ: الثلاثة حَ ‖ الذي لا يعرف مَ: الذين لا يعرفون حَ ‖ هل – ٨) إلهام حَ، مَ: – نَ ‖ يعرف حَ: بعرف مَ ٨) إلهام مَ: الإلهام حَ ‖ وفرقه مَ، نَ: وقذفه حَ ‖ ومن أين مَ، نَ: من أين حَ ‖ فلذلك مَ: فكذلك حَ، نَ ١٠) مبلغًا مَ، نَ: ما بلغنا حَ ‖ عمر مَ، نَ: + بن الخطاب حَ ‖ عن حَ، مَ: على نَ ١١) سارية مَ: + بن حصين حَ: بن حضر نَ ‖ الجبل الجبل حَ، مَ: الجبل نَ ‖ الجيش حَ، مَ: الحسن نَ (تصحيف) | على مَ، نَ: – حَ ‖ فيما مَ، نَ: كما حَ ١٢) الى الجبل مَ، نَ: اليه حَ ‖ فأغاثهم مَ: فأعانهم حَ: فعانهم نَ ١٣) ربّه مَ، نَ: الله تعالى حَ ‖ صار نَ: صاروا حَ، مَ ‖ اليه الخبر مَ: اليهم الخبر حَ: اليه نَ ١٤) شعل نَ: شغل حَ، مَ ‖ لزالت مَ، نَ: لذابت حَ

....

١٠) قارن الوافي ١٥، ٧٥، رقم ٩٧

فإذا صار إلى الفراسة نظر بنور الله التامّ، فنفذ بصره فيما لم يخلق بعدُ.

فكلّ هذا كان موجودًا في عمر رضي الله عنه متى أُلهم حين نادى: يا سارية! الجبلَ، من مسيرة شهرٍ، وتفرّس في الأشتر حين دخل عليه — حدّثنا بذلك يعقوب بن شيبة، قال: حدّثنا بشر بن الحارث، عن شعبة، عن عمر بن مرّة، عن عبدالله بن سلمة، قال: دخلنا على عمر رضي الله عنه ومعي وفد مذحج، فنظر إلينا حتى انتهى إلى مالك الأشتر فصعّد فيه البصر وصوّبه، فقال: أيّهم هذا؟ قلنا: مالك بن الحارث! قال: قاتله الله! إنّي لأرى منه للمسلمين يومًا شرًّا عصيبًا.

وهذه وصمة عظيمة شديدة عند العقلاء، يدلّ على أنّهم في صدقهم قوم مُدغِلون، حُسُد، بغاة، حبّ الدنيا في قلوبهم مشحون يكبر في صدورهم أن يترأّسهم أحد، فيقصدون قصد من الله فيدفعونها.

(١٠٥)

فعلماء الظاهر يدفعون كرامات الأولياء من نحو المشي على الماء وطيّ الأرض وينكرون هذه الأخبار ويقدّرون ذلك من تلقاء أنفسهم، ويزعمون أنّ تلك آيات المرسلين، فإذا أثبتنا ذلك لمن دونهم أبطلنا حجج المرسلين.

---

١) صار م̄، ن̄: صاروا ح̄ ‖ نظر م̄، ن̄: نظروا ح̄ ‖ يخلق بعد ح̄، م̄: يخلو ن̄ (تصحيف) ٢) فكل م̄، ن̄: وكل ح̄ ‖ موجودًا م̄، ن̄: موجود ح̄ ‖ متى م̄: — ح̄، ن̄ ‖ حين م̄: حتى ح̄، ن̄ ٣) الجبل ح̄: — م̄، ن̄ ‖ حدثنا — ٤) مرة: — ن̄ ٤) قال ح̄: — م̄ ‖ عن شبعة — مرة م̄: عن سعيد بن عمر بن مرة ح̄ ٥) عمر م̄، ن̄: + بن الخطاب ح̄ ‖ ومعى وفد م̄: مع وفد ح̄: وهو ن̄ ٦) مالك ح̄، م̄: ملك ن̄ ‖ وصوبه ح̄، م̄: وصونه ن̄ ‖ فقال م̄: ثم قال ح̄، ن̄ ‖ قلنا ح̄، م̄: — ن̄ (بياض) ٧) للمسلمين ح̄، م̄: — ن̄ ٨) عظيمة شديدة م̄، ن̄ ‖ مدغلون م̄: مدخولون ح̄: مدعلون ن̄ ٩) حسد م̄: حسدة ح̄: (بياض) ده ن̄ ‖ مشحون: مشحونة ح̄، ن̄: منصون ن̄ (تصحيف) ‖ يكبر ح̄، م̄: يكتب ن̄ ‖ في صدورهم ح̄، م̄: في قلوبهم صدورهم ن̄ ‖ يترأسهم ح̄، م̄: (بياض) مداهنهم ن̄ ١٢) الماء ح̄، م̄: — ن̄ ‖ وينكرون م̄، ن̄: فينكرون ح̄ ١٣) ويقدرون م̄، ن̄: يقدرون ح̄ ‖ تلك م̄: + من ح̄، ن̄ ‖ فاذا م̄، ن̄: فإن ح̄

....

٣) الأشتر، قارن: أعلام ٥، ٢٥٩ ‖ يعقوب بن شيبة، قارن: HṬ 28, Nr. 162

٤) بشر بن الحارث، قارن: .EI, s.v؛ شعبة، قارن: تقريب ١، ٣٥١، رقم ٦٧؛ الوافي ١٦، ١٥٥، رقم ١٧٩ ‖ عمر بن مرة، قارن: ثقات ٨، ٤٤٥؛ جرح ٣، ١٣٦، رقم ٧٤١؛ تهذيب ٧، ٤٩٨، رقم ٨٢٨ ‖ عبدالله بن سلمة، قارن: تقريب ٨، ٤٢٠، رقم ٣٥٢؛ و٣٥٣؛ الوافي ١٧، ٢٠٠، رقم ١٨٥

وما أبعد ما وقعوا ! فلم يميّزوا بين الآيات والكرامات ، ولا يعلمون أنّ الكرامات من كرمه ، والآيات من قدرته ، فلم يُقرّوا بالكرامات ليأسهم من هذه الكرامات لِمَا هم فيه من الأدناس والتخليط .

(١٠٦)

وهؤلاء القرّاء ، أعني المدّعين الصدقَ ، يدفعون ما وصفنا من شأن المحدّثين والملهمين الذين هم خاصّة الأولياء ، يقدّرون ذلك من تلقاء أنفسهم ويزعمون أنّ هذا لا يكون ، فما وجدتُ علّة هذا الذي دهاهم ، حتى أنكروا ذلك ، إلاّ أنّهم قد رأوا هذه الأمور على ما رأوا من حظوظ أنفسهم منه ، فإنّما حظّهم منه التوحيد ، ثم الجهد في وفاء الصدق ، ثم الصدق في الجهد ، حتى ينالوا شيئًا من القربة ، وهم في عمى عن علم منن الله وحظوظه لخاصّته ومحبّته إيّاهم ورأفته بهم ، فإذا سمعوا بشيء من هذا تحيّروا وأنكروه.

ثم إنَّهم يَرْوُونَ في الأخبار عن رسول الله ﷺ : إنَّ لله عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم النبيّون والشهداء لقربهم ومكانهم من الله و : ليتمنّينّ اثنا عشر نبيًّا أنّهم كانوا من أمّتي ، وقولَه : لو أقسمت لبررت أن لا يدخل قبل سابقي أمّتي الجنّة إلاّ بضعة عشر ، منهم إبراهيم وإسماعيل ويعقوب وإسحاق ومريم بنت عمران.

فإذا رَووا الأخبار سمحوا ، فإذا صاروا إلى الإشارات وإلى المنصوص من الناس جحدوا ، فهل هذا إلاّ من الحسد ، فصار مثالهم في هذا كما قال في تنزيله : ﴿فَإِنَّهُمْ لَا

---

١) وقعوا م، ن : وقفوا معه ح ‖ فلم ح ، م : لم ن ‖ و٢) الكرامات ح ، م : الكرمات ن (تصحيف) ٥) وهؤلاء القرّاء ح : وهم القراء م : وهؤلاء المقرا ن ‖ الصدق م ، ن : للصدق ح ‖ يدفعون م ، ن : يدعون ح ٦) الذين ح ، م : الذي ن ‖ خاصة : خاص ح ، م ، ن ‖ يزعمون – ٨) أنفسهم : – ن ٧) حتى م : حتى إنّهم ح ‖ ذلك م : – ح ٨) منه التوحيد ح ، ن : من التوحيد م ١٠) بهم م ، ن : لهم ح ١١) إنهم ن : هم ح ، م ‖ يروون م ، ن : يردون ح ‖ في ح ، م : من ن ‖ ولا – ١٢) شهداء ح ، م : – ن ١٢) يغبطهم ح ، م : يظبطهم ن (تصحيف) ‖ لقربهم ومكانهم م ، ن : لمكانهم وقربهم ح ‖ ليتمنين اثنا ح : لبتمنين اثنى م : ليتمنى اثنى ن ١٣) سابقي ح ، م : سابق ن ‖ الا ح : غير م ، ن ١٤) عشر ح : + رجلاً م ، ن ‖ بنت ح ، م : ابنت ن ١٥) رووا ن : رأوا ح ، م ‖ الإشارات م ، ن : الإشارة ح ‖ المنصوص ح ، م : النصوص ن ١٦) قال م ، ن : + الله تعالى ح ‖ تنزيله م ، ن : تنزيل كتابه ح

....

١١) قارن ٢٨ : ٦

١٢) قارن ٢٨ : ٤

١٦) – ٨٤ ، ١) القرآن الكريم ٦/٣٣

يُكَذِّبُونَكَ وَلٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ ، وذلك أنّهم كانوا يتحدّثون فيما بينهم بمبعث نبيّ يخرج على دين إبراهيم ، فلمّا جاءهم محمّد ﷺ جحدوه.

(١٠٧)

قال له القائل : أفليس في هذه الأخبار ما يدلّ على تفضيل من دون الأنبياء على الأنبياء؟

قال : معاذ الله أن يكون ذلك ! ليس لأحد أن يفضِّل على الأنبياء أحدًا لفضل نبوّتهم ومحلّهم.

قال له قائل : فلِمَ يغبطهم النبيّون وليسوا بأنبياء؟

قال : قد فُسِّر في هذا الخبر لِمَ ذلك : لقربهم ومكانهم.

(١٠٨)

فأمّا قوله محتجًّا : ﴿لاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الخَاسِرُونَ﴾ ، فهل يدري قائل هذا القول ما المكر ثم يحتجّ به ههنا؟ وتفسير المكر أغمض من أن يفهمه صاحب هذا الكلام ، فالأنبياء والرسل لم يأمنوا المكر بعد البشرى ، وليس المكر عندنا الذي يعقله العامّة ، والذي يعقله العامّة هو خوف التحويل ، فذلك أيضًا غير مأمون ، فإذا أُمِّنَ وبُشِّرَ أَمِنَ ، فأمّا المكر الذي لا يجوز أمنه فأعظم شأنًا.

(١٠٩)

فأمّا قوله : إنّ هذا يؤدّي إلى الزندقة ، فليت شعري هل يدري ما الزندقة؟ أو سمع

---

١) وذلك أنّهم م̄: — ح̄ ، ن̄ ‖ كانوا يتحدّثون م̄: كانوا بنحدون ح̄ : وكانوا يتحدثون ن̄ ٢) إبراهيم م̄: + خليل الرحمن صلوات الله عليه ح̄ : + عليه الصلوة والسلم ن̄ ٤) له القائل ح̄ ، م̄: قائل ن̄ ‖ أفليس م̄، ن̄: وليس ح̄ ٦) ذلك م̄: كذلك ح̄ ، ن̄ ‖ أحدًا ح̄ ، ن̄ : — م̄ ‖ لفضل ح̄ ، م̄: الا بيالهم ن̄ (تصحيف) ٨) له قائل م̄: — ح̄ ، ن̄ ‖ بأنبياء م̄: بأفضل منهم ح̄ ، ن̄ ٩) فسر م̄: فسره ح̄ : تبين ن̄ ‖ هذا م̄: — ح̄ ، ن̄ ‖ ومكانهم م̄: + من الله تعالى ح̄ ، ن̄ ١١) فأمّا ح̄ : اما م̄: واما ن̄ ‖ محتجًّا ح̄ ، ن̄ : محتجبًا م̄ ‖ الا القوم الخاسرون ح̄ : — م̄، ن̄ ‖ يدرى ح̄ ، م̄: يدر ن̄ ١٣) بعد ح̄ ، م̄: — ن̄ ١٤) والذي — العامة م̄، ن̄ : — ح̄ ‖ هو ح̄ ، ن̄ : — م̄ ‖ فذلك أيضًا م̄: فذلك ح̄ : فذاك ‖ أمّن ح̄ : أومن م̄، ن̄ ١٥) أمِن م̄، ن̄ : + من المكر ح̄ ‖ لا ح̄ ، م̄: — ن̄ ١٧) فأمّا م̄: وامّا ح̄ ، ن̄ ‖ أو سمع ح̄ ، ن̄: وسمع م̄

....

١١) القرآن الكريم ٧/٩٩

الناس يذكرون اسمًا ، فكلّ من تحرّك يريد التشنيع على غيره يقول : هذه الزندقة ، فلو قال آخر : بل الذي في يدك الزندقة لأنّك تزعم أنّك تعبد الله وأنت في الحقيقة تعبد نفسك وهواك ، ونفسك صنم بين يديك — من آذاها واستقبلها بمكروه؟ — فحربُها قائم وأنت معيَّن لها — ماذا تقول له؟

(١١٠)

فأمّا قوله : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ ﴾ ، فعلم الغيب عند الله — فكم مِن غيبٍ قد أطلع عليه رسولَه ! فأيّة حجّة له في هذا؟ وإنّمَا يريد أن يروّح بمثلها على الاغتمام والفرح ، وكم من غيب قد أطلع عليه أهلَ الإلهام حتى نطقوا به
١٦٣ ب وأهلَ الفراسة؟ ولِـمَ قال أبو الدرداء : اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه والله حقّ يقذفه الله / على قلوبهم وأبصارهم؟ ومن أين قال سلمان للحارث صاحب معاذ : عرف روحي روحك؟ ومن أين قال أويس لهرم بن حيّان : عليك السلام يا ابن حيّان !

قال : ومن أين عرفت أنّي هرم بن حيّان؟

قال : عرف روحي روحك !

فهذا عمل الروح الذي ليس له من حظوظ القلب ومحلّه ومصيره إلى العُلَى شيء ، فكيف بالقلوب التي وصفنا ! أفليس هذا الذي تكلّم به أويس من الغيب ولم يعرفه قطّ ؟ أفليس قد اطّلع عليه؟ وقول عمر للأشتر : إنّي لأرى للمسلمين منه يومًا شرًّا عصيبًا ،

---

١) اسما مَ : + قبيحًا حَ ، نَ ٢) آخر مَ ، نَ : أحد حَ ‖ الذى في يدك الزندقة مَ : الذى في يدك زندقة حَ : الذى يذكره أو الذى في يدك زندقة نَ ‖ تزعم حَ ، مَ : زعمت نَ ‖ وأنت حَ ، مَ : وإنك ‖ في الحقيقة مَ : — حَ ، نَ ٤) معين لها حَ ، مَ : معنا بها نَ ‖ له مَ ، نَ : — حَ ٦) فأمّا حَ : وأمّا مَ ، نَ ‖ قل مَ ، نَ : — حَ ٧) قد مَ ، نَ : — حَ ‖ إنّمَا حَ : — مَ ، نَ ٨) بمثلها مَ ، نَ : بمثل هذا حَ ‖ الاغتمام والفرح مَ : الأغنياء حَ : الأعنام والهوج نَ ‖ أطلع مَ : + الله حَ ، نَ ٩) اتقوا مَ ، نَ : اتق حَ ‖ الله حَ : — مَ ، نَ ‖ على مَ . نَ : في حَ ١٠) روحي حَ ، مَ : — نَ ‖ روحك مَ ، نَ : بروحك حَ ١١) أويس — ابن حيّان مَ : أويس القرني عليك السلام يا هرم بن حيان حَ : أويس لهرم رحمهما الله وعليك السلام يا هرم بن حيّان نَ ١٤) الذى مَ ، نَ : والذى حَ ‖ ليس له نَ : له حَ : ليس له حظ مَ ‖ العلى مَ ، نَ : + فعلى حَ ١٥) التي مَ ، نَ : الذى حَ ‖ أفليس مَ ، نَ : فليس حَ ١٦) أفليس حَ ، مَ : أليس نَ ‖ عليه حَ ، مَ : — ولم يعرفه نَ ‖ وقول حَ ، مَ : يقول نَ ‖ إني لأرى للمسلمين مَ ، نَ : لَيرى المسلمين حَ ‖ منه نَ : منك حَ : — م

٦) القرآن الكريم ٢٧/٦٥

١٠) سلمان ، قارن : الوافي ١٥ ، ٣٠٩ ، رقم ٤٣٣

١١) أويس القرني وهرم بن حيان ، قارن : كشف المحجوب ١٠٢ ؛ transl. Nicholson 84f. ؛ حلية ٢ ، ٨٤ — ٢

وقوله : يا سارية الجبلَ الجبلَ ! وهو على المنبر ، ومثل هذا أكثر من أن يُحصَى.

وقول أبي بكر رضي الله عنه عند موته لعائشة : إنّي كنت نحلتك جدار نخل بالعالية ، فإنّكِ لم تكوني قبضتيه ولا أجّرتيه ، وإنّما هو مال الوارث ، وإنّما هما أخواك وأختاك ، فقالت له : يا أبت إنّما لي أخت واحدة ! فقال : إنّما أُلقي في روعي أنّ ذا بطنِ بنتِ خارجةَ جاريةٌ ، قالت : فولدت بنتًا.

أفليس قد حكم بما أُلقي في روعه فقال : إنّما هما أختاك ، فيثبت القول بأنّ الذي في بطنها من ولده وأنّها بنت.

أفليس هذا غيب قد اطّلع عليه من طريق الحديث أو طريق الإلهام؟

(١١١)

ويقال لهذا الزاعم : إنّ الغيب على وجوه ، فهل علمت أيّ غيب هذا الذي قال : ﴿قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ الغَيْبَ إِلاَّ اللهُ﴾ فقد قال في آية أخرى : ﴿عَالِمُ الغَيْبِ﴾ ، ﴿فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِه إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ، فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ ، فأنبأ أنّه لا يظهر على غيبه إلا الرسل ، ثم تجد في الأنبياء من ليس برسول وقد أظهره على غيبه من طريق الوحي.

فغيب عنده يكاد أن يخفيها من نفسه وهي الساعة ، وغيب أظهره عند الملائكة ، وغيب أظهره عند المحدّثين من الأولياء ، فهل ميّزتَ بين هذه الأشياء أم أنت في جزاف

---

١) وقوله ح ، ن : وقول عمر م || سارية ح ، م : سارية بن حصن ن || الجبل الجبل م : الجبل ح ، ن || أكثر ح ، م : كثير ن ٢) عند موته م ، ن : — ح || نحلتك ح ، م : نحلبل ن (تصحيف) || نخل ح ، م : بحلى ن || بالعالية ح ، م : بالعانه ن ٣) فإنّك — اجرتيه م : ولم تكوني حربه ح : ولم تكوني حرسه ن || هما أخواك م : هو أخوك ح : هنا اخواك ن ٤) فقالت ح ، ن : فقال م || لي ح ، م : هي ن || إنّما م : إني ح ، ن || في م ، ن : اليّ في ح || بطن م ، ن : في بطن ح || بنت — ٥) جارية م : بنت حارثة بنت ح : خارجة ابنة ن || قالت م ، ن : فقال ح || بنتًا م ، ن : ابنة ح ٦) أفليس ح ، م : أوليس ن || هما م ، ن : هي ن || فيثبت القول م : فثبت بالقول ح : فثبت القول ن || بأن م ، ن : أن ح ٧) من ولده ح : ولد م ، ن || بنت م : ابنة ح : ابنت ن ٨) عليه ح ، م : الله عليه ن ١٠) أي ح ، م : ان ن || الذى قال م ، ن : — ح ١١) قل ح ، ن : — م || فقد قال م : وقال ح : وقد قال ن ١٢) عالم الغيب ح ، م : — ن || فإنّه — ١٣) رصدًا ح : — م ، ن ١٣) فأنبأ — الرسل ن : — ح ، م ١٤) أظهره ح ، م : اظهر ن || غيبه م ، ن : غيب ح ١٥) يكاد م ، ن : ويكاد ح || وهي ح : وهو م ، ن ١٦) وغيب ح ، م : غيبه ن || من م : — ح ، ن

....

١١) القرآن الكريم ٢٧/٦٥

١٢) — ١٣) القرآن الكريم ٧٢/٢٦ — ٢٧

وعجرفة؟ سمعت باسم الغيب وتلوت آيةً من عرض القرآن محتجًّا بها، فما لَك يا مسكين والتعرّض لطريق الأولياء وأنت رجل عبد نفسه، لم تتخلّص من حُمَة الهوى فضلاً عن الهوى. فتلظّى هواك راجعًا عليك وأنت في علائق النفس والوسواس مأسور، فاحذر أن تدخل في منازل الأولياء وكلامهم، فإنّك لست من علمهم في شيء!

(١١٢)

وأمّا قوله: الولاية والهدى والعداوة والشقاء والسعادة غيب لا يعلمه إلاّ الله، أفليس قد أعلم الله كثيرًا من عبيده ذلك؟ وأعلم الله على لسان الرسول كثيرًا من عبيده شقاوتهم وسعادتهم مثل أبي بكر وعمر حيث شهد لهما الرسول بالجنّة.

فإن كانت الولاية من الله لعبيده حقًّا فبشراه إيّاهم حقّ، ولكن صاحب هذا القول في خُلوٍّ من هذا العلم. لأنّه يحسب أنّ الوليّ هو الذي يصيّر نفسه وليًّا بصدقه. هذا لأحمق. كأنّه لم يتنبّه لقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. وقوله: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾.

ويُقال: أليس قد أطلع الله مريم على الغيب من أمر عيسى، وهي صِدّيقة؟ فلمّا

---

١) عجرفة مَ. نَ: عجز فيه مَ ‖ وتلوت مَ: وتكرر حَ: وتكون نَ ٢) لطريق: طريق مَ: لحرمة حَ، نَ ‖ وأنت مَ. نَ: فأنت حَ ‖ نفسه: نفسك حَ. مَ، نَ ‖ تتخلص مَ. نَ: تخلص حَ ‖ حمة مَ: غمة حَ: بحهة نَ ٣) فتلظى مَ: فيكن حَ: ولكن نَ ‖ راجعًا عليك: راجع عليك مَ. نَ: راجع اليك حَ ‖ وأنت مَ: فأنت حَ. نَ ‖ النفس حَ. مَ: الهيبة نَ ‖ والوسواس مَ. نَ: والوساوس حَ ٦) الولاية – والسعادة مَ: الولاية والشقاوة والسعدة حَ: الولاية والشقاوة نَ ‖ أفليس حَ. مَ: أوليس نَ ٧) عبيده ذلك مَ: عباده ذلك حَ: عبيده نَ ‖ الرسول حَ. مَ: رسوله نَ ٨) حيث شهد حَ: حيث يشهد مَ: فشهد نَ ‖ الرسول حَ، مَ: رسول الله نَ ٩) لعبيده حقًّا مَ. نَ: حقًّا لعبيده حَ ‖ حق مَ. نَ: حقًّا حَ ١٠) في مَ، نَ: متعلق في حَ ‖ لأنّه مَ: وهو حَ: هو نَ ‖ أن الولي حَ: أن الولاية مَ: الولي نَ ‖ بصدقه حَ. مَ: – نَ ١١) لأحمق مَ: أحمق حَ، نَ ‖ يتنبه حَ. مَ: يتنه نَ ‖ من – ١٢) النور حَ، مَ: الآية نَ ١٢) وقوله مَ، نَ: وهو قوله حَ ‖ يخرجهم – النور حَ، مَ: – نَ ١٣) والذين – الظلمات مَ: – حَ، نَ ١٤) وهي صديقة مَ، نَ: – حَ ‖ فلما حَ، مَ: فلا نَ

....

١١) – ١٢) القرآن الكريم ٣٣/٤٣

١٢) – ١٣) القرآن الكريم ٢/٢٥٧

تعجّبت قالت : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ ؟ قيل لها : ﴿ كَذٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ﴾ . سكنت واطمأنّت ، فأثنى الله عليها في تنزيله فقال : ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ ، فإنّها لم تسأل آيةً على ما بُشّرت ، فأثنى الله عليها في تنزيله وسمّاها : ﴿ صِدِّيقَة ﴾ .

أليس قد وجدت رزقًا فقالت : ﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾ ، أفليس قد وجدت شيئًا لا يعرف في الدنيا ذلك الشيء في ذلك الوقت . إنّمَا وجدت فاكهة الصيف في الشتاء ، فكان يكون ذلك كائنًا أن يكون الشيطان يحمل إليها سرقة من عند الآدميّين ، فهل سبق إلى قلبها قطّ : أنّ هذا لعلّه أن يكون من الشيطان يريد أن يخدعني بمثل هذا ؟ أفليس قد اطمأنّت إلى ذلك وقالت : ﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾ ؟

(١١٣)

فإن قال : إنّ الذي خاطب مريم بهذا الخطاب من الغيب مَلَك ، قيل له : فإنّها لم تر الملك إنّما سمعت النداء ، فأيّ شيء حقّق عندها أنّ هذا النداء من الملك ؟ فَحدِّثْني : عندك قول المَلَك من حيث لا يُرى أنْفَذُ أم كلام الله على قلب العبد إذا أُلْقِي إليه حديثًا ؟

وهذا قول داود لابنه : يا بنيّ ، ما أحلى شيء وما أبرد شيء وما ألين شيء ؟ قال : أمّا أحلى شيء فكلام الله إذا قرع أفئدة أولياء الله ، وأمّا أبرد شيء فروح الله

---

١) تعجبت حَ ، مَ : تعجب نَ ‖ غلام مَ : ولد حَ ، نَ ‖ لها حَ ، نَ : — مَ ‖ كذلك — ٢) ربك مَ ، نَ : كذلك الله يفعل ما يشاء حَ ٢) فأثنى — تنزيله حَ ، نَ : فأثنى الله في تنزيله عليها مَ ‖ فقال مَ : + عزّ من قائل حَ ، نَ ٣) وكتبه حَ ، نَ : كتابه مَ ‖ تسأل آية حَ ، مَ : تشك أنه نَ ‖ عليها — ٤) وسمّاها مَ : عليها وسمّاها في تنزيله حَ : عليها فقال وأمه نَ ٥) أليس مَ : أوليس حَ ، نَ ‖ أفليس حَ : أليس مَ : أوليس نَ ٧) كائنًا مَ ، نَ : ممكنًا حَ ٨) أن حَ ، مَ : أو نَ ‖ أن يكون مَ ، نَ : — حَ ‖ هذا حَ ، مَ : هذا الشيء نَ ‖ أفليس حَ ، نَ : فليس هذا مَ ١١) بهذا مَ ، نَ : بمثل هذا حَ ‖ من الغيب حَ ، مَ : — نَ ١٢) تر الملك حَ ، مَ : تره نَ ‖ هذا مَ : ذلك حَ ، نَ ‖ فحدثني نَ : فحديث حَ : وحدثني مَ ١٣) عندك : — حَ : عند مَ : عنك نَ ‖ قول مَ ، نَ : — حَ ‖ أنفذ مَ : أبعد حَ : العر نَ (تصحيف) ‖ حديثًا حَ ، مَ : الحديث نَ ١٤) وهذا مَ : وهو حَ ، نَ ١٥) قال نَ : — حَ : ق مَ (تصحيف) ‖ أمّا حَ ، مَ : ما نَ ‖ فكلام حَ ، مَ : وكلام نَ ‖ أفئدة أولياء الله مَ ، نَ : الأفئدة الأولياء حَ | أمّا : ما حَ ، مَ ، نَ

....

١) القرآن الكريم ١٩/٢٠ ‖ القرآن الكريم ١٩/٢١
٢) – ٣) القرآن الكريم ٦٦/١٢
٤) القرآن الكريم ٥/٧٥
٥) القرآن الكريم ٣/٣٧

بين المتحابّين في الله ، وأمّا ألين شيء فحكمة الله إذا بشّرها أولياء الله ، — حدّثنا بذلك أبي ، حدّثنا إسماعيل بن صبيح البصري ، عن صباح بن واقد الأنصاري ، عن سعد بن طريف ، عن عكرمة ، عن ابن عبّاس .

(١١٤)

ويقال له : ما قولك في محدّث بُشّر بالفوز والنجاة وقال : ربِّ اجعلْ لي آيةً تحقّق لي ذلك مع هذا الخبر الذي جاءني لينقطع الخطاب !

فقال له : آيتك أن أطوي لك الأرض حتى تبلغ بيت الحرام في ثلاث خطوات ، أو أجعل لك البحر كالأرض تمشي عليه كيف شئت ، أو أجعل التراب والحجر في يديك ذهبًا — ففعل هذا — هل ينبغي أن يطمئنّ إلى هذه البشرى بعد ظهور هذه الآية أم لا؟ فإن قال : لا ! فقد عاند واجترأ على الله وحلّت به دائرة السوء ، وإن قال : نعم ! فقد ذهب قوله واحتجاجه الظلماني .

(١١٥)

فلا ينكر هذا إلاّ حاسد لنعمة الله ، ذو دَخْل ، محبّ للدنيا ، كاتم للمحبّة ، مُظهر
١٦٤ أ للزهد / مُعجب بنفسه ، وقد سترت نفسه المخادعةُ له هذه الأشياء ، فهو لا يراها من نفسه ، وهو يحسب أنّه يذبّ عن الحقّ بفعله هذا ، وغيظه في صدره يتلظّى ، ولا يعلم أنّ

---

١) أمّا : ما ح ، م ، ن ٢) حدثنا — ٣) عباس ح ، م : يروى ذلك بإسناد عن ابن عباس ن ‖ بن م : عن ح ‖ البصري م : اليشكرى ح ‖ سعد م : سعيد ح ٥) ويقال له م : ويقال ح : وقال ن ‖ وقال م : فقال ح ، ن ‖ لي م ، ن : — ح ٦) لينقطع الخطاب ح ، م : — ن ٧) له ن : — ح ، م ‖ أن م ، ن : أنى ح ‖ بيت م : بيتي ح : البيت ن ‖ أو م ، ن : و ح ٨) لك البحر ح ، م : البحر لك ن ‖ عليه ن : عليها ح ، م ‖ أو أجعل م ، ن : وأجعل ح ‖ التراب م ، ن : لك التراب ح ‖ يديك ح ، م : يدك ن ٩) هذا ح ، م : — ن ‖ أن م ، ن : له أن ح ‖ هذه ح : هذا م : — ن ‖ ظهور م ، ن : ظهوره ح ١١) احتجاجه الظلماني ح : حجاجه الظلمانية م ، ن ١٣) فلا ن : ولا ح ، م ‖ لنعمة م ، ن : لنعم ح ‖ ذو دخل م : وتقديره ح : داود على ن (كذا) ‖ للمحبّة ح ، م : للمحب ن ١٤) بنفسه ح ، م : لنفسه ن ‖ فهو لا ح ، ن : فهؤلاء م ١٥) وهو يحسب م ، ن : ويحسب ح ‖ بفعله هذا م : بفعله ح : بقوله هذا ن

....

٢) إسماعيل بن صبيح ، قارن : HT 13, Nr. 20 ‖ صباح بن واقد الأنصاري ، مجهول ‖ سعد بن طريف ، قارن : تقريب ١ ، ٢٨٧ ، رقم ٨٨ ؛ تهذيب ٣ ، ٤٧٣ ، رقم ٨٨١

٣) عكرمة ، قارن : EI

هذا غيظ الغيرة والحسد ، وأنّه لا يصل بجهده إلى هذا ، فهو يغتاظ ويحنق على من أوصله الله من طريق المنّة والمشيئة حتى يؤدّيه إلى تكذيبه ورميه بالزندقة ، فإذا هو كما قال الله : يا موسى لا تحسد الناس على ما أنا آتيهم من فضلي ، فإنّ الحاسد عدوّ لنعمتي ، ساخط لأمري ، مضادّ لقضائي ، فهذا المسكين في الباطن يسخط قَسْمَه ويضادّ قضاءه ويعادي نعمه ، وهو يحسب أنّه يذبّ عن الحقّ وينكر الباطل.

ويقال له : ما قولك في حديث عمر ، أنّه كانت رجفة عظيمة على عهده ، فقال : ما هذا ما أسرع ما أحدثتم ! والله لئن عادت لأخرجنّ من بين أظهركم ! فبأيّ شيء عرف عمر أنّ هذه الرجفة معاتبة لهم دونه ليس من أجلِه؟ هل عرف هذا إلا من قِبَلِ ما وصفنا؟ وإلاّ فكيف استجاز أن يبرّئ نفسه من الحدث والمعاتبة ويقول : لأخرجنّ من بين أظهركم !

(١١٦)

قال له القائل : فما حال هذا الذي تصفه بهذه الصفة في وقت المقدور عليه من المعصية؟

قال : حاله لا يوصف.

قال : وكيف لا يوصف؟

قال : لأنّي لو وصفت لم أصف جزءًا من عشرة آلاف جزء ممّا يحلّ بصاحب هذا إذا وقع في المقدور عليه سن الخطيئة ثم انتبه منها ، وكلّ شعرة منه تصرخ إلى الله ندمًا ،

---

١) فهو م ، ن : وهو ح ‖ يغتاظ ويحنق م ، ن : يغتاص ويختوى ح ‖ من – ٢) أوصله الله : من أوصله تعالى ح : ما اوصل الله م : من أوصله ن ٢) من ح ، م : اليه من ن ‖ المنة م ، ن : المنن ح ٣) الله م : – ح ، ن ‖ أنا ن : – ح ، م ‖ آتيهم من فضلي م : ابقيهم من فضلي ح : هم الله من فضله ن ٤) فهذا المسكين ح ، م : – ن ‖ قسمه م ، ن : قسمة الله تعالى ح ٥) ينكر ح ، م : يزكى ن ٦) في حديث عمر م : في عمر بن الخطّاب ح ، ن ‖ أنّه كانت م : أن كانت ح : فان كان ن ‖ على م : في ح ، ن ‖ فقال ح ، ن : – م ٧) أحدثتم ح ، م : أخذتهم ن ‖ أظهركم ح ، م : أظهرهم ن ‖ فبأى ح ، ن : بأي م ٨) عمر ح ، ن : – م ‖ هذه ح ، ن : هذا م ‖ دونه ح ، م : من دونه ن ‖ ليس م : وليس ح ، ن ‖ هذا – قبل م : هذا الأمر إلا من قبل ح : هذا الأمر قبل ن ‖ ما ح ، م : – ن ٩) فكيف م ، ن : كيف ح ‖ الحدث ح ، ن : الحديث م ‖ ويقول م ، ن : فيقول ح ١٢) قال – القائل ن : فقال له القائل ح : قال له قائل م ‖ هذا ح ، م : – ن ‖ بهذه ح ، ن : بهذا م ١٥) وكيف م ، ن : فكيف ح ‖ لا يوصف ح : – م ، ن ١٦) لم أصف ح ، م : – ن ‖ جزء م ، ن : – ح ‖ بصاحب ن : لصاحب ح : به صاحب م ١٧) عليه ح : – م ، ن ‖ منه ح ، م : – ن

وكلّ عرق منه يئنّ إلى الله ألمًا ، وكلّ مفصل منه يتطاير من مفصله هولاً وذهولاً ، ونفسه دهشة وقلبه هائم ، فإذا لاحظ جلالَه كادت نفسه تزهق ، وإذا لاحظ محبّته اشتعل نارًا فأحرقت مضاربه ويكاد كبده يتقطّع ، ولكأنّ مصائب الدنيا كلّها قد تراكمت في ذلك الصدر ، لا يطمئنّ إلى شيء حتى يكون الله هو الذي يرحمه فرقّه عنه ذلك ، فلا يزال ذلك كيًّا على قلبه ، فمتى يزول عنه أثر ذلك الكيّ؟ كلّمَا نظر إلى أثر ذلك الكيّ فاضت عبراته وجعًا وحياءً حتى يعطف الله عليه فيطمس ذلك عنه.

(١١٧)

قال له القائل : إنّك لتصف أمرًا على غير سبيل ما أشار إليه يحيى بن معاذ!

فقال : رحم الله يحيى ، قد عرفتُ مكان يحيى من هذا الأمر ، وكان يحيى رجلاً من أولياء الله ، ممّن له حظّ في هذا الأمر ، ولكن الذي فُتح له في الغيب من مُلك الجمال ، وملك البهجة مقرون بملك الجمال ، وكان إيّاه يلاحظ وعنه ينطق ، وصاحب هذا المحلّ الأنس على قلبه غالب ، والمأنوس منبسط ، يُخرجه انبساطه إلى الدَلّ ، فإن لم يعصمه الله ويؤيّده سقط لأنّ الجمال يزينه ويقيمه ، والبهجة تجيش به فترمي به ، ومثله كمثل قِدر فيها من كلّ شيء من الأطايب ، ومن تحتها حريق النار ، فإذا اشتدّ غليان القدر جاشت بما فيها فرمت بأطايبه ودسمه.

وفي مثل هذا المكان يسقم القول ، فمن أراد الله به خيرًا فقدّمه من ملك الجمال إلى ملك الجلال وملك الكبرياء وملك الهيبة حتى يقدّمه إلى ملك الملك إلى ملك الفرديّة ،

---

١) منه حَ ، مَ : — نَ ‖ يئنّ حَ ، مَ : بأنى نَ ‖ ألمًا حَ ، مَ : — نَ ‖ وذهولاً حَ ، نَ : — مَ ٢) دهشة حَ ، مَ : دهشت نَ ‖ اشتعل مَ : اشعل حَ ، نَ ٣) قد مَ ، نَ : — حَ ‖ في مَ ، نَ : على حَ ٤) فرقه عنه نَ : فرقه عند حَ : ويجاوز عنه مَ ٥) كلّما مَ ، نَ : كما حَ ‖ أثر مَ ، نَ : — حَ ٦) وحياء مَ ، نَ : وكيًّا حَ ٨) القائل حَ : قائل مَ ، نَ ‖ غير مَ ، نَ : — حَ ‖ معاذ نَ : + رحمه الله حَ : + من هذا الأمر مَ ٩) فقال حَ ، نَ : قال مَ ‖ يحيى مَ ، نَ : + بن معاذ حَ ‖ وكان مَ : كان حَ ، نَ ١٠) له حظ مَ ، نَ : لا حظ له حَ ‖ ولكن مَ ، نَ : وإنما حَ ‖ الذى حَ ، مَ : الله عز وجل نَ ١١) الجمال مَ ، نَ : الجلال حَ ‖ وكان حَ ، مَ : فكان نَ ‖ ينطق مَ ، نَ : + وكذلك الشيوخ الذين صحبهم حَ ‖ وصاحب حَ ، مَ : فصاحب نَ ١٢) على – غالب مَ ، نَ : غالب على قلبه حَ ‖ يخرجه مَ ، نَ : ويخرجه حَ ‖ الدل مَ ، نَ : الإدلال حَ ١٣) الجمال مَ ، نَ : ملك الجلال حَ ‖ يزينه مَ ، نَ : يذيبه حَ ‖ به حَ ، مَ : — نَ ‖ فترمى مَ ، نَ : فترقى حَ ١٤) تحتها حَ ، نَ : تحته مَ ١٥) جاشت : جاش حَ ، مَ ، نَ ١٦) مثل مَ ، نَ : — حَ ‖ المكان حَ ، مَ : المقام نَ ‖ يسقم حَ ، نَ : يقسم مَ ‖ الجمال مَ ، نَ : الجلال حَ ١٧) وملك الهيبة حَ ، مَ : والهيبة نَ

فهيهات ! من أين يخطر ذلك الكلام ببال هذا المقدَّم؟ قد عرفنا ذلك القول ، وهو قول سقيم ، غير مقبول ممّن قاله وإن كان له حظّ من الولاية !

(١١٨)

وأجمل لك القول : إنّ الذرّة التي لم يعبأ بها أحد ممّن سُوِّيَ الوليُّ ، فهو عنده أعظم من الجبل ، إنّما انتخب الله الوليَّ وبلغ به هذه المنازل ليجعله حجّةً على أهل الموقف وليُري الملائكة عيب قلوبهم حتى قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾؟ حيث قال : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . وقوله : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . فأراد بمثل هذا الوليّ أن يجعل أحواله وقلبه جلوةً على أعين الملائكة يوم القيامة وحجّةً على الخلق – لا ليجعله عبرةً في الذنوب ! ثمّ يقول له : ارفع وبال الذنوب عن قلبك . هذه وسوسة الشياطين !

فإيّاك أن تصغي سمعك إلى هذا القول ! ولأيّ حبيب له صدق المحبّة في قلبك تهدي نفسك على مخالفته؟ فإن بدت منك جفوة تسخو نفسَك أن تقرّ حتى لا تعتبه؟ بل هذا يقلقك في الآدميّين – فكيف تهنّأ بطعام أو شراب حتى لا تعتب الكريم الجليل؟ فإن لم يرفع عن قلبك ذلك بلطف رحمته بعد حينٍ ، وبعدما احترقتَ في جنبه كيف تجد القرار؟

(١١٩)

واعلم أنّ من أراد الله هدايته واكتنفته رحمته ورأفته ومنحه طريق محبّته فسبيله إذا

---

١) من أين مَ ، نَ : من أن حَ ‖ ذلك الكلام حَ ، مَ : – نَ ‖ المقدّم مَ ، نَ : + وذكره حَ ‖ قد مَ ، نَ : وقد حَ ‖ القول حَ ، مَ : – نَ ٤) أحد مَ ، نَ : + هي اغفل عند قوم ممن لا يعرف ما هو ذا أشير اليه وما شرحه حَ ‖ سوى الولي مَ ، نَ : سوا الوالى حَ ٥) إنّما حَ ، مَ : وإنما نَ ‖ انتخب حَ ، مَ : استحب نَ ‖ ليجعله مَ : إلا ليجعله حَ : فيجعله نَ ٦) قلوبهم – قالوا مَ : قولهم حَ ، نَ ‖ ويسفك الدماء حَ : – مَ ، نَ ٧) حيث مَ ، نَ : لما حَ ‖ وقوله مَ ، نَ : قال حَ ٨) جلوة مَ ، نَ : – حَ ٩) عبرة حَ ، مَ : عنده نَ ‖ وبال مَ : بال حَ ، نَ ١٠) الشياطين مَ : الشيطان حَ ، نَ ١١) سمعك مَ : أذنك حَ ، نَ ‖ ولأي مَ : فأي حَ : وانى نَ ‖ تهدى : تجهد حَ : تهدا مَ ، نَ ١٢) بدت حَ ، مَ : بدرت نَ ‖ تسخو مَ ، نَ : لا تسخو حَ ‖ تقر مَ ، نَ : تستقر حَ ‖ لا مَ : – حَ ، نَ ‖ هذا حَ ، مَ : هو نَ ١٣) حتى لا مَ : حتى حَ : – نَ (بياض) ‖ فإن مَ : فإنه إن حَ : فإنّه لو نَ ١٤) عن قلبك ذلك مَ : ذلك عن قلبك حَ ، نَ ‖ بلطف مَ : بلطيف حَ ، نَ ‖ بعد حين حَ ، مَ : – نَ ١٦) رحمته ورأفته مَ : رأفته ورحمته حَ : ورحمته ورأفته نَ

. . . .

٦) القرآن الكريم ٢/٣٠

٧) القرآن الكريم ٢/٣٠ ‖ القرآن الكريم ٢/٣٠

فَتَح له هذا الطريق أن يرزقه خشيتَه ، وإنّما بدت الخشية من العلم به ، فإذا علم القلب خشيته – وإنّما ينال العلم من الفتح إذا فتح له – شاهد الأشياء ببصر قلبه فعلم خشيته ، فإذا لزمت الخشية القلبَ غشّاه بالمحبّة ، فيكون بالخشية معتصمًا ممّا كره الله دقّ أو جلّ ، وبالمحبّة منبسطًا في أموره ، ذا شجاعة في أموره.

ولو تركه مع الخشية لانقبض وعجز عن كثير من أموره ، ولو تركه مع المحبّة وحدها لاستبدّ وتعدّى لأنّ النفس تهيج ببهجة المحبّة ، لكنّه تبارك وتعالى اسمه ألطفُ به ، فجعل الخشية بطانته والمحبّة ظهارته ، حتى يستقيم به قلبه ، فترى التبسّم واللطافة والسعة في وجهه وأموره ، وذلك لظهور المحبّة على قلبه ، وتحت ذلك أمثال الجبال خشيةً ، فقلبه خاشع ووجهه طلق.

(١٢٠)

ثم يرقّيه إلى مرتبة أخرى ، وهي الهيبة والأنس ، فالهيبة من جلاله والأنس من جماله ، فإذا نظر إلى جلاله هاب فانقبض ، فلو تركه هكذا لعجّزه عن أموره كثوب ملقى أو جيفة بلا روح ، فإذا نظر إلى جماله امتلأ كلّ عرق منه فرحًا من بهجته ، فلو تركه هكذا
١٦٤ ب لجاشت به نفسه فتعدّى ، فجعل / الهيبة شعاره والأنس دثاره حتى يستقيم به قلبه وتقرّ نفسه ، ثم يرقّيه إلى مرتبة أخرى ، وهي مرتبة الانفراد بالله ، فقرّبه القربة العظمى ومكّن له بين يديه ، ونقّاه بنوره ، وفتح له الطريق إلى وحدانيّته ، وأطلعه على بدء الأمر من قوله :

---

١) له مَ ، نَ : عليه حَ ‖ بدت مَ : برت حَ : برزت نَ ‖ به حَ ، مَ : — نَ ٢) خشيته مَ : حشيه حَ ، نَ ‖ الفتح حَ ، مَ : الفتحة نَ ‖ فتح له مَ ، نَ : فتح الله له حَ ‖ خشيته مَ : فخشيه حَ ، نَ ٣) لزمت مَ ، نَ : الزم حَ ‖ غشاه مَ ، نَ : حشاه حَ ٤) شجاعة في أموره مَ ، نَ : شجاعة حَ ٥) أموره حَ ، مَ : أمره نَ ٦) لنفس مَ : النفسح حَ : النعيم نَ ‖ لكنه مَ : ولكنه حَ ، نَ ‖ تبارك — اسمه مَ : تبارك اسمه حَ ، نَ ‖ ألطف مَ : لطف حَ ، نَ ٧) بطانته مَ ، نَ : بباطنه حَ ‖ ظهارته مَ ، نَ : ظاهره حَ ‖ واللطافة مَ : والانطلاق حَ ، نَ ‖ والسعة مَ ، نَ : — حَ ٨) وذلك حَ ، مَ : ذلك نَ ٩) طلق مَ : منطلق حَ ، نَ ١١) جلاله حَ ، مَ : جلال الله نَ ١٢) فانقبض مَ ، نَ : وانقبض واذا نظر إلى جماله طاب وانبسط حَ ‖ فلو حَ ، نَ : ولو مَ ‖ لعجزه مَ : لعجز حَ ، نَ ‖ ملقى حَ ، نَ : ملقاه مَ ١٣) جيفة مَ : جثة حَ ، نَ ‖ فاذا مَ : واذا حَ ، نَ ‖ من بهجته مَ ، نَ : وبهجة حَ ‖ تركه مَ ، نَ : ترك حَ ١٤) به مَ ، نَ : — حَ ‖ فتعدى مَ ، نَ : وتعدى حَ ‖ حتى — ١٥) نفسه مَ : حتى تستقيم له نفسه حَ : حتى يستقيم به قلبه وتقر به نفسه نَ ١٥) فقربه مَ : قربة حَ ، نَ ١٦) له حَ ، مَ : — نَ

﴿الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ . فأحياه بنفسه فاستعمله ، فبهِ ينطق هذا العبد وبه يعقل وبه يعلم ، وهو قول رسول الله ﷺ فيما يحكي عن ربّه : فإذا أحببت عبدي كنت فؤادَه فبي يعقل ، وسمعه وبصرَه ، فبي يسمع ويبصر ، ويدَه فبي يبطش .

فهذا سيّد الأولياء وأمان أهل الأرض ومنظر أهل السماء وخاصّة الله وموضع نظره وسوطه في خلقه ، يؤدّب بكلامه ويردّ الخلق إلى طريقه بمنطقه ، ويجعل بمنطقه قيدًا لقلوب الموحّدين وفصلاً بين الحقّ والباطل .

(١٢١)

فهذا من الصنف الذين اجتباهم الله بمشيئته ، لا من الصنف الذين ولي الله هدايتهم بإنابتهم . فإنّهما قد ذُكرا في كتاب الله ، فقال : ﴿ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ .

فالمجتبى هو عبد قد جذب الله قلبه ، فهو لم يعاين جهد الطريق ، فإنّمَا جذبه على طريق صفوة الأنبياء ، إلاّ إن فَعَلَه خرج له هُداه من مشيئته ، فأجراه على خزائن المنّة ، ثم أخذ بقلبه ، فجذبه إليه ، فاصطفاه ، فلم يزل يتولّى تربيته قلبًا ونفسًا حتى رقّاه إلى أعلى درجات الأولياء ، وأدناه من محلّ الأنبياء بين يديه .

وأمّا المهتدي بالإنابة ، فهوَ عبد أقبل إلى الله يريد صدق السعي إليه حتى يصل إليه ،

---

١) فأحياه مَ ، نَ : وأحياه حَ ‖ فاستعمله مَ : واستعمله حَ ، نَ ‖ يعلم مَ : + وبه يعمل حَ ، نَ ٣) وبصر مَ ، نَ : وبي يبصر حَ ٤) فهذا سيّد حَ ، مَ : وهذا سبيل نَ ‖ ومنظر حَ ، مَ : ومنتظر نَ ٥) ويجعل مَ ، نَ : – حَ ‖ بمنطقه مَ : – حَ : منطقه نَ ‖ قيدًا – ٦) لقلوب حَ ، مَ : قيد القلوب نَ ٨) من حَ ، نَ : – مَ ‖ الذين حَ ، مَ : الذى نَ ‖ الله مَ ، نَ : – حَ ‖ ولي حَ ، مَ : ولا هم نَ ‖ الله مَ ، نَ : – حَ ٩) فإنهما قد ذكرا مَ : فإنّهم ذكروا حَ : فشأنهم قد ذكر الله نَ ‖ كتاب الله مَ : الكتاب حَ ، نَ ‖ فقال مَ ، نَ : + عز من قائل حَ ١١) فالمجتبى حَ ، مَ : والمجتبى نَ ‖ الله حَ ، مَ : اليه نَ ‖ لم حَ ، مَ : لمن نَ ‖ فإنما نَ : وإنّمَا حَ ، مَ ١٢) طريق – الأنبياء حَ ، مَ : على صفوة طريق الأنبياء نَ ‖ إلاّ إن فعله مَ : لأن حاله هذه حَ : لأنه فعله نَ ‖ خرج له هداه مَ : خرجت له حَ : خرجت هذه الأشياء نَ ١٣) أخذ حَ ، مَ : أخذه نَ ‖ فاصطفاه مَ ، نَ : واصطفاه حَ ‖ رقاه مَ : رقى به حَ ، نَ ١٥) وأما المهتدى حَ ، مَ : وإنّمَا الهدى نَ

....

١) القرآن الكريم ٥٧/٣

٢) قارن ٣٤ ، ٤–٧

٩) – ١٠) القرآن الكريم ٤٢/١٣

قد بذل صدق الجهد ، فهداه الله إليه لِما كان منه من الإنابة ، فهذا جهده نصب عينه أبدًا ، وهو حجاب له عن ربّه. وإن شقّ بظنّه أنّ هذه منه ونطق بلسانه وتبرّأ من جهده ، فإنّ جهده نصب عينيه لا يخرج علم ذلك من نفسه.

والمجذوب لم يعاين شيئًا من هذا ، فهو على صفوة الأنبياء يمرّ إلى الله ، والله يذهب به ، وهو لا يهتدي بشيء من الطريق ، فهو صاحب الحديث والمبشّر والمستعمل.

(١٢٢)

فلأيّ شيء تتعاظم عنده هذه الأقوال؟ وقد كان عندنا قوم يتكلّمون في هذا النوع من العلم على التوهّم والمقاييس ، وبلغ من جهلهم أن قالوا : إنّ هذا الواصل إليه على طريق الجهد أقلّ خطرًا من السلب من هذا الذي أُعطي من غير جهده ، وذلك أنّ الذي أُعطي على جهده صُيّر ذلك الوصول ثوابًا له من جهده ، وإذا أثاب الله العبد على شيء لم يرتجع فيه.

وإنّ هذا الذي أعطي على غير جهده فهو عبد ابتُلي وامتُحن ليشكر ، فغير مأمون أن يسلب ، فخطره في السلب أعظم.

(١٢٣)

فتعجّبتُ من جهلهم حيث جعلوا الوصول إلى الله عوضًا من جهد العبد ، فعرفتُ أنّهم أصحاب مقاييس ، أَوَ لا يعرفون ما الوصول ولا قدر الوصول ، وهل وصل أحد إلى الله إلاّ بالله؟ فيزعمون أنّهم إنّما وصلوا إليه بجهد نفوسهم – وكذبوا والله! ما وصل أحد

---

١) قد بذل م: فبذل ح ، ن ‖ الله م، ن: – ح ‖ لما كان ح ، م: لمكان ن ‖ نصب م، ن: نصيب ح ٤) يمر ح ، م: بم ن ٥) وهو ح ، م: – ن ‖ الحديث ح ، ن، س: الجذب م ٧) فلأي م: فلا ح ، س: ولأى ن ‖ هذه م: من هذه ح ، س: قدرة هذه ن ٨) أن ح ، ن، س: إلى أن م ٩) الجهد ح ، م، س: الجهل ن (تصحيف) ‖ أقل ح ، س: وهو أقل م: هذا أقل ن ‖ من غير م، ن، س: من على غير ح ‖ جهده م: جهد ح ، ن، س ١٠) على جهده م: على جهد ح ، س: من غير جهد ن ‖ الوصول م، ن: الوصل ح ، س ‖ له م، ن: – ح ، س ‖ الله ح ، م، س: – ن ١١) يرتجع م، ن: يرجع ح ، س ١٢) وان هذا م: وهذا ح ، ن، س ‖ جهده م: جهد ح ، ن، س ‖ ابتلى م: قد ابتلى ح ، ن، س ‖ ليشكر م: بالشكر ح ، س: للشكر ن ١٣) فخطره م، س: خطره ح : وخطره ن ١٥) جهد م، ن، س: جهة ح ١٦) أصحاب ح ، م، ن: – س ‖ أولا م: لا ح ، ن، س ١٧) فيزعمون ح ، م، س: يزعمون ن ‖ اليه م: – ح ، س: الى الله ن ‖ نفوسهم ح ، م، س: أنفسهم ن أحد – ٩٦ . ١) منهم الى الله ح ، ن، س: الى الله أحد م

منهم إلى الله إلاّ بالله، ولقد كَذَّبتُهم غيرةً فإنّ المؤمن يغار لله.

فلقد ازدروا شأن الوصول، فبالغوا في الازدراء، لا جرم أن الله يزري بالجاهل المتكلّف، فليس مَن جهل فسكت كمن جهل فتكلّف. فالمتكلّف ممقوت ولا سيّما في أمر الله وصنعه.

(١٢٤)

إنّ الصادق لمّا استفرغ مجهوده بقي منقطعًا عن الصدق في مفازة الحيرة. فاضطرّ فجأر إلى الله، صارخًا مستغيثًا فرُحِم، فإنّمَا وصل إليه به حيث رحمه، فكيف يكون وصوله ثوابًا لجهده؟ وقد شرحنا هذا بديًّا.

فهذا مرحوم بجهده، والأوّل ممنون عليه من جوده وكرمه، فكيف يجوز أن يظنّ بالله الكريم الجواد العزيز في جوده وكرمه أن يرتجع في منّه؟ ومن ههنا أخطأ هذا المتكلّف أن ظنّ بربّه أنّه أوصله إلى قربه ومكّن له بين يديه ليبتليه، ويحك، هذا عبد متّخَذ لا مبتلى، إنّمَا الابتلاء في شأن النفس لا في شأن القلب!

أما سمعتَ قول رسول الله ﷺ: إنّ الله اتّخذني عبدًا قبل أن يتّخذني رسولاً، فالمتّخذ هو المأخوذ ومنه اشتقاقه، وهو المجذوب، ومن بين الأنبياء رسولُنا ﷺ مَن خَصّه بهذا. فأخذ به وجذبه، والأنبياء من قَبْلِه أوتوا الحكمة والبيان والهداية، ثم نُبِّئوا، ثم أرسل إليهم. ورَسولنا ﷺ أُخذ أخذًا، فجذبه على طريق الصفوة، ألا ترى إلى قوله:

---

١) ولقد ح، م، س: وقد ن ‖ كذبتهم غيرة م: كذبهم غيرى ح، س: كذبهم غيره ن ٢) ازدروا ح، س: ازروا م، ن ‖ فبالغوا: فأبلغوا ح، م، ن، س ‖ الازدراء ح، س: إزراء م، ن ٣) فسكت م: وسكت ح، س: — ن (بياض) ‖ فتكلّف ح، م، ن: وتكلف س ‖ فالمتكلف ح، ن، س: والمتكلف م ٤) امر ح، م، ن: أوامر س ‖ صنعه ح، ن، س: صنيعه م ٦) — ٧) فاضطر فجأر ح، م، س: فانتظر فصار ن ٧) اليه به حيث م: اليه به من حيث ح، س: الى الله به حيث ن ٩) والأول ح، ن، س: والاولى م ‖ أن م، ن: بأن ح، س ١٠) الكريم — العزيز م: الجواد الكريم ح، س: الكريم الجواد القريب ن ‖ يرتجع م: يرجع ح، ن، س ‖ ومن ح، ن، س: من م ‖ هذا ح، ن، س: — م ‖ أن ح، م، س: — ن ١١) ليبتليه ويحك ح، م، س: ولا سلبه ومحل ن (تصحيف) ‖ متخذ لا ح، م، س: — ن ١٢) الابتلاء ح، م، س: ابتلى ن ١٣) رسولاً ح، ن، س: نبيًّا م ١٤) فالمتخذ ح، ن، س: والمتّخذ م ‖ رسولنا ﷺ م: — ح، س: صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ن ‖ من ح، س: — م، ن ١٥) فأخذ به ح، س: اخذه م: فاتخذه ن ‖ والهداية ح، م، س: + دهرًا ن ١٦) فجذبه ح، س: فجذب م: فجذب به ن

﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى﴾ ، فهل يكون الوجود إلاّ بعد الطلب – فإنّ الله طلبه من بين سائر العباد بالمنّة التي سبقت له في المشيئة ، فلمّا جاء الطلب وجده كما وصف : ضالاًّ ، فهداه ، أي : مال به ، فجذبه إليه ، فنبّأه .

(١٢٥)

فكذلك شأن هؤلاء المجذوبين ، يجذبهم إليه على طريقه ، فيتولّى اصطفاءهم وتربيتهم حتى يصفّي نفوسهم الترابيّة بأنواره كما يُصفَّى جوهر المعدن بالنار ، حتى تزول ترابيّتها وتبقى النفس صافية ، فتمتدّ تلك التصفية حتى إذا بلغوا الغاية من الصفاء أوصلهم إلى أعلى المنازل وكشف لهم الغطاء عن المحلّ ، وأهدى إليهم العجائب من كراماته وعلومه ، وإنّما يمتدّ ذلك لأنّ القلوب والنفوس لا تحتمل بمرّة واحدة كلّ ذلك ، فلا يزال يلطف بهم حتى يعوّدهم احتمال تلك الأهوال التي تستقبلهم من ملكه ، حتى إذا وصلوا إليه احتملوا الوصول والنجوى .

(١٢٦)

وقد تجد مثال هذا في خلقه عند الملوك ، فإنّك تجد الملك يريد أن يختصّ بعض رعيّته بقيادة وولاية ، فيدعو به ، فمن تدبير الملك أنّه إذا ذُهب به ألزمه بابَه ، ثم يُمهله حتى يعتاد الباب فؤادُه ويطمئنّ ويهتدي لأمور الخدمة ، ثم إذا قدم إليه تحوّل من مجلسه

---

١) يكون – الطلب حَ ، مَ ، سَ : بعد الوجود إلا الطلب نَ ٢) سائر حَ ، سَ : – مَ ، نَ ‖ له في مَ : له من حَ ، سَ : في نَ ‖ كما وصف مَ ، نَ : – حَ ، سَ ٣) فهداه مَ ، نَ : فهدى حَ ، سَ ‖ اليه حَ ، مَ ، سَ : الله نَ ٥) طريقه مَ ، نَ ، سَ : طريق حَ ‖ فيتولى حَ ، مَ ، سَ : فتولى نَ ٧) ترابيتها : ترابه حَ ، سَ : ترابيته مَ ، نَ ‖ النفس حَ ، سَ : النقرة مَ ، نَ ‖ التصفية حَ ، سَ : المصفاة مَ : المصفية نَ ٨) إلى أعلى حَ ، مَ ، سَ : – نَ ‖ لهم الغطاء حَ ، مَ ، سَ : الغطاء لهم نَ ٩) كراماته مَ ، نَ : كلماته حَ ، سَ ‖ يمتد مَ ، نَ ، سَ : يمد حَ ‖ بمرة حَ ، مَ ، سَ : مرة نَ ١٠) بهم حَ ، مَ ، سَ : لهم نَ ‖ تستقبلهم مَ ، نَ ، سَ : تسمقلهم حَ ١٣) وقد – الملوك : – نَ ‖ الملوك مَ : الملك حَ ، سَ ‖ فإنك تجد مَ : فإن حَ ، سَ : وقد تجد نَ ١٤) بقيادة حَ ، مَ ، سَ : لقيادة نَ ‖ الزمه مَ ، نَ : التزم حَ ، سَ ١٥) يعتاد حَ ، مَ ، سَ : نقتاد نَ (تصحيف) ‖ فؤاده مَ : وقواده حَ ، نَ ، سَ ‖ مجلسه مَ : مجلس حَ ، نَ ، سَ

....

١) القرآن الكريم ٩٣/٧

١٣) قارن ١٨٧ ، ٢٠

إلى مجلس آخر حتى تسكن روعته ويُشجَّع قلبه ، ثم إذا قدم إليه أمهله ساعاتٍ ليطمئنّ ، ثم يكلّمه ، ولهم في هذا تدبير أعمق من هذا ، قصرت لكم / وصفه ، وإنّمَا ١٦٥ أ
عَلِم الملوكُ هذا التدبير من مالك الملوك إذ أتاهم من ملكه ، فهو أحقّ بالتلطّف بعبيده .

(١٢٧)

فالسبب بالمدّة بعد الجذب هو هذا الذي ذكرت ، ألا ترى أنّ محمّدًا ﷺ لمّا نُبِّئ اجتُثَّ فَرَقًا فوقع كالمغشيّ عليه ، فلم تزل النبوّة تعمل فيه ، ثم أُمر بأن يصدع بأمر الله ، وقبض يده عن الحرب حتى هذّبه وأدّبه في هذه السنين العشر حتى وسّعه ، فسَلَّط عليه أعداءه بألوان الأذى من الضرب وسوء الجواب وفنون المكروه ، وفي خلال ذلك يقول : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ، ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ ، و ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ ، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ ، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ ، ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ ، و ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ، ينبّئ أنّه من كانت له مشيئة

---

١) آخر مَ : — حَ ، نَ ، سَ ‖ ويشجع قلبه مَ ، سَ : — حَ : ويخشع نَ ٢) في هذا مَ : — حَ ، نَ ، سَ ‖ قصرت مَ : قصدت حَ ، سَ : فصيرت نَ (تصحيف) ‖ وإنّما – ٣) علم مَ : فإنما على حَ ، سَ : فإنّما على نَ ٣) اذ سَ : اذا حَ ، مَ ، نَ ‖ فهو مَ ، نَ ، سَ : وهو حَ ‖ بعبيده مَ ، نَ : بعباده حَ ، سَ ٥) هو هذا حَ ، سَ : هذا مَ : هو نَ ‖ أنّ محمدًا مَ ، نَ : الى محمّد حَ ، سَ ٦) فوقع مَ : ووقع حَ ، نَ : ورفع سَ ‖ فيه حَ ، نَ ، سَ : — مَ ٧) عن حَ ، مَ ، سَ : على نَ ‖ فسلط مَ ، نَ : وسلط حَ ، سَ ٨) الجواب مَ : الجوار حَ ، نَ ، سَ ‖ وفي مَ ، نَ : في حَ ، سَ ٩) وأعرض – المشركين حَ ، مَ ، سَ : الآية نَ ‖ وقل سلام حَ ، مَ ، سَ : — نَ ١٠) لست عليهم بمصيطر حَ ، مَ ، سَ : — نَ ‖ مصيطر : مسيطر حَ ، مَ ، سَ ١١) إن – ١٢) أسفًا حَ ، مَ ، سَ : الآية ن ١٢) وإن – ١٤) الجاهلين مَ : الآية الى قوله الجاهلين حَ ، سَ : الى من الجاهلين نَ ١٤) ينبئ مَ : يعني حَ ، سَ : يبين نَ ‖ أنه مَ : أن حَ ، نَ ، سَ ‖ له مشيئة حَ ، نَ ، سَ : — مَ

٩) القرآن الكريم ١٥/٩٤ ‖ القرآن الكريم ٤٣/٨٩
١٠) القرآن الكريم ٨٨/٢١ – ٢٢ ‖ القرآن الكريم ٦/١٠٧
١٠) – ١١) القرآن الكريم ١٣/٤٠
١١) – ١٢) القرآن الكريم ١٨/٦
١٢) القرآن الكريم ٢٨/٥٦
١٢) – ١٤) القرآن الكريم ٦/٣٥

مع مشيئة الله فذاك شعبة من الجهل.

(١٢٨)

فهذه الآيات تأديب من الله له وموعظة لعبده ليعلم أن النبوّة قد أخذته، والنفس حيّة تعمل عملها، فقبض يده عن قتل عبيده والحكم فيهم بسلطانه، فلم يولّه ولاية السلطان حتى تمّت له العشر السنون من يوم أظهر الدعوة، وذلك تمام العدد، وهي عشر كاملة. فلمّا انتهت المدّة أثنى عليه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

وأيّ خلق أعظم من خلق الله، فمن ترك مشيئته ونبذها وراء ظهره استقام قلبه على خُلُق الله. وهي مائة وسبعة عشر خلقًا — حدّثني أبي رحمه الله، حدّثنا المكّي بن إبراهيم. قال: حدّثنا عبدالواحد بن زيد، قال: حدّثنا راشد مولى عثمان بن عفّان، قال: حدّثنا مولاي عثمان بن عفّان، قال، قال رسول الله ﷺ: إنّ لله مائة وسبعة عشر خلقًا. من أتاه بواحد منها دخل الجنّة.

فلمّا زالت عنه أخلاق النفس جاءه الإذن فجاءته النصرة، فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾، أي في سبيل الله، ثم قال: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾،

---

١) فذاك م. ن: فذلك ح، س ٣) له ح، م، س: — ن || ليعلم ح، م، س: ذلك ليعلم ن || قد م: — ح. ن. س ٤) فقبض ح. ن. س: وقبض م || يده ح، م، س: — ن ٥) السنون ح، ن، س: السنين م || أظهر ح. س: ظهور م، ن ٦) عليه ن: — ح، س: عشر م ٧) الله ح، م، س: — ن || فمن ح، م، ن: في س || استقام م. ن: حتى استقام ح، س ٨) خلق م، ن: أخلاق ح، س || حدثني — ١١) خلقًا: — ن || حدثني ح، س: حدثنا م || المكى م: يحيى ح، س ٩) قال ح، س: — م || حدثنا ح، س: حدثني م || بن عفان م: — ح، س ١١) من ح، ن، س: فمن م || بواحد س: بواحدة ح، م، ن ١٢) فجاءته ح، م، س: فجائت ن || فقال م، ن: + الله تعالى ح: تعالى س ١٣) أي في سبيل الله ح، س: — م، ن

....

٦) القرآن الكريم ٤/٦٨
٨) – ٩) المكي بن إبراهيم. قارن: HT 13, Nr. 22; Radtke, Theologen 543 ٩) عبد الواحد بن زيد. قارن: Adab al-mulūk, Einleitung 4 راشد: مجهول
١٠) – ١١) فيض ٢. ٤٨٢: رقم ٢٣٦٤؛ قارن: Massignon, *Essai* 214؛ ميزان ٢، ٦٧٣ وقارن: نوادر الأصول ٣٥٧: أصل ٢٦١
١٢) – ١٣) القرآن الكريم ٣٩/٢٢

فوعَدهم النصرة ، وبوّأ له مكان الهجرة ، فأعطاه النصرة على أيدي الأنصار ، وقطع له قطعة من الرعب يسير أمامه مسيرة شهر ، فتذهل النفوس وترعب القلوب وتطير الأفئدة عن أماكنها من أجله .

هذا بعد ما أدّبه وهذّبه وقوّم نفسه ، ولو أطلق له هذا في مبتدأ نبوّته ومعه تلك العجلة والمشيئات لعَلِمَ المتنبّه لِما كان قبل أن يكون ، فإنّما منعه ذلك ليطفئ عنه نيران العجلة ويُسكت عنه مشيئاته بزجراته ومواعظه وبما يورده عليه من الأنوار ، فيعظه في الظاهر ويزجر نفسه ، ومع هذا يغذوه في الباطن برحمته ويزيّنه بأنواره ، فقال : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ، ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾ ، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ، ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ ، ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ .

ودعا على قوم ، فنزلت : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ، وروي في الخبر أنّهم أسلموا كلّهم بعد الذين دعا عليهم .

---

١) فوعدهم حَ ، مَ ، سَ : فوعده نَ ‖ له مَ ، نَ : لهم حَ ، سَ ‖ فاعطاه حَ ، نَ : واعطاه مَ ، نَ ‖ أيدى حَ ، نَ ، سَ : يد مَ ‖ له مَ ، نَ : — حَ ، سَ ٢) قطعة حَ ، سَ : قطيعة مَ ، نَ ‖ يسير حَ ، مَ ، سَ : تعبر نَ ‖ مسيرة شهر حَ ، سَ : شهرًا مَ ، نَ ‖ فتذهل حَ ، مَ ، سَ : فتداهل نَ ‖ وترعب مَ ، نَ : وتجزع حَ ، سَ ٤) له هذا مَ ، نَ : ابتداء حَ ، سَ ٥) لعلم حَ ، نَ ، سَ : ليعلم مَ ‖ لما كان حَ : ما كان مَ ، نَ : — سَ (سواد) ‖ قبل أن حَ ، سَ : — مَ ، نَ ٦) يسكت مَ : يسلب حَ ، نَ : — سَ (سواد) ‖ بما يورده مَ : بما يورد حَ ، سَ : لما ورد نَ ٧) يزجر حَ ، مَ ، سَ : يجزر نَ ‖ يغذوه مَ ، نَ ، سَ : يغذيه حَ ‖ يزينه حَ ، نَ : يربيه مَ : — سَ (سواد) ٨) فسبح — ٩) اليقين مَ : الآية الى قوله اليقين حَ ، سَ : واعبد — اليقين : الآية نَ ٩) واصبر حَ ، مَ ، سَ : وقال واصبر نَ ‖ خذ حَ ، مَ ، نَ : وقال خذ نَ ١٠) العفو — الجاهلين حَ ، مَ ، سَ : الآية نَ ‖ فانك — ١١) ربك حَ ، سَ : — مَ ، نَ ١٢) قوم مَ ، نَ : قومه حَ ، سَ ‖ فنزلت حَ ، مَ ، سَ : فنزل نَ ١٣) فإنهم ظالمون حَ ، مَ ، سَ : — نَ ‖ وروى حَ ، مَ ، سَ : فروى نَ ‖ الذين مَ : الذى حَ ، نَ ، سَ

....

٧) — ٩) القرآن الكريم ١٥/٩٧ — ٩٩
٩) القرآن الكريم ٧٣/١٠ ٩) — ١٠) القرآن الكريم ٧/١٩٩
١٠) — ١١) القرآن الكريم ٦٨/٤٨
١١) القرآن الكريم ٥٢/٤٨
١٢) — ١٣) القرآن الكريم ٣/١٢٨

(١٢٩)

فإنّما منعه القتال ولم يعطه سلطان ذلك من أجل هذه الأشياء ، فإنّ هذا كلّه من عمل النفس ومشيئاتها ؛ فهل يجوز مع هذه الأشياء سلطان الحرب في تهريق دماء عبيده؟

ألا ترى إلى ما لقي موسى في قتل رجل من آل فرعون مشرك بالله ، ثم تاب وقال : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ ، ثم قال : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي! ﴾ فغفر له . ثم قال : ﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ ، فعوقب بقوله : لن أكون . حتى كان من الغد من قصّته ما قصّ حيث قال : ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هو عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ ، فإنّما صار مريدًا لأن يَبْطِشَ بالذي هو عدوّ لهما بقوله بالأمس : فلن أكون ، فإنّ هذه كلمة اقتدار . ورُوي في الخبر أنّ يوسف لو قال عندما راودته امرأة العزيز عن نفسه : لا حول ولا قوّة إلاّ بالله ، لَما همّ بها ولعصم من الهمّ فسلم من السجن ، ولكنّه قال : معاذ الله ، وهي كلمة اقتدار.

---

٢) فإنما حَ . س : وإنما مَ . نَ ‖ من حَ ، مَ ، سَ : — نَ ٣) في تهريق مَ : حتى يريق حَ ، سَ : وان تهريق نَ ٥) ألا حَ ، مَ ، سَ : والا نَ ‖ الى حَ ، نَ ، سَ : الا مَ ‖ في قتل مَ : من قبل حَ ، سَ : في من نَ ‖ ثم تاب وقال مَ : ثم تاب الله عليه فقال حَ ، سَ : ثم تاب عليه وقال نَ ٦) إنّه — مبين حَ ، مَ ، سَ : — نَ ٧) فلن — للمجرمين حَ ، مَ ، سَ : الآية نَ ‖ فعوقب — ٨) أكون مَ ، نَ : — حَ ، سَ ٨) حتى مَ ، نَ : حتى إذا حَ ، سَ ‖ من قصته مَ ، نَ : كان من قصته حَ ، سَ ‖ قص مَ ، نَ : قص الله حَ ، سَ ٩) بالأمس — مبين مَ ، نَ : الآية الى قوله حَ ، سَ ‖ فلمّا — ١٠) كما مَ : — حَ ، نَ ، سَ ١٠) قتلت — بالأمس مَ ، نَ : — حَ ، سَ ‖ إن — ١١) المصلحين حَ ، سَ : — مَ ، نَ ١١) فإنما حَ ، مَ ، سَ : وإنما نَ ١٢) عدو حَ ، مَ ، نَ : — سَ ١٣) وروى مَ ، نَ : روى حَ ، سَ ‖ عن نفسه حَ ، سَ : — مَ ، نَ ١٤) ولعصم — الهمّ مَ : — حَ ، سَ : ويعصم من الهمّ نَ ‖ فسلم — السجن : + ولعصم منها حَ ، سَ : — مَ ، نَ ‖ ولكنه مَ ، نَ : ولكن حَ ، سَ ١٥) وهي حَ ، مَ ، سَ : وهذه نَ ‖ اقتدار مَ ، نَ : الاقتدار حَ ، سَ

....

٦) القرآن الكريم ١٥/٢٨ ، ١٦

٧) القرآن الكريم ١٧/٢٨

٨) — ١١) القرآن الكريم ١٨/٢٨ — ١٩

(١٣٠)

فطريق الأنبياء إلى الله أعظم من أن يوصف. ورُوي عن ابن عبّاس عن رسول الله ﷺ أنّه جاءه وفد، فقرأ عليهم سورة: ﴿والصافّات﴾، إلى قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾. فجعلت دموعه تجري على لحيته، فقالوا: يا أبا القاسم، أمِن خوف الذي بَعثك تبكي؟ قال: إي والذي بعثني بالحقّ إنّه بعثني على طريق مثل حدّ السيف، إن زغت عنه هلكت، ثم قرأ: ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾.

فهذا طريق الإيمان بالله على النبوّة وكشف الغطاء والتبرّئ من الأسباب والنزاهة من العلائق، وطريق الإسلام أوسع من بين السماء والأرض، وهو الشريعة، فهذا شأن رسول الله ﷺ في تأديبه من لدن مبعثه إلى عشر سنين.

(١٣١)

ثم أمره بالهجرة واتّبعت له الأنصار بالتأييد والإيواء حتى رَقَت نبوّته، فاؤتُمن على سفك الدماء وسبي الرقاب وأخذ الأموال، ولم يكن قبلَه هذا لرسول ولا لأمّة من الأمم، بل خصّ الله به هذا الرسول ﷺ وهذه الأمّة لفضل نبوّته وفضل يقينها، وبنو إسرائيل لم يؤذن لهم في ذلك، وإنّما أُمروا بالقتال من أجل الأرض المقدّسة التي كانت لهم وراثة عن أبيهم إبراهيم، فإنّما قاتلوا عن ديارهم وأموالهم، / فلم تحلّ لهم الغنيمة وكانت نار القربان ١٦٥ ب
تجيء فتأكل غنائمهم.

---

٢) فطريق الأنبياء – الله مَ: وطريق الأنبياء حَ. سَ: فطريق الأولياء الى الله نَ ‖ عن ابن حَ، مَ، نَ: ابن س ٣) أنه جاءه ن: أنّه جاء ح. س: أنّه قال جاءه م ‖ سورة م، ن: — ح، س ٤) فجعلت ح. ن. س: فجعل م ‖ لحيته م. ن. س: خده ح ‖ فقالوا ح. س: + له م، ن ‖ الذي ح، م، س: الله الذي ن ٧) فهذا م. ن: وهذا ح. س ٨) من بين م: من ح، ن، س ‖ فهذا ح، ن، س: وهذا م ٩) عشر سنين ح، م، س: عشرين سنة ن ١١) أمره م: أمر ح، ن، س ‖ رقت ح، س: وقت م: في وقت ن ١٢) قبله ح. س: — م. ن ‖ لرسول م. ن، س: + الله ﷺ ح ١٣) بل ح. س: — م. ن ‖ الرسول م: النبي ح. ن. س ‖ لفضل ح. س: بفضل م، ن ‖ يقينها م. ن: تقدمها ح، س ١٤) لهم ح. ن. س: — م ١٥) فإنّما ح. م. س: وإنّما ن ‖ فلم م. ن: فلا ح، س ‖ الغنيمة م. ن: الغنائم ح. س ١٦) تجيء م. ن: تأتي ح. س

....

٢) – ٣) القرآن الكريم ٣٧/١ – ١٠
٦) القرآن الكريم ١٧/٨٦

وقد كان سبق من الله لهذه الأمّة من اليقين حظّ وافر، فتقوّوا على قتال المشركين حميّةً لله لا لنصيب النفس، ولذلك قال: أنا نبيّ الحرب والملحمة، وأمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلاّ الله، فقتال هذه الأمّة على إقامة الكلمة العليا: لا إله إلاّ الله، لحبّ الله، وحبّب إليهم الإيمان، فبفضل المحبّة على زواله عملت فيهم الحميّة والغيرة لله، فقاتلوا عن الله، فسبوا مَن أعرض عن الله وغنموا أموالهم وقتلوا عبيده الأبّاق. وبنو إسرائيل لم يقووا على هذا الأمر، ألا ترى أنّهم قالوا: ﴿وَمَا لَنَا أَنْ لَا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنائِنا﴾، فقاتلوا حميّةً للديار والأموال: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾.

(١٣٢)

وقال رسول الله ﷺ: أُعطيت أمّتي من اليقين ما لم تُعطَ أمّة، وذلك قوله: ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ. قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.

فإذا كان الرسول محتاجًا إلى التأديب والتهذيب والمدّة فيه حتى يصلح لأمانة الله، فكيف بالأولياء؟ فمن أجل ذلك يحتاج الوليّ المجذوب إلى مدّة في جذبته، كما يحتاج المجتهد في صدقه، إلاّ أنّ هذا تصفيته على نفسه بجهده وتصفية المجذوب يتولاّها الله

٢) لنصيب ح. م. س: نصيب ن ‖ النفس ح. س: النفوس م. ن ‖ والملحمة ح، س: ونبي الملحمة م. ن ٣) فقتال م. ن: فقاتلت ح. س ‖ على إقامة ح. م. س: − ن ‖ الكلمة م. ن: هذه الكلمة ح، س ٤) لحب الله م. ن: لحب ح. س ‖ وحبب م: ثم حبب ح. س: حبب ن ‖ فبفضل م، ن: فبفيضان ح. س ‖ على زواله م: غاروا له ح، س: غاروا لهم ن ‖ عملت م: وعملت ح، ن، س ‖ الحمية − ٥) والغيرة م: الغيرة والحمية ح. ن. س ٥) فسبوا ح. م، س: وسبوا ن ‖ عن ح، م، ن: − س ‖ عبيده م، ن: عبيد ح. س ٦) الأمر ح. ن. س: − م ٧) حمية للديار ن، س: للديار ح: حمية الديار م ١١) قل − الله ح. م. س: الآية ن ‖ يؤتيه − ٦) يشاء م: الآية ح، س: − ن ١٣) محتاجًا ح، م. س: محتاج ن ‖ التأديب − التهذيب ح. س: التهذيب والتأديب م. ن ‖ فيه م، ن: − ح، س ١٤) بالأولياء ح. م. س: الأولياء ن ‖ الولي ح. س: − م، ن ‖ جذبته م. ن: جذبه ح، س ١٥) يتولاها: يتولاه ح. م. ن. س ‖ الله − ١٠٤. ١) بأنواره ح. س: ربه بأنواره م: الله بنوره ن

....

٢) قارن المعجم المفهرس ٦. ٣٣٣ ب

٢) − ٣) المعجم المفهرس ٥. ٢٩٧ آ

٦) − ٨) القرآن الكريم ٢/٢٤٦

١٠) − ١٢) القرآن الكريم ٣/٧٣

بأنواره . فانظر كم بين صنع الربّ بعبده وصنيع العبد بنفسه ، أما ترى إلى آدم كيف فاوت الخلق وبرز عليهم بما تولّاه الله من فطرته ، وقال لسائر الخلق : كن فكان ، فالمجذوب يجذب في كلّ موطن في طريقه ويُخبَر ويَعرف مواطنه .

(١٣٣)

قال له القائل : صف لنا شأن المجذوب من مبتدئه إلى آخره صفةً وجيزة !

قال : نعم إن شاء الله ! اعلم أنّ المجذوب عبد في مبتدأ أمره صحيح الخلقة ، طيّب التربة ، عذب الماء ، زكيّ الروح ، صافي الذهن ، عظيم الحظّ من العقل ، سليم الصدر من الآفات والدواهي ، ليّن الأخلاق ، واسع الصدر ، مصنوع له ، فإذا بلغ وقت الإنابة هداه ووفّقه للخير ، حتى إذا بلغ وقت الفتح فتح له ، ثم أخذ بقلبه فمرّ به في العُلَى إلى مكانه الذي رتّب له بين يديه ، ثم رجع به فصيّره في قبضته ، ثم جعل بينه وبين النفس حجابًا لئلاّ تشارك النفس القلب في عطاياه ، ووكّل الحقّ بنفسه ليغذوها قليلاً قليلاً بقدر ما تحتمله النفس من العطاء الذي يرِد على القلب ويُؤَدِّبه ويسير به إلى المحلّ الذي رتّب له بين يديه .

فالقلب مشحون بعجائب الأنوار ، والقلب في القبضة لا يقدر أن يسير إلى محلّه إلى الله من أجل النفس ، والنفس يسار بها قليلاً قليلاً برفق حتى لا يعجز ويعيا ، فيرِد عليها

---

١) كم بين م ، ن : كيف ح ، س ‖ صنع ح ، م ، س : – ن ‖ صنيع ح ، م : صنع س : ضيع ن (تحريف) ‖ أما ح ، م ، س : الا ن ‖ الى م ، ن : – ح ، س ٢) فاوت م ، ن : فات ح ، س ‖ تولاه ح ، س : تولى م ، ن ٣) فالمجذوب ح ، ن ، س : والمجذوب م ‖ يجذب ح ، م : ينجذب ن : مجذوب س ‖ كل م ، ن ، س : – ح ٥) له القائل ح ، س : له قائل م : القائل ن ‖ الى – وجيزة م ، ن : الى منتهاه الى آخر صفته وخبره ح ، س ٦) اعلم ح ، س : – م ، ن ‖ عبد ح ، م ، س : – ن ‖ في مبتدأ م ، ن : في مبدأ ح : مبدأ س ‖ الخلقة م : الفطرة ح ، ن ، س ٧) الصدر ح ، م ، ن : – س ٨) والدواهي م ، ن : – ح ، س ‖ لين ح ، م ، س : لان ن (تحريف) ‖ الصدر ح ، م ، س : لمصدر ن ‖ له م ، ن : + أعنى محفوظًا عليه ح ، س ٩) للخير م ، ن : + وهداه ح ، س (؟ سواد) ‖ الفتح م ، ن : كشف الفتح ح : – س (سواد) ‖ ثم ح ، ن ، س : ثم اذا م ‖ في – ١٠) مكانه م : الى العلا الى المكان ح ، س : الى المكان الى العلا ن ١١) لئلا ح ، ن ، س : لأن لا م ‖ النفس القلب م : القلب ح ، س : النفس الحق ن ‖ عطاياه م ، ن عطاءه ح ، س ١٢) ويؤدبه م ، ن : – ح ، س ١٤) مشحون – والقلب م : – ح ، ن ، س ‖ الى محله الى – ١٥) الله م : الى محله من الله ح ، س : الى الله ن ١٥) من أجل النفس م : من أجل أن النفس مشحونة بعجائب الأنوار ح ، س : من أجل النفس مشحونة بعجائب الأنوار ن ‖ ويعيا ح : فلا يعيا م : ولا تعيي ن : – س (سواد)

من النور على قدر احتمالها من العطاء ، ففي أوّل ما يرد عليها من العطاء ما يسكرها عن شهوات الدنيا ، ثم من بعد ذلك يرد عليها من العطاء ما يسكرها عن حلاوة الطاعات ، لأنّ حلاوة الطاعات فتنة لها في هذا الطريق ، ثم من بعد ذلك يرد عليها من العطاء ما يسكرها عن وجود حلاوة هذا العطاء ، ثم من بعد ذلك يرد عليها من العطاء ما يسكرها عن وجود حلاوة القربة ، ثم توصَل إلى مكان القربة ، فتُغَذّى هناك وتؤدَّب مع القلب جميعًا ، ومؤدّبهما الحقّ ، فيُورِد عليهما الأنوار أنوار المُلْك حتى يقوّمهما ويؤدّبهما ويطهّرهما .

(١٣٤)

قال له القائل : ما آخِر تقويمها ؟ فأجمله لنا فإنّ الصفة في هذا يطول على الإمعان والاستقصاء .

قال : إنّ المجذوب ملزوم بالباب ، موكَّل به الحقّ ليحرسه حتى لا يقع في هلكة فيسقط بهاوية ، والله يغذوه برحمته حتى لا تبقى في نفسه مشيئة تتحرّك ، فحينئذ تبدو له المشيئة العظمى من مُلك الرحمة ، فينكشف الغِطاء ويؤمر بأن يقدم إلى العجز .

قال له القائل : وما العجز ؟

قال : معرض المجذوبين .

قال : وما صفته ؟

قال : قبّة من نور القربة ، لها أربع طبقات ، مرخّى عليها الحجب ، فيُرفع الحجاب الأوّل ، فيبدو له من عظمته الله ، فتجيئه العصمة فتكتنفه حتى يحتمل ذلك ، ثم يُمهله

---

١) ما يسكرها ح ، ن ، س : يسكرها م ‖ عن – ٤) يسكرها : – ن ٢) و٣) و٤) من بعد م : بعد ح ، س ٢) من العطاء م : – ح ، س ٥) مع القلب م ، ن : مع هذا القلب ح ، س ٦) ومؤدبهما م : ويؤيدها ح ، س : ويؤدبها ن : + تعالى وتقدس ‖ عليهما م : عليها ح ، ن ، س ‖ الأنوار ح ، م ، س : – ن ‖ يقوّمهما – ٧) يطهرهما م : يقومها ويؤيدها ويطهرها ح ، س : يقومها ويؤدبها ويطهرها ن ٩) له م ، ن : – ح ، س ‖ تقويمها م : تقويمها ح ، ن ، س ‖ فاجمله ح ، م ، س : اجمله ن ‖ الإمعان ح ، م ، س : الامتحان ن ١١) هلكة م : مهلكة ح ، ن ، س ١٢) بهاوية : بها ح ، ن ، س : بهاوة م ‖ فحينئذ ح ، م : نحين ن : فح (كذا) س ‖ له ح ، م ، س : – ن ١٣) فينكشف م ، ن : فيكشف ح ، س ‖ ويؤمر ح ، م ، س : ويأمر ن ‖ العجز ح ، س : المعجز م : الفخر ن ١٤) العجز ح ، س : المعجز م : الفخر ن ١٥) المجذوبين م ، ن : المحدثين ح ، س ١٧) فيرفع م ، ن : فيرفع الله ح ، ١٨) الأول ح ، ن ، س : الأولى م ‖ عظمته : عظمة ح ، م ، ن ، س ‖ العصمة م ، ن : العظمة ح ، س ‖ فتكتنفه ح ، ن ، س : فتكشفه م ‖ يحتمل م ، ن : يحمل ح ، س ‖ يمهله م ، ن : يهمله ح ، س

حتى يقوّى ، ثم يُعاد ، ثم يتجلّى له من عظمته ، ثم تجيئه العصمة ، فتكتنفه ، فيقبله ويرضى عنه ، ويأمر الله الروح الأمين أن ينادي من بُطنان العرش في السموات بالرضى عنه ، فينادي جبريل : إنّ الله قد أحبّ فلانًا فأحبّوه ! ورضي عنه فاقبلوه ! فيوضع له القبول في الأرض ، وقد جاءت الأخبار بهذا عن رسول الله ﷺ ، ثم يُهيّئ له في كلّ مُلك مجلسًا وفي كلّ مجلس نجوى.

(١٣٥)

قال له القائل : كلّما طلبنا الاختصار وقعنا في بحر !

قال : نعم ! أجتهد أن أختصر لكم من كلّ شيء شيئًا ، فما هذا الذي وصفت لك إلاّ كرأس إبرة من بحر لجّي في جنب ما للعبد بين يديه من المرعى والتنعّم بكلامه والنظر إلى جلاله وبالتنعّم بوجهه الكريم !

ففكّر في نفسك : هل يلتفت هذا الموصوف بهذا إلى كلام أحد أو ثناء أحد أو مدح أحد ، وهل يعبأ بمكروه؟

وأين هذا من هؤلاء الذين شُغلوا بعذاب نفوسهم؟ فزابل النفس في صدورهم وعلائق الشيطان في كلامهم ، تراهم الشهر والدهر في كلام مسلسل لا ينقطع : إنّ ذكر العيب عيب ، وذكر عيب العيب عيب ، وإن لحظت كذا فعيب ، وإن لم تلحظ كذا فعيب ، فهذا متى ينقطع ؟

لو قعد أقلّهم علمًا يأخذ برأس هذا الحبل لقطع عمره ولم ينقطع هذا الحبل مقاييسَ

---

١) يقوى حَ . مَ . سَ : يعتدى نَ ‖ ثم يعاد حَ . نَ ، سَ : الحجب مَ ‖ من عظمته مَ : العظمة من الله حَ . سَ : في عظمته نَ ‖ ثم تجيئه مَ . نَ : فتكتنفه حَ . سَ ‖ فتكتنفه نَ : فينكشفه مَ : — حَ ، سَ ٢) عنه حَ . مَ . سَ : — نَ ‖ الروح الأمين حَ . سَ : روح الأمين مَ : الروح نَ ‖ أن ينادي حَ ، مَ ، سَ : — نَ ‖ من بطنان مَ . نَ : مبطان حَ : ببطنان سَ ‖ في السموات حَ . مَ . سَ : أن ينادى في السموات نَ ٤) وقد حَ . مَ . سَ : قد نَ ‖ له — ٥) مجلسًا مَ : له في كلّ مجلس يوم حَ : له في كلّ يوم مجلس سَ : في ملك مجلس نَ ٥) وفي مَ ، نَ : في حَ . سَ ٧) القائل حَ . مَ . سَ : قائل نَ ٨) أجتهد - أختصر حَ . مَ . سَ : انى اختصروا (كذا) نَ ‖ شيئًا حَ . مَ . سَ : — نَ ‖ لك حَ . سَ : — مَ : لكم نَ ٩) من حَ ، مَ . سَ : في نَ ‖ والتنعم بكلامه مَ ، نَ : — حَ . سَ ‖ والنظر — ١٠) الى جلاله نَ : وبالتنعم بالنظر الى جلاله مَ : — حَ ، سَ ١٠) وبالتنعم مَ : والتنعم حَ . نَ . سَ ١٣) شغلوا مَ : قد شغلوا حَ . نَ . سَ ١٤) في حَ . نَ ، سَ : — مَ ‖ لا ينقطع حَ ، مَ . نَ : يتقلع نَ ‖ إن حَ ، مَ . سَ : اذا نَ ١٥) وذكر عيب حَ . مَ ، سَ : وذكر العيب نَ ‖ كذا حَ ، سَ : — مَ . نَ ١٦) فهذا مَ . نَ : وهذا حَ ، سَ ١٧) لقطع مَ ، نَ : لا نقطع حَ ، سَ ‖ مقاييس حَ ، سَ : مقاييسًا مَ : مقاسًا نَ

١٦٦ أ وتشبيهاتٍ ، فإنّما يخفى هذا على المقاييس ، فليس هذا بعلم ، هذا موجود / لمن أخذ برأس الحبل ، ثم فرغ قلبه لمكايدة النفس — إنّما العلم علم المنن ، ثم علم التصنّع والتدبير ، ثم علم المقادير ، ثم علم البدء ، ثم علمِ الآلاء ، ثم علم الله الذي بدا مع المشيئة في الأحديّة والفرديّة ، والآخذ برأس الحبل كلُّ نوع من هذا يقع في بحر معرفة الله فيغرقه الله في بحره ، فيحييه بها . والآخذ برأس الحبل : علمِ النفوس وعيوبها يقع في بحر النفس فيغرق فيه . فتأخذه حذاقة النفس وكياستها ، يعني يأتي بصيرًا بمثل هذه الدقائق من عيوب النفس فتقتله .

(١٣٦)

قال له القائل : ذكرت أن لا تبقى له مشيئة ، فكيف تنقطع عنه مشيئة الوصول إليه ؟

قال : لو تركه عمر نوح لم تنقطع عنه تلك المشيئة ، ولكن الله لطيف بعباده ، حكيم في أمره ، يلطف بعبده حتى تنقطع عنه المشيئة ، فحينئذ تُطهَّر نفسه من جميع المشيئة وتصلح للقبول . فإنّه ما دامت معه مشيئة واحدة فنفسه معه ، وليس لقلب أن يتقدّم إلى الله في مقام العرض ليقبله ويتّخذه عبدًا بعد أن تولّى سيره إليه بنفسه ، ولم يكد يكله إلى نفسه حتى يُجاهِد . فليس لمثل هذا القلب أن يتقدّم إلى الله مع نفس فيها مشيئة لأنّ تلك المشيئة شهوة . ولم تتبيَّن له مشيئة الله فيه حتى يكون ذاك خيانةً منها وسوء أدب ، ولا يصلح الخائن أن يقرن بالأمين حتى يتقدّما إليه فيقبلها .

---

١) تشبيهات ح ، س : تشبيهًا م ، ن ‖ المن م ، ن : كمن ح ، س ٢) لمكايدة م : لمكايد ح ، ن ، س ‖ ثم علم التصنع م : وعلم الصنع ح ، س : ثم علم الصنع ن ٣) ثم علم الله م ، ن : — ح ، س ٤) والآخذ م : فأخذ ح ، س : فالأخذ ن ‖ من ح ، ن ، س : في م ‖ معرفة م : — ح ، ن ، س ‖ الله ح ، م ، س : — ن ٥) بها ح ، م ، س : لها ن ‖ الحبل ح ، م : حبل ن ، س ‖ علم النفوس ح ، م ، س : النفس ن ٦) فتأخذه م : فيأخذ ح ، ن ، س ‖ يعنى م : — ح ، ن ، س ‖ بصيرًا : بصير ح ، م ، ن ، س ‖ بمثل ح ، م ، ن : لمثل س ‖ النفس ح ، م ، س : الناس ن ٩) فكيف م : وكيف ح ، ن ، س ١١) تلك م ، ن ، س : — ح ‖ ولكن م ، ن : لكن ح ، س ١٢) نفسه م ، ن : له نفسه ح ، س ‖ من م ، ن : في ح ، س ١٣) معه م ، ن : له ح ، س ‖ لقلب م : للقلب ح ، ن ، س ١٤) ولم — يكله م : ولا يكله ح ، س : ولم يكله ن ١٥) فليس م ، ن : وليس ح ، س ١٦) ذاك م : ذلك ح ، ن ، س ١٧) ولا يصلح الخائن م ، ن : وليس للخائن ح ، س

(١٣٧)

قال له القائل : فكيف لطف الله لعبده في هذا المكان حتى تنقطع مشيئته؟

قال : لو ضننتُ بهذا على الخلق أجمعين حتى أصبت لها أهلاً لكنت محقوقًا بذلك ، ولكن قلبي أجده يعطف عليك فلا أحسب إلاّ أنّ لله فيك خبيئة — إذا خرجت له الرحمة من ملك الرحمة سقاه شربةً يسكر بها عن هذه المشيئة .

قال : وما هذه المشيئة وما هذه الشربة؟

قال : شربة من الحبّ !

قال : وما هي؟

قال : كفاك هذا ! فصار بحال كأنّه لم يعقل من هذه الأمور شيئًا ، فباطنه سكر وظاهره حيرة وبهتة ، فإذا المشيئة مفقودة في هذا السكر ، فإذا أفاق من سكره قليلاً صرخ إلى الله صراخ مضطرٍّ ، فجاءت الرحمة واحتملته ، فوضعته بين يديه .

قال له قائل : ولِمَ يصرخ؟

قال : لأنّه لمّا أفاق من سكره قليلاً وجد ريحًا .

قال : وما ذاك الريح؟

قال : ألَم ترَ إلى الطفل إذا فقد أمّه أخذ يبكي وتحيّر في الوجوه وأخذته الغربة ، لأنّه لا يجد أمّه ، فلا ينام ولا ينيم ، حتى إذا وجد ريح الأمّ تهلّل وصرخ .

---

٢) القائل م . س : قائل ح ، ن || فكيف ح . م . س : وكيف ن || لعبده م : بعبده ح ، ن ، س || المكان م . ن : المقام ح . س ٣) ضننت م : ظننت ح ، ن ، س || بهذا م : بها ح ، ن ، س || حتى — أهلاً : — ن || لها أهلاً م ، س : أهلاً لها ح || لكنت محقوقًا م : كنت محقوقًا ح ، س : لكنت محققًا ن ٤) أجده ح ، م ، ن : أراه س || فلا أحسب م ، ن : واحسب ح ، س || إلا أن م : ان ح ، ن ، س || لله فيك م ، س : لله فيه ح : الله فيك ن ٥) من — المشيئة : — ن || سقاه م : سقاه ربه ح ، س || بها ح ، س : — م ٦) قال ح ، م ، س : قال له قائل ن || وما هذه المشيئة م : — ح ، ن ، س ٧) الحبّ ح ، س : الحجاب م ، ن ٨) هى ح ، س : هو م ، ن ٩) كفاك ح ، م ، س : مقال ن || بحال ح ، م ، س : بها ن || كأنه م : — ح ، ن ، س ١٠) حيرة ح ، م ، س : حيوه ن (تحريف) || فاذا ح ، م ، س : فأما ن || مفقودة ح ، م ، س : ففقودة ن || فاذا م ، ن : فإن ح ، س ١١) مضطر ح ، م : المضطر ن : — س (سواد) || واحتملته ح ، س : فاحتملته م ، ن || يديه ح ، م ، س : يدي ربّه ن ١٢) له قائل ح ، س : — م ، ن || يصرخ ح ، س : صرخ م ، ن ١٣) من سكره قليلاً ح ، ن ، س : — م ١٤) ذاك الريح م ، ن : ذلك ح ، س ١٥) أخذ م : — ح ، ن ، س (؟سواد) || الغربة ح ، م ، س : العدبه ن (تحريف) ١٦) فلا م : ولا ح ، ن ، س || ولا ينيم ح ، ن ، س : — م

قال له القائل : لقد جئت بمثل عظيم فما هذا؟

قال : ويحك ، إنّ العظيم في جلاله لمّا قرّب هذا العبد خرجت له هذه الدولة من مشيئته على طريق المحبّة والرأفة والتحنّن عليه ، فلمّا بلغ هذا المحلّ أفاق من السكر وقد انطمست المشيئة عنه بسكره ، وفيه بقيّة من السكر ، وهو قلب غريب في مفاوز الحيرة ، منفرد في تلك الفرديّة . وجد ريح الرأفة بقلبه فصرخ إلى وليّ الرأفة ، فجاءت الرأفة فاحتملته ، وتلقّته الرحمة فأخذته فأدّته إلى مُوَلِّيه ، فأوصله إلى نفسه بلا مشيئة بقيت في نفسه . فإنّ هذه أقوى المشيئات وأعظمها ، ويستحيل أن تسقط عن النفس إلاّ من هذا الوجه الذي لطف الله بعبده فيه .

(١٣٨)

قال له القائل : صف لنا حال هذا المجذوب الذي وجبت له الإمامة على الأولياء ، وأنّ لواء الأولياء بيده ، وأنّ الأولياء كلّهم محتاجون إليه في الشفاعة كما يحتاج الأنبياء إلى محمّد ﷺ .

قال : صفته هذا الذي أعلمتك .

قال : فَبِمَ تقدّم الأولياء واحتاجوا إليه؟

قال : بأنّه أعطي ختم الولاية ، فبالختم تقدّمهم وصار حجّة الله على أوليائه ، فقد ذكرت في أوّل الكتاب سبب الختم : أنّ النبوّة أُعطِيَت الأنبياء ولم يُعطَوا الختم ، فلم تَخل تلك الحظوظ من هنات النفوس ومشاركتها ، وأُعطي نبيّنا محمّد ﷺ وخُتمت له نبوّته

---

١) له حَ ، مَ ، سَ : — نَ ٢) قرب مَ ، نَ : قرر قرب حَ : قدر قرب سَ ‖ له هذه مَ : له حَ ، سَ : هذه نَ ٣) على طريق حَ ، مَ ، سَ : — نَ ‖ هذا حَ ، مَ ، سَ : من هذا نَ ‖ أفاق مَ : وأفاق حَ ، نَ ، سَ ٤) عنه مَ ، نَ : عليه حَ ، سَ ‖ الحيرة حَ ، مَ ، سَ : الحيوة نَ ٥) فجاءت الرأفة حَ ، نَ ، سَ : فجاءت الرحمة مَ ٦) فأخذته مَ ، نَ : وأخذته حَ ، سَ ‖ موليه مَ : مولاه حَ ، نَ ، سَ ‖ بقيت في — ٧) نفسه مَ ، نَ : — حَ ، سَ ٧) عن حَ ، مَ ، سَ : على نَ ١٠) له مَ ، نَ ، سَ : — حَ ‖ حال مَ : — حَ ، نَ ، سَ ‖ الإمامة حَ ، مَ ، سَ : الأمانة نَ ‖ الأولياء مَ ، نَ : الولاية حَ ، سَ ١١) وأنّ الأولياء حَ ، نَ ، سَ : والأولياء مَ ‖ اليه حَ ، نَ ، سَ : — مَ ‖ الى مَ ، نَ : الى نبيّنا حَ ، سَ ١٣) صفته حَ ، نَ ، سَ : صفت مَ ‖ هذا مَ ، نَ : هو حَ ، سَ ١٤) فبم حَ ، سَ : فبما مَ : فيهم نَ (تحريف؟) ‖ واحتاجوا مَ ، نَ : فاحتاجوا حَ ، سَ ١٥) وصار مَ ، نَ : فصار حَ ، سَ ‖ فقد مَ : وقد حَ ، نَ ، سَ ١٧) هنات حَ ، مَ ، سَ : بقيات نَ (تحريف) ‖ أعطي حَ ، مَ ، نَ : أعطا سَ ‖ محمّد مَ : — حَ ، نَ ، سَ

كالعهد الذي يُكتَب ثم يُختَم ، فلا يصل أحد إلى أن يزيد فيه ولا أن ينقص منه ، فقد وصفت شأنه فيما تقدّم.

وكذلك هذا الوليّ سيرته على طريق محمّد ﷺ ، فصُفّي ثم هُذِّب ، ثم أعطي الولاية ، ثم خُتمت ولايته كي لا تجد النفس والعدوّ سبيلاً إلى ما أُكرم به ، فيبرز يوم القيامة بولايته مختومًا بختم الله ، كما برز محمّد ﷺ حجّةً على الأنبياء فكذلك هذا الوليّ يصير حجّةً على جميع الأولياء : أن يقول لهم : معاشر الأولياء أعطيتكم ولايتي ، فلِمَ لم تصونوا لها من مشاركة النفس حتى لَبّستم الولاية وجئتم بهذه الهنات ، وهذا أضعفكم وأقلّكم عمرًا قد أتى بجميع الولاية صدقًا فلم يجعل للنفس فيها نصيبًا ولا تلبيسًا ، وكان ذلك في الغيب من منّة الله على هذا العبد ، حيث أعطاه الختم لتقرّ به عين محمّد ﷺ في الموقف ، حتى قعد الشيطان بمعزل وأيست النفس حتى بقيت محجوبة ، فيقرّ له الأولياء يومئذ بالفضل عليهم كما يقرّ الأنبياء لمحمّد ﷺ بالفضل ، فإذا جاءت الأهوال لم يَخْلُ مقصّر ، وإن دقّ تقصيره ، من أن ينال من ذلك الهول على قدر تقصيره ، وجاء هذا الوليّ بختمه فيكون له أمانًا من هول صدق الولاية ، فاحتاج إليه الأولياء.

وللختم شأن عجيب ، ولله في ولد آدم عجائب ، وخلقهم لأمر عظيم ، ولمّا عرف العاقل أنّه ولي خلقه بيده علم أنّ هذه خطّة فيها أمور عظام ، ولمّا علم أنّه سمّاه خليفة علم أنّ ههنا عجائب ، فإنّ للخليفة شعبة من ملك الأمير ، فما جاء من خبر عن حظّ الآدمي من ربّه صدّقه ، فقد انتبه لمبتدأ أمره أنّ خلقًا بلغ من قدره أن تولّاه الله بيده وسمّاه خليفة ، إنّ في مكنون أمره لعجائب !

---

١) كالعهد ح ، م ، س : بالعهد ن | يكتب ح ، م ، س : كان يكتب ن || ولا أن م : ولا ح ، س : أو ن | فقد ح ، م ، س : وقد ن ٣) وكذلك ح ، م ، س : فكذلك ن | سيرته ح ، م ، س : يسير به ن || فصفّي ثم هذب م : فصفى وهذب ح ، س : — ن | ثم أعطى — ٥) القيامة م : — ح ، ن ، س ٥) بولايته — ١١١ ، ٢) محاورتي م ، ن : — ح ، س | بولايته م : بنبوّته ن كما برز م : فكما كان ن || حجة ن : حجته م || هذا الولي — ٦) يصير م : يصير هذا الولي ن ٦) جميع م : — ن | لم م : — ن ٧) تصونوا لها م : تصونونها ن | لبستم ن : يستم م | بهذه م : بها ن ٩) في ن : — م ١١) كما — بالفضل م : — ن ١٢) مقصر : مقصرون م : مقصرًا ن | وإن م : فإن ن | تقصيره ن : تقصيرم | على — تقصيره ن : — م || هذا الولي م : محمّد ن ١٣) بختمه م : بالختم ن | هول — الولاية م : ذلك الهول ن + وجاء هذا الولي بختمه فيكون له أمانًا من صدق الولاية ١٦) للخليفة م : الخليفة له ن | الأمير م : الأمين (تحريف) || فما م : فكلما ن

(١٣٩)

قال له القائل : قد انتهت مسألتي ومحاورتي وبقيت خلّة أُجِلّك عن ذكرها وتحكّ في صدري وتأبى نفسي تركها !

قال : هات واجلل الحقّ !

قال : إنّك تَجُرّ كلامك حتى إذا وقعت على ذكر بعض هذه الطبقات التي نفيتَ كلامها تغيّرت لهم وغلظ كلامك عليهم كأنّ الرحمة قد انتشفت من حالهم عندك ، فما هذا ؟

قال : نعم ، جاد ما سألت ! إنّ الله تعالى جعل الحقّ ليقتضي القيام بوفاء التوحيد والانقياد للحقّ ، فإذا وجدهم الحقّ معظّمين له قائمين بوفائه رجع إلى الله مُثْنيًا عليهم ، فرجع من الله بالمدد إليهم من الأنوار حتى يزدادوا قوّةً على القيام بذلك ، ومن وجده الحقّ غير معظّم له رجع إلى الله يشكوه ، فالرحمة تلقى الحقّ بين يدي الله مراقبةً للحقّ ، كلّما جاء الحقّ يشكو التأذّي من الخلق حنّت الرحمة في محلّها بين يدي الله حنين الوالهة فيسكن السلطان ، ولولا شأن الرحمة وحنينها لثار السلطان بمجيء الحقّ شاكيًا ولدمّر على العباد ، فهذا شأن الله في العباد ، فإذا جاء الحقّ يشكو مؤذّيًا معاندًا ثار السلطان بالعقوبات واعتزلت الرحمة ، فإنّ المعاند مبارز ، فربّ عبد تحلّ به في طرفة عين ، وربّ

---

٢) القائل نَ : قائل مَ ‖ وبقيت حَ ، نَ ، سَ : بقيت مَ ‖ أجلّك حَ ، مَ ، سَ : اخلل نَ (تحريف؟) ‖ تحك مَ : تتحاكّ حَ ، سَ : تحل نَ (تحريف) ٤) واجلل مَ ، نَ : أجلك حَ ، سَ ٥) تجر مَ : تجرى في حَ ، سَ : تجرى نَ ‖ وقعت على مَ : وقفت عن حَ : وقفت على نَ ، سَ ‖ ذكر – هذه مَ : ذكر هذه حَ ، سَ : بعض ذكر هذه نَ ‖ نفيت حَ ، مَ ، سَ : نعتر نَ ٦) عليهم نَ : – حَ ، مَ ، سَ ‖ قد حَ ، مَ ، سَ : – نَ ‖ انتشفت مَ ، نَ ، سَ : انفشت حَ ٨) جاد حَ ، مَ ، سَ : جاك نَ (تحريف) ‖ إن الله حَ ، مَ ، سَ : إن شاء الله نَ ‖ ليقتضي حَ ، نَ ، سَ : يقتضي مَ ‖ القيام بوفاء مَ ، نَ : الوفاء بقيام حَ ، سَ ٩) للحق حَ ، مَ ، سَ : الى الحق نَ ‖ وجدهم حَ ، مَ ، نَ : أوجدهم سَ ‖ عليهم مَ ، نَ : عليه حَ ، سَ ١٠) اليهم حَ ، مَ ، سَ : لهم نَ ‖ ومن حَ ، مَ ، سَ : من نَ ١١) يشكوه – الله مَ ، نَ : – حَ ، سَ ‖ يشكوه نَ : يشكوا مَ ‖ مراقبة حَ ، سَ : مراقب مَ : تراقب نَ ‖ للحقّ حَ ، مَ ، سَ : الحق نَ ١٢) التأذى حَ ، مَ ، نَ : لتأذى سَ ‖ الخلق مَ ، نَ : الحق حَ ، سَ ١٣) السلطان مَ ، نَ : سلطان حَ : سلطانه سَ ‖ ولولا حَ ، مَ ، سَ : لو نَ ‖ لثار مَ ، نَ : ثار حَ ، سَ ‖ بمجيء مَ ، نَ : بمجيء حَ ، سَ ‖ شاكيًا حَ ، مَ ، نَ : + اليه سَ ‖ ولدمر : ليدمر حَ ، نَ : ولدمرت مَ : من سَ ١٤) العباد حَ ، مَ ، سَ : عباده ‖ فاذا حَ ، مَ ، سَ : فإن نَ ‖ مؤذيًا حَ ، مَ ، سَ : مويدًا نَ ‖ السلطان – ١٥) بالعقوبات مَ ، نَ : سلطان العقوبات حَ ، سَ ١٥) واعتزلت مَ ، نَ : فاعتزلت حَ ، سَ ‖ مبارز حَ ، مَ ، سَ : مارب نَ ‖ به في حَ ، مَ ، سَ : برقى في نَ (تحريف)

عبد العقوبة على رأسه مُظِلّة إلى مدّة سنين حتى تؤذن لها فتحلّ به عند وقت ظهور فعل بالأركان / ليكون عذر الله ظاهرًا في حلول العقوبة به ، وقد مضت العقوبة على قوم لوط ١٦٦ ب عشاءً فحلّت بهم عند الصبح ، وكذلك حكى الله في تنزيله فقال : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ وكذلك بفرعون وقومه مضت العقوبة عند إجابة الدعوة وحلّت بهم في وقت الغرق .

(١٤٠)

فهذا المتنبّه يأخذ عن الله ذلك ، فإن كنتَ وجدتَني كذلك فإنّمَا وجدتَني أحتذي على مثال ما به أبدأ ، فإنّ المؤمن إنّمَا يعامل الخلق عن الله وبالحقّ ، فهو يقتضيهم ذلك ، فإن لم يجد ذلك وجد في قلبه لهم من الرحمة ما يطفئ ذلك السلطان الذي في قلبه ، فإنّ مع الحقّ سلطانًا والسلطان كالنار ، فإذا وجد هذا العبد من الخلق أذى الحقّ وجد قلبُه عليهم وثار السلطان منه ، فتجيء الرحمة التي في قلبه فتطفئ تلك الثائرة وتليّن كلامَه ، فإذا جاءه معاند فهو رجل جبّار ، فجبرته نفسه وما فيه من الحسد والكبر والنخوة لا يتركه حتى يعاند الحقّ ، فإذا عاند الحقّ فكأنّه يبارز الله ، فعندها يثور السلطان وتعتزل الرحمة ، فمحال أن يستعمل الصادق في أمره الرحمة على المعاند ، وكيف يقدر أن يستعمل الرحمة ونفسه جبّارة عنيدة ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَخَابَ كُلُّ

١) مظلّة ح ، س : مظلمة م ، ن ‖ لها ح ، س : له م : — ن ‖ عند ح ، م ، س : — ن ‖ فعل — ٢) بالأركان م : فعل من الأركان ح ، س : بالأركان ن ٢) عذر ح ، ن ، س : عند م ‖ به ح ، م ، س : — ن ٣) فحلت ح ، س : فحل م ، ن ‖ الله — فقال ح ، م ، س : قال قال الله تعالى في تنزيله ن ٤) ففسقوا — تدميرًا ح ، م ، س : الآية ن ٥) بفرعون م ، ن : فرعون ح ، س ‖ الدعوة م ، ن : الله تعالى لها ح ، س ‖ وحلت بهم : وحل بهم م ، ن : — ح ، س ‖ في ح ، م ، س : — ن ٧) ذلك م ، ن : — ح ، س ‖ احتذى ح ، ن ، س : اخزى س (تحريف؟) ٨) به ح ، س : — م ، ن ‖ أبدأ م : ابدنى ح ، س : حكى ن ‖ فإن ح ، م ، س : فإنما ن ‖ وبالحق م ، ن : — ح ، س ‖ يقتضيهم ح ، م ، س : يقصيهم ن (تحريف؟) ٩) السلطان م ، ن : من السلطان ح ، س ‖ الذى — ١٠) والسلطان م ، ن : — ح ، س ١٠) سلطانًا ن : سلطان م ‖ كالنار م ، ن : كنار ح ، س ‖ أذى الحق ح ، س : أذى الخلق م : — ن ١١) وتلين م ، ن : فلين ح ، س ١٢) فجبرته م ، ن : وجبرته ح ، س ١٣) والنخوة م : — ح ، ن ، س ‖ فكأنّه يبارز م : فكأنه بارز ح : كأنه بارز س : فكأنّه ساري ن (تحريف) ‖ فعندها ح ، م ، س : فعند ن ١٤) وتعتزل ح ، ن ، س : تعتزل م ‖ أمره ح ، ن ، س : أمر م ١٥) وكيف م ، ن : فكيف ح ، س ‖ عنيدة ح ، م ، س : عنده ن ‖ وقد — تعالى م : قال تعالى ح ، س : وقد قال الله تبارك وتعالى ن

٣) — ٤) القرآن الكريم ١٦/١٧

١٥) — ١١٣ ، ١) القرآن الكريم ١٥/١٤

جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ فهل خاب إلاّ من الرحمة؟ فكيف يرحم عبدًا خيّبه الله من الرحمة إلاّ عبدًا يريد أن يتزيّن للخلق ويتصنّع بتكلّف الرحمة، فتكلّفها بالإعراض واللين والسكون، لا يحبّ أن تسقط عند الخلق مدحته، فإنّ للنفوس خدائع، تقول لصاحبها: متى ما غلظت وأظهرت الغضب يقال: إنّه ليس بحليم، فهو يتكلّف الحلم ههنا في هذا الموضع مُراءاةً وتصنّعًا إبقاءً على مدحته وجاهه عند من لا يملك ضرًّا ولا نفعًا.

(١٤١)

وأولياء الله وأهل صدقه ووفائه قد طار عن قلوبهم رضى الخلق وسخطهم وقبولهم ونفيهم، وإنّما شأنهم استعمال الحقّ في أوانه، فالحقّ كنار، واستعمال الرحمة في أوانها، لأنّ الحقّ مع السلطان وهو مقرون به، والرحمة كالماء، فإذا جاء الحقّ واقتضاك النصرة وجاءت الرحمة فأطفأت سلطانه فأنت معذور، فإذا اقتضاك النصرة واعتزلت الرحمة، فإن تكلّفتَ الرحمة وكففت عن النصرة فأنت غير واجد للرحمة في الباطن إلاّ بتكلُّف من النفس ترفّقًا كترفّق النساء فأنت مراء، صاحب هذا لم يبلغ بعدُ نصرة الحقّ ولا أُعطي سلطانه، إنّما هو رجل تابع الحقّ في زوايا أمره حتى يقيم من عشرين واحدًا.

إنّما وصفت لك صفة رجلٍ مُستَعْمَل قوّم الله سيرته وأدّبه وجعل السلطان جنيبته في استعمال الحقّ له، أو رجلٍ أعظم شأنًا من هذا، هو يستعمله والحقّ والسلطان على

---

١) يرحم مَ، نَ، سَ: برحم الله حَ ‖ عبدًا: عبد حَ، نَ، سَ: عندما مَ ٢) فتكلفها مَ: ويتكلفها حَ، سَ: فيتكلفها نَ ٣) مدحته حَ، مَ، سَ: برحمته نَ ٤) متى ما مَ، نَ: متى حَ، سَ ‖ غلظت مَ، نَ: أغلظت حَ، سَ ٥) الموضع حَ، مَ: — نَ: الوضع سَ ‖ مراءاة حَ، مَ، سَ: مرايًا نَ ٨) وأولياء حَ، مَ، سَ: فأولياء نَ ٩) وإنّما شأنهم حَ، سَ: أماتهم مَ: اتمانهم نَ ‖ فالحق كنار حَ، سَ: كالنار مَ: — نَ ‖ واستعمال – أوانها مَ، نَ: — حَ، سَ ‖ في أوانها: في أوانه مَ: أوانها نَ ١٠) لأن الحق مَ: لأنّه مع السلطان حَ، سَ: فالحق كالنار لأنّه من السلطان نَ ‖ والرحمة حَ، سَ: الرحمة مَ، نَ ‖ كالماء حَ، مَ، سَ: — نَ ‖ فاذا – ١١) الرحمة حَ، مَ، سَ: — نَ ‖ فاذا حَ، سَ: واذا مَ ١٢) وكففت مَ، نَ: فكففت حَ، سَ ‖ فأنت حَ، مَ، نَ: وأنت سَ ١٣) ترفّقًا مَ، نَ، سَ: ترق حَ ‖ صاحب هذا مَ: وصاحب هذا حَ، سَ: صاحب هوى نَ ١٤) هو حَ، نَ، سَ: — مَ ١٥) إنما وصفت حَ، سَ: إنما أصف مَ: وإنما أصف نَ ‖ سيرته وأدبه حَ، مَ، سَ: اذنه وسيرته نَ ‖ جنيبته حَ، مَ، سَ (؟سواد): جيشه نَ ١٦) له حَ، مَ، سَ: — نَ ‖ من هذا حَ، مَ، نَ: — سَ ‖ هو يستعمله مَ، نَ: فهو مستعمله حَ، سَ ‖ والحق مَ، نَ: الحق حَ، سَ

مقدّمته، فمتى يصل إلى ما ذكرتُ أن يعمل ما يهوى الناس ويحسن عند المداهنين والمتّزينين؟

والذي ذكرتَ شأنه، هو رجل يتّبع الحقّ فيصيب في بعض الأمور بجهد، ومع ذلك مشاهدة النفس ومزاجه قائم في الأمر ويتكلّف الرحمة، فهذا الذي يجتهد في إظهار الرحمة في فعله وقلبه ليس على وفاق من ظاهره، فذاك تصنّع، يُري من نفسه الخشوع والهُدَى وليس ذلك لَلخشوعَ إنّما ذلك التماوت!

(١٤٢)

ألا ترى أنّ أبا الدرداء لمّا وصف البدلاء قال: ليسوا بمتماوتين ولا بمتخشّعين، إنّما ذلك التماوت خشوع النفاق، ورُوي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: نعوذ بالله من خشوع النفاق! قيل: يا رسول الله، وما خشوع النفاق؟ قال: أن يخشع البدن والقلب ليس بخاشع! ولا يغرّنّك ما ترى من هذا الخلق! إنّ رسول الله ﷺ كان إذا غضب لم يقم لغضبه شيء، وكان له عرق بين عينيه يدرّ عند الغضب، فلا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، وكان من أرحم الناس وأحلم الناس وأصبر الناس على الأذى، فإذا جاء عناد أو ظلم للحقّ لم يستقرّ حتى ينتصر له، وقد وسع الناس بسطةً وخلقة، فصار لهم أبًا وصاروا عنده في الحقّ سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، حدّثنا بذلك سفيان بن

---

١) فمتى مَ. نَ: متى حَ، سَ ‖ ما حَ. مَ، سَ: بما نَ ‖ المداهنين – ٢) والمتزينين مَ: المداهنين المتزينين حَ. سَ: المتداهنين المتزينين نَ ٣) فيصيب مَ: فيصيبه حَ، نَ، سَ ٤) مشاهدة مَ: تشاركه حَ: مشاركة نَ. سَ ‖ مزاجه مَ: مزاجها حَ. نَ، سَ ‖ في الأمر حَ، مَ، سَ: – نَ ‖ في إظهار حَ. نَ، سَ: باظهار مَ ٥) ليس حَ. مَ. سَ: ايس نَ (تحريف؟) ‖ فذاك تصنع مَ: فذلك يتصنع حَ، سَ: فكذلك يصنع نَ ‖ يرى حَ، نَ. سَ: يرى ذلك مَ ٦) للخشوع مَ: خشوعًا حَ، سَ: الخشوع نَ ‖ التماوت مَ، نَ: تماوت حَ. سَ ٨) أبا مَ. نَ. سَ (؟سواد): أبي حَ ‖ لما حَ، مَ، سَ: إنما نَ ‖ البدلاء مَ، نَ: الأبدال حَ. سَ ‖ بمتخشعين مَ: متخشعين حَ. سَ: متخاشعين نَ ٩) وروى مَ. نَ: روى حَ. سَ ‖ النبي مَ: رسول الله حَ. نَ. سَ ‖ نعوذ حَ. مَ، سَ: تعوذوا نَ ١٠) قيل مَ، نَ: قالوا حَ. سَ ‖ أن حَ. مَ، سَ: هو أن نَ ‖ ليس – ١١) بخاشع مَ، نَ: غير خاشع حَ، سَ ١١) ولا حَ، سَ: لا مَ: فلا نَ ‖ الخلق مَ، نَ: – حَ. سَ ‖ يقم حَ، مَ، سَ: يقيم نَ ١٢) يدر مَ، نَ: يرى حَ، سَ ‖ فلا مَ، نَ: ولا حَ، سَ ١٣) أرحم الناس مَ. نَ. سَ: أرحم الناس للخلق حَ ‖ وأحلم الناس حَ. مَ. سَ: – نَ ‖ أو – ١٤) ظلم مَ. نَ: وظلم حَ. سَ ١٤) للحق حَ، مَ، سَ: – نَ ‖ الناس مَ: الناس منه حَ، نَ، سَ ‖ فصار مَ، نَ: وصار حَ. سَ ١٥) سواء حَ. مَ، سَ: – ٩) قارن: نوادر الأصول ٣١٧، أصل ٢٤٥ نَ ‖ حلم وحياء مَ، نَ: حياء وعلم حَ. سَ ‖ حدثنا – ١١٥. ١) ﷺ حَ. مَ، سَ: – نَ

٩) قارن: نوادر الأصول ٣١٧، أصل ٢٤٥

وكيع ، حدّثنا جميع بن عمر العجلي في حديثه في صفة النبيّ ﷺ ، فإنّما كان يستعمل الحلم والحياء والصبر في وقته لأهله ، وكان موسى إذا غضب احترقت قلنسوته من شدّة سلطان غضبه لله .

(١٤٣)

فالذي ترى في كلامي من التغيّر عند ذكر هؤلاء العابدين ، لأنّ هؤلاء العابدين عندي أسوأ حالاً من هؤلاء المخلصين من العامّة ، هؤلاء أهل نفاق نافقوا في سبيل الله ، قال الله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ واغْلُظْ عَلَيْهِم﴾ ، وقال : ﴿وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾ .

ولقد سمّيتهم يومًا مجوس هذا الطريق وما جرى من الكلام على رؤوس الملأ ، فسألوني تأويله ، فقلت : ما لفظت به جزافًا لكنّي على بصيرة نطقت به ، وذلك أنّ هذه الدنيا مشبّهة بالمرأة الزانية التي تتزيّن للرجال وتعرض نفسها وتتبرّج في زينتها ، فالذي يفجر بها هو الذي ينخدع لها حتى يأخذها من حيث لم يؤذن له في ذلك ، فهذا كلام جارٍ في الحكمة . لأنّ المرأة أُذن للرجل في أن يتناولها من حيث أُذن له <في> أن يتزوّج على رسم الكتاب والسنّة ، فكذلك الدنيا أُذن له <في> أن يتناولها من حيث أُذن له على رسم الكتاب والسنّة ، فإذا تبرّجت لك بزينتها وافتتنتَ بها حتى تتناولها من حيث لم يؤذن لك

---

١) سفيان بن وكيع ح ، س : وكيع بن سفيان م ‖ فإنما م ، ن : قال إنما ح ، س ٢) وقته ح ، م ، س : وقت ن ٣) غضبه لله ح ، م ، س : غضب الله ن ٥) العابدين م : المعاندين ح ، ن ، س ‖ لأن – العبدين م : لأن هؤلاء ح ، س : لأنهم ن ٦) هؤلاء المخلصين م (تصحيح في الهامش ، في الصلب : المخالطين) : هؤلاء المخلطين ح ، س : المخلصين ن ‖ نفاق م ، ن : النفاق ح ، س ‖ نافقوا م ، ن : ونافقوا ح ، س ٧) وغلظ عليهم ح ، م ، س : الآية وقال واغلظ عليهم الآية ن ‖ وقال وعظهم – ٨) بليغًا ح ، م ، س : – ن ٩) هذا الطريق م ، ن : هذه الطائفة ح : هذه الطريقة س ‖ وما م : فيما ح ، ن ، س ‖ الكلام م ، ن : كلام ح ، س ١٠) لفظت م ، ن : نطقت ح ، س ‖ هذه م ، ن : – ح ، س ١١) مشبهة ح ، م ، س : مشبه ن ‖ تتزين ح ، ن ، س : تزيّن م ١٢) حتى يأخذها ح ، م ، س : يأخذ ن ‖ فهذا م ، ن : وهذا ح ، س ‖ جار ح ، س : جاري م ، ن ١٣) للرجل ح ، م ، ن : الرجل س ‖ في أن م : أن ح ، ن ، س ‖ أن م ، ن : – ح ، س ١٤) فكذلك ح ، ن ، س : ولذلك م ‖ له م ، ن ، س : له يتزوج ح ١٥) لك م ، ن : – ح ، س ‖ وافتتنت بها م : وأفتنته ح ، س : وأفشت ن (تحريف)

---

١) سفيان بن وكيع ، قارن : HT 27, Nr. 144 ‖ جميع بن عمر ، قارن : ميزان ١ ، ٤٢١ ، رقم ١٥٥٠ ؛ تهذيب ٢ ، ١١١ ، رقم ١٧٥

٧) القرآن الكريم ٩/٧٣ ٧) – ٨) القرآن الكريم ٤/٦٣

فهي كالمرأة الزانية ، فإنّما / ذكرت ما ذكرت من شأن المجوس ومثالهم لأنّ المجوس يتناول ١٦٧ أ
محارمهم على جهة النكاح ، فهو أعظم من الزنا ، لأنّه جمع بين الحرمتين لأنّهم يزنون بالأمّ والابنة .

(١٤٤)

فرأيت هذه الطبقة قومًا عمدوا إلى مذهب فشهروا به أنفسهم عند الناس : من ترك الفضول وشيء من التزهّد والتورّع والتعبّد وحكايات ملتقطة من ههنا وثَمّة ، اتّخذوها علمًا لا يعرفون ما أوّلها ولا آخرها ، فنالوا به رياسة في ناحية من النواحي حتى اتّخذوا بذلك جاهًا وتمكّنوا من الرياسة واتّسعوا في نعمة المآكل والمشارب والملابس والمناكح والضيافات وغير ذلك من المرافق والنساء .

فنظرت في ظاهر أمورهم وباطنها ، فوجدت الأركان معطّلة من العبادة ، مشغولة بالقال والقيل والبقبقة ، فقلت : ليسوا بعمّال ! ونظرت إلى منازل الأولياء فإذا قلوبهم عنها غائبة ، فقلت : هم في الطريق يسيرون إليه ، فوجدتهم قد تخطّوا في هذا الطريق خطوةً أو خطوتين ما بلغوا ثلاث خطوات حتى قامت عليهم نفوسهم بما وجدت من اللذّة والفرح بالعطاء فاستأنستهم ، فإذا هم موتى طرحاء على مزبلة ، يحسد بعضهم بعضًا

---

١) فهي م ، ن : فهذه ح ، س ‖ فإنما م : فاذا ح ، س : إنما ن ‖ من – مثالهم م : من حال المجوس وشأنهم ح ، س : من شأن المجوس ن ‖ لأن ح ، ن ، س : فان م ‖ المجوس م ، ن : المجوسي ح ، س ‖ يتناول ح ، س : تناول م : يتناولوا ن ٢) محارمهم م ، ن : محارمه ح ، س ‖ فهو م : وهو ح ، س : فهذا ن ‖ لأنه جمع م ، ن : لأنهم جمعوا ح ، س ‖ الحرمتين م : حرمتين ح ، ن ، س ٣) بالأم والابنة م (تصحيح في الهامش ، في الصلب : بالاخت) : بالأخت والبنت ح ، ن ، س ٥) الطبقة ح ، م ، ن : الطائفة س ‖ قومًا عمدوا م : قد عمدوا ح ، س : قوم عمدوا ن ‖ به م : – ح ، س : فيه ن ٦) التزهد والتورع ح ، م ، س : الزهد والتبرع ن ‖ ههنا وثمّة م ، ن : هاهنا وهاهنا ح ، س ‖ اتخذوها م ، ن : ثم اتخذوها ح ، س ٧) فنالوا ح ، ن ، س : فنالوا م ‖ حتى اتخذوا ح ، س : حتى اتخذوها م : اتخذوا ن ٨) من ح ، م ، س : في ن ‖ المآكل – المناكح م : المأكل والمشرب والملبس والمنكح ح ، ن ، س ٩) والضيافات م ، ن : من الضيافات ح ، س ‖ وغير ذلك ح ، م ، س : وغيرها ن ١٠) ظاهر م ، ن : ظواهر ح ، س ‖ باطنها م : بواطنها ح ، ن ، س ١١) بالقال والقيل م ، ن : بالقيل والقال ح ، س ‖ فقلت – بعمال ح ، م ، س : – ن ‖ منازل ح ، م ، س : قلوب ن ‖ فاذا قلوبهم ح ، م ، س : فوجدتها ن ١٢) هذا م : – ح ، ن ، س ١٣) أو م : وح ، ن ، س ‖ قامت : تصحيح في هامش م : تماوتت ‖ بما ح ، ن ، س : ما م ١٤) بالعطاء م ، ن : بالعطايا ح ، س ‖ فاستأنستهم م : فاستأسرتهم ح ، ن ، س ‖ طرحاء ح ، س : مطروحين م : مطروحون ن

ويتأكّلون الناس ، نفوسهم متعلّقة بأحوالهم ، وقلوبهم مشغولة بتعلّق نفوسهم ، همّتهم ظهورهم وبطونهم ، وتخطّي الكُوَر ، واتّخاذ الحرفاء ، ونفض جُرُب العجائز ، وتناول ذخائرهنّ واصطياد الأرامل ، يعمد أحدهم إلى أرملة مؤسّرة يغتنم رغبتها فيأكل مالها ويذرها معلّقة . يبوّئ لنفسه معادن التفتّر ورخاء العيش الدقيق والتحكّم في أموالهم مخادعةً بالتلطّف ، قد اتّخذوا الملق دينًا والتماوت صناعة يحملون به دنياهم .

(١٤٥)

فلو قلتَ لأحدهم : الزم هذا البيت شهرًا ولا تخرج إلى الناس لرأيت به من الضيق والنفار من ذلك ما يُظهر لك من مكنون ما في صدره أنّه رجل بطّال قد ملكته نفسه ، فهو يتكلّم بكلام الأولياء التقاطًا وحكاياتٍ ، ولعلّه لا تنجع فيه كلمة ولا يُوجعه أنّه في خُلوّ من ذلك ، يشتم نفسه ولا يؤلمه شتمه ، فلا عملاً بالأركان ولا وصولاً إلى مكان ولا سيرًا في طريق إلى المكان .

فكلّما وعظتَ واحدًا منهم أخذ يروغ يمينًا وشمالاً ، فإذا ضبطته وضغطته عاند وكابر وعادى ، ولا يتذلّل للحقّ ، يذبّ عن نفسه وحاله كي لا يهتك ستره ، فإذا حرّكتَه أو أقمت عليه الحجّة أبدى نفاقه وقطعك وأظهر على نفسه مكنون ما نطق به من أنّه يريد إبقاء حاله ، وليس به شيء من هذه الأمور .

---

١) الناس ح ، م ، س : + ويتأكلون ن ‖ نفوسهم – بأحوالهم ح ، م ، س : – ن ‖ مشغولة ح ، م ، س : مغفلة ن ‖ بتعلق – ٥) بالتلطّف – ن ‖ همتهم م : هممهم ح ، س ٢) الكور م : الكون ح ، س ‖ ونفض جرب م : وهم في نفض حرب ح ، س ٣) ذخائرهن : ذخائرهم ح ، م ، س ‖ الى م ، س : على ح ٤) لتفتر م : النفنق ح : النصنو س ‖ الدقيق ح ، س : – م ٥) اتخذوا ح ، م ، س : اتخذ ن ‖ الملق ح ، م ، س : + والتلطّف ن ‖ يحملون م ، ن : يحتملون ح ، س ٧) ولا م : فلا ح ، س : لا ن ‖ به ح ، م ، س : – ن ٨) لك من ح ، م ، س : له ن ‖ قد ح ، ن ، س : وقد م ٩) التقاطًا م ، ن ، س : التقاطت ح ‖ ولعلّه م ، ن : ولعل ح ، س ‖ أنه في م ، ن : وأنه ح ، س ١٠) يشتم – شتمه ح ، م ، س : – ن ‖ عملاً م : عمل ح ، ن ، س ‖ وصولاً م : وصول ح ، ن ، س ١١) سيرًا في طريق م : سير في الطريق ح ، س : سير في طريق ن ‖ الى المكان م : الى مكان ح ، س : المكان ن ١٢) واحدًا ح ، س : أحدًا م ، ن ‖ أخذ ح ، ن ، س : – م ‖ ضبطته ح ، م ، س : اصبطته ن (تحريف) ‖ وضغطته م ، ن : – ح ، س ١٣) وعادى م ، ن : وعاد ح ، س ‖ ولا يتذلّل للحقّ م ، ن : يرد الملامة الى الخلق ح ، س ‖ يذب م : ويذب ح ، س : – ن ‖ حاله م ، ن : + ولا يتذلل للحق ح ، س ‖ كي لا م : لكيلا ح : لا ن : لئلا س ‖ يهتك ستره م ، ن : يحتك ستر نفسه ح : يهتك ستر نفسه س ‖ أو – ١٤) أقمت م ، ن : وأقمت ح ، س ١٤) به ح ، س : – م ، ن ١٥) وليس ن : ليس ح ، م ، س

(١٤٦)

فهل يجوز لأحد أن يلين لهذا في المقال؟ فأنا أُجري كلامي سبيلَه، فإذا بلغتُ ذكر هؤلاء تغيّر الكلام، فذاك حُمَة الحقّ وسنانه، يطعن الله بها أهل مخادعته والمستهزئين بأمره، فإنّا نسبتُهم إلى المجوسيّة في هذا الباب لأنّهم ملكوا هذه الزانية بالعطايا من الله، فلوكانوا يملكونها بشيء من عرض الدنيا أو بغير ذلك من طريق علم الظاهر لكان أيسر، ولكن ملكوها من طريق العطايا من الله، فاستعملوا العطايا تلك في الاستيلاء على حطام الدنيا، فلمّا ظفروا بها تركوا السير إلى الله، فانظر أيّة فضيحة هذه! أفليس هذه مجوسيّة في هذا الطريق؟

(١٤٧)

ثم إذا خاضوا في شيء من أمر الأولياء يقولون: الوليّ لا يرى، والولي لا يعرف نفسه، ويشبَّه عليه أمره حتى لا يعجب بنفسه وأمره، فصاحب المشي على الماء وطيّ الأرض يأكل من نفسه وذلك لضعفه يُعطى ذلك، والعارف لا يلتفت إلى مثل هذا، إنّما به ربُّه، فهو لا يسأل ربَّه هذا، يموّه على الناس أنّه إن لم يكن هذا لي فاعلموا أنّي عارف وممّن لا يلتفت إلى هذا، والحمقى يقبلون منه حمقه هذا، فهذا قد حلي بأعمال البرّ لإفساد القلوب وإفساد الطريق على المريدين، ويلبّس أمر الأولياء على أهل الإرادة، فلذلك قلت: علمهم كدر، يتلوّثون في حمأة منتنة وتلك مأكلتهم.

---

٢) لأحد مَ، نَ: — حَ، سَ ‖ في مَ، نَ: — حَ، سَ ‖ فأنا مَ: فإنّي حَ، سَ: فاذا نَ ‖ ذكر مَ، نَ: الى ذكر حَ، سَ ٣) فذاك حمة مَ: فذلك حمية حَ، سَ: فذلك حمة نَ ‖ بها حَ، مَ، سَ: به نَ ‖ والمستهزئين مَ، نَ: المستهزئين حَ، سَ ٤) فإنما حَ، مَ، سَ: إنما نَ ‖ المجوسية حَ، مَ، سَ: المجوسة نَ (تحريف) ‖ بالعطايا حَ، مَ، سَ (؟، سواد): بالعطاء نَ ٥) أو بغير حَ، نَ، سَ (؟، سواد): وبغير مَ ‖ علم حَ، سَ (؟، سواد): العلم مَ، نَ ‖ أيسر حَ، مَ، سَ: أستر نَ (تحريف) ٦) من الله – تلك حَ، مَ، سَ: — نَ ‖ العطايا مَ: — حَ، سَ ‖ في الاستيلاء حَ، مَ، سَ: بالاستيلاء نَ ٧) ظفروا حَ، مَ، سَ (؟، سواد): ظهروا نَ ‖ هذه حَ، مَ، سَ: هذا نَ ‖ أفليس حَ، مَ، سَ: فليس نَ ‖ هذه مَ، نَ: — حَ، سَ ‖ مجوسية حَ، مَ، سَ: مجوسة نَ ١٠) خاضوا في حَ، مَ، سَ: خاصموا نَ ‖ أمر مَ، نَ: أمور حَ، سَ ١١) يشبه حَ، سَ: شبه مَ، نَ ‖ وأمره حَ، سَ: — مَ، نَ ١٢) من حَ، مَ، سَ: — نَ ‖ وذلك حَ، مَ، سَ: وذاك نَ ١٣) لا يسأل حَ، مَ، سَ: يسأل نَ ‖ يموه على حَ، مَ: موه على نَ: يموه سَ ‖ لي مَ، نَ، سَ (؟، سواد): الي حَ ١٤) وممن حَ، مَ، سَ: وهو نَ ‖ يلتفت حَ، نَ، سَ: التفت مَ ‖ منه حَ، مَ، سَ: من نَ ‖ هذا حَ، مَ، سَ: — نَ ‖ فهذا مَ، نَ: وهذا حَ، سَ ‖ حلي بأعمال: خلى من أعمال حَ، سَ: خلا من أعمال مَ، نَ ١٦) فلذلك حَ، مَ، سَ: — نَ ‖ يتلوثون مَ: ويتلوثون حَ، نَ، سَ ‖ مأكلتهم حَ، مَ، نَ: مكانتهم سَ

(١٤٨)

قال له القائل : فللخير إقبال ودولة ، ثم له إدبار ، وللشرّ إقبال ودولة ، فهذا أوان ذلك ، وجاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّه قال : لا يأتي عليكم زمان إلاّ والذي بعده شرّ منه ، سمعته من نبيّكم ﷺ ، فكيف يجوز أن يكون في هذا الوقت من له حظّ من الولاية والصدّيقيّة ؟

قال : إنّ الولاية والصديقيّة ليستا من الزمان في شيء ، وإنّ الوليّ والصدّيق حجّة الله على خلقه ، وغياث الخلق وأمانهم لأنّهم دعاة إلى الله على بصيرة ، فهم في وقت الحاجة أحرى أن يكونوا ، وقد بعث الله الرسل في الفترة والعمى ودولة الباطل حتى نعش الحقّ وزهق الباطل ، فلماذا يكبر في الصدور أن يكون في آخر الزمان من يوازي أوّلهم لحاجة الخلق إليهم؟ أَوَلم يقل عليّ بن أبي طالب في حديث كُمَيْل النخَعي : اللهمّ لا تخل الأرض من قائم لله بحجّة ، أولئك هم الأقلّون عددًا الأعظمون عند الله قدرًا ، قلوبهم معلّقة بالمحلّ الأعلى ، أولئك خلفاء الله في عباده وبلاده ، هاه ، شوقًا إلى رؤيتهم ، ثم بكى وقال : شوقاه .

(١٤٩)

وممّا يحقّق ما قلناه بديًّا ما حدّثنا به صالح بن عبدالله ، حدّثنا عيسى بن ميمون

---

٢) فللخير مَ ، نَ : وللمحمية حَ : وللخير سَ ‖ ثم مَ ، نَ : وإن حَ ، سَ ٣) والذى – ٤) بعده حَ ، مَ ، سَ : وبعده نَ ٤) أن يكون حَ ، مَ ، سَ : – نَ ٥) الصديقية حَ ، مَ ، سَ : الصديقة نَ (تحريف) ٦) وإن مَ ، نَ : ان حَ ، سَ ‖ الولى والصديق حَ ، نَ ، سَ : الصديق والولى مَ ٧) لأنّهم حَ ، مَ ، سَ : لأنه نَ ٩) وزهق حَ ، نَ ، سَ : وأزهق مَ ‖ فلماذا مَ : فماذا حَ ، نَ ، سَ ‖ أن حَ ، مَ ، سَ : وأن نَ ١٠) اليهم حَ ، مَ ، سَ : – نَ ‖ في حديث حَ ، مَ ، سَ : فيما يروى عنه نَ ‖ النخعى مَ ، نَ : – حَ ، سَ ‖ تخل مَ : تخلو حَ ، سَ : تجعل نَ ١١) لله حَ ، سَ : – مَ ، نَ ‖ هم سَ : – حَ ، مَ ، نَ ١٢) شوقًا مَ ، نَ ، سَ : واشواق حَ ‖ ثم – ١٣) شوقاه مَ : – حَ ، نَ ، سَ ١٥) قلناه حَ ، سَ : قلنا مَ ، نَ ‖ بديًا مَ ، نَ ، سَ : – حَ ‖ ما حدثنا – ١٢٠ ، ١) ﷺ مَ : ما حدثنا به صالح بن عبدالله المزنى من عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ حَ : ما قال رسول الله ﷺ نَ : ما حدثنا به صالح بن عبدالله المزني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ سَ

٣ – ٤) المعجم المفهرس ٢ ، ٣٤٣ ب

١٠) كميل ، قارن : ميزان ٣ ، ٤١٥ ، رقم ٦٩٧٨

١٥) صالح بن عبدالله ، قارن : H T 27. Nr.141 ‖ عيسى بن ميمون ، قارن : جرح ٣ ، ٢٨٧ ، رقم ١٥٩٥ ؛ ميزان ٣ . ٣٢٥ ، رقم ٦٦١٧ ؛ تهذيب ٨ ، ٢٣٥ ، رقم ٤٣٨

البصري عن بكر بن عبدالله المزني عن ابن عمر، قال، قال رسول الله ﷺ: مثل أمّتي مثل المطر لا يُدرَى أوّله خير أم آخره، وحدّثنا الحسن بن عمر بن الشقيق البصري، حدّثنا سليمان عن ابن طريف، عن مكحول، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: خير أمّتي أوّلها وآخرها وفي وسطها الكدر، وحدّثنا الفضل بن محمّد، حدّثنا إبراهيم بن الوليد بن سلمة الدمشقي، حدّثنا أبي عن عبدالملك بن عقبة الأوزاعي، عن أبي يونس مولى أبي هريرة، عن عبدالرحمن بن سمرة قال: جئت بشيرًا من غزوة مؤتة. فلمّا ذكرت قتل جعفر وزيد وابن رواحة بكى أصحاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: وما يبكيكم؟ قالوا: وما لنا لا نبكي وقد قُتل خيارنا وأشرافنا وأهل
الفضل منّا! فقال /: لا تبكوا! فإنّما مثل أمّتي مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتثّ ١٦٧ ب
رواكبها وهيّأ مساكنها وحلق سعفها فأطعمت عامًا فوجًا، ثم عامًا فوجًا، ثم عامًا فوجًا، فلعلّ آخرها طعمًا يكون أجودها قنوانًا وأطولها شمراخًا. والذي بعثني بالحقّ ليجدنّ ابن

---

٢) وحدثنا – ٤) ﷺ حَ. مَ. نَ: وقوله عليه السلام نَ ‖ بن الشقيق مَ: عن شقيق حَ، سَ ٣) حدثنا مَ: أخبرنا حَ، سَ ‖ عن ابن مَ: بن حَ، سَ ٤) وفي وسطها مَ، سَ: وافي اوسطها حَ: وبأوسطها نَ ‖ وحدثنا – ٦) قال حَ. مَ. سَ: وعن عبدالله بن سمرة نَ ٥) أبي عن مَ: ابي حَ: أبو سَ ‖ بن – الأوزاعي مَ (تصحيح في الهامش: في الصلب بن عطية الإفريقي): بن عمير الإفريقي حَ: الدمشقي بن عمير الإفريقي سَ
٦) سمرة م: ميسرة ح، س ‖ بشيرًا م: مبشرًا ح، س: – ن ٧) رسول الله ح، ن، س: النبي
٨) رسول الله م، ن: عليه السلام ح، س ‖ وما ح، س: ما م، ن ‖ قالوا م، ن: فقالوا ح، س ‖ وأشرافنا حَ. مَ. سَ: – نَ ٩) منا مَ، نَ: فينا حَ، سَ ‖ فإنّما مَ، نَ: إنّما حَ، سَ ‖ فاجتث سَ: فاجتنت حَ، مَ. نَ ١٠) مساكنها مَ، نَ: مسانيها حَ، سَ ‖ ثم عامًا فوجًا مَ، سَ: – حَ، نَ
١١) طعمًا حَ. مَ. سَ: – نَ

....

١) بكر بن عبدالله، قارن: تقريب ١. ١٠٦، رقم ١١٧؛ تهذيب ١، ٤٨٤، رقم ٨٨٩ ‖ المعجم المفهرس ٦. ٢٤١آ

٢) الحسن بن عمر، قارن: HT 23, Nr. 70

٣) سليمان، مجهول ‖ مكحول. قارن: أعلام ١، ٢٨٤

٤) قارن حلية ٢، ٧٨، ٧؛ وقارن: نوادر الأصول ١٥٦، أصل ١٢٢ ‖ الفضل بن محمد، قارن: H T 22, Nr. 58

٥) ابراهيم بن الوليد، قارن التعليق التابع ‖ الوليد بن سلمة. قارن: جرح ٢/٤، ١٦، رقم ٧٠ (الوليد بن مسلم)؛ تقريب ٢، ٣٣٦، رقم ٨٩؛ تهذيب ١١، ١٥١، رقم ٢٥٤ ‖ عبد الملك بن عقبة، مجهول

٦) أبو يونس، قارن: تقريب ٢، ٤٩٢، رقم ٤٦؛ تهذيب ٤، ١٦٦، رقم ٢٩٠ ‖ عبد الرحمن بن سمرة، قارن: أسد ٣، ٤٥٤، رقم ٣٣١٧

مريم في أمّتي خلفاء من حواريه ، حدّثنا عمر بن أبي عمر وحدّثنا محمّد بن أبي البشرى ، أخبرنا الوليد عن عيسى بن موسى الغسّاني ، حدّثنا أبو حازم عن سهل بن سعد ، — حدثنا أبي ، حدّثنا محمّد بن الحسن ، حدّثنا عبدالله بن المبارك ، حدّثنا ابن لهيعة ، — وحدّثنا أبي ، قال : حدّثنا إسماعيل بن سلمة القعنبي ، عن عبدالله بن وهب المصري ، عن ليث بن سعد ، عن سهل بن سعد ، قال ، قال رسول الله ﷺ : إنّ في أصلاب أصلاب أصلاب رجال من أصحابي رجالاً ونساءً يدخلون الجنّة بغير حساب ، ثم تلا قوله : ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ .

(١٥٠)

وحدّثني أبي ، قال ، حدّثنا محمّد بن أبي السري ، قال : أخبرنا الوليد عن عيسى بن موسى الغسّاني ، حدّثنا أبو حازم عن ابن عجلان أنّ رسول الله ﷺ قال : في كلّ قرن من أمّتي سابقون .

---

١) حدثنا – ٥) الله ﷺ مَ : حدثنا عمر بن أبي عمر ، ثنا محمّد بن أبي السرى ، نا السويد عن عيسى بن موسى الغساني ثنا أبو محازم عن سهل بن سعد قال قال رسول الله حَ ، سَ : وقال رسول الله ﷺ نَ ٥) أصلاب – ٦) اصلاب أصلاب حَ ، مَ : أصلاب اصلا أصلاب نَ (تحريف) : أصلاب أصلاب سَ ٦) من – رجالاً حَ ، مَ ، سَ : – نَ ‖ تلا – ٧) قوله مَ : تلا حَ ، نَ : تلى سَ ٧) وهو – ٨) العظيم حَ ، مَ ، سَ : – نَ ١٠) وحدثني – ١١) قال مَ : وحدثنا أبي رحمه الله قال حدثنا محمّد بن الحسين ثنا عبدالله بن المبارك أخبرنا ابن أبي لهيعة قال وحدثنا أيضًا أبي ، ثنا اسمعيل بن سلمة عن عبدالله بن وهب المصري عن ليث بن سعد عن ابي عجلان أن رسول الله ﷺ قال حَ ، سَ : وعنه عليه الصلوة والسلام أنّه قال نَ

....

١) عمر بن أبي عمر ، قارن : H T 28, Nr. 152 ‖ محمد بن أبي البشرى ، قارن : H T 22, Nr. 55

٢) الوليد ، قارن : ١٢٠ ، ٥ ‖ عيسى بن موسى ، قارن : جرح ٣ ، ٢٨٥ ، رقم ١٥٨٥ ؛ تهذيب ٨ ، ٢٣٤ ، رقم ٤٣٤ ‖ أبو حازم ، قارن : الوافي ١٥ ، ٣١٩ ، رقم ٤٤٩ ‖ سهل بن سعد ، قارن : أسد ٢ ، ٤٧٢ ، رقم ٢٢٩٣ ؛ تقريب ١ ، ٣٣٦ ، رقم ٥٥٥

٣) محمد بن الحسن ، قارن : H T 14, Nr. 25 ‖ عبدالله بن المبارك ، قارن : GAS 1,95, Nr. 13 ‖ ابن لهيعة ، قارن : GAS 1,94, Nr. 11

٤) اسماعيل بن سلمة ، مجهول ‖ عبدالله بن وهب ، قارن : تقريب ١ ، ٤٦٠ ، رقم ٧٢٨ ؛ تهذيب ٦ ، ٧١ ، رقم ١٤٠

٥) ليث بن سعد ، قارن : تقريب ٢ ، ١٣٨ ، رقم ٨ ؛ تهذيب ٨ ، ٤٥٩ ، رقم ٨٣٢ ؛

٧) – ٨) القرآن الكريم ٦٢/٣ – ٤

١٠) محمد بن أبي السري ، قارن : تقريب ٢ ، ٢٠٤ ، رقم ٦٦٥ ؛ تهذيب ٩ ، ١٨١ ، رقم ٢٦٩

١١) – ١٢) قارن حلية ١ ، ٨ ، ١٣

وإنّ أهل الدين على صنفين: فصنف منهم عمّال الله يعبدونه على البرّ والتقوى، فهم محتاجون إلى خير الزمان وإقباله ودولة الحقّ لأنّ تأييدهم من ذلك، وصنف منهم أهل اليقين يعبدون الله على وفاء التوحيد عن كشف الغطاء وقطع الأسباب واللوذان به، فهم غير ملتفتين إلى إقبال الزمان وإدباره، ولا يضرّهم إدباره، وهو قول رسول الله ﷺ: إنّ لله عبادًا يغذوهم برحمته، يحييهم في عافية ويميتهم في عافية ويدخلهم الجنّة في عافية، تمرّ بهم الفتن كقطع الليل المظلم لا تضرّهم، وقوله ﷺ: تكون في أمّتي فتن لا ينجو منها إلاّ من أحياه الله بالعلم، يعني العلم بالله فيما نرى، وقوله ﷺ: لا يزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ لا يضرّهم من ناوأهم حتى تقوم الساعة، وقوله ﷺ: لا يزال في أمّتي أربعون صدّيقًا، كلّما مات منهم رجل أبدل الله مكانه آخرَ، منهم ثلاثون رجلاً قلوبهم على قلب إبراهيم.

فأهل اليقين وحّدوا الله قلبًا وقولاً وفعلاً ووفوا له ذلك بشرح الصدور والنور الذي منّ الله عليهم به، كما قال: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾.

(١٥١)

قال له القائل: اشرح لنا هذين الصنفين بصفة وجيزة!

---

١) الدين مَ. نَ: هذا الدين حَ، سَ || على صنفين مَ، نَ: صنفان حَ، سَ || فصنف مَ، نَ: صنف حَ. سَ ٢) خير حَ. مَ. سَ: آخر نَ || منهم حَ، مَ، سَ: — نَ ٣) اليقين حَ، مَ. سَ: يقين نَ || به فهم مَ: فيهم حَ: فهم نَ. سَ ٤) ملتفتين حَ، مَ، نَ: ملتفتون سَ || إقبال حَ، مَ، سَ: — نَ || رسول الله مَ. نَ: النبي حَ. سَ ٥) برحمته حَ. سَ: رحمته مَ: في رحمته نَ || يدخلهم حَ. مَ. سَ: يدخلون نَ ٦) تكون حَ. مَ. سَ: — نَ || لا مَ: ولا حَ، سَ: فلا نَ ٧) يعني — بالله حَ. نَ. سَ: — مَ ٨) ظاهرين على الحق حَ. سَ: ظاهرين مَ: — نَ || ناوأهم حَ. مَ. سَ: مواهم نَ (تحريف) ٩) رجل حَ، مَ. سَ: رجلاً نَ || أبدل مَ: بدل حَ، نَ، سَ || مكانه آخر حَ. مَ: بدله آخر نَ: مكانه رجلاً آخر سَ ١٠) قلوبهم حَ. سَ: — مَ، نَ ١١) فأهل اليقين مَ. نَ: وهم أهل اليقين حَ. سَ || ووفوا له مَ، نَ: — حَ، سَ || بشرح مَ، نَ: لشرح حَ، سَ || الذي حَ. نَ. سَ: — مَ ١٢) عليهم به حَ. سَ: عليهم بذلك مَ: عليه بذلك نَ || فهو — ربه حَ، مَ، سَ: الآية نَ ١٤) القائل مَ: قائل حَ، نَ، سَ || اشرح لنا مَ. نَ: صف لنا حَ: صف سَ

....

٤) — ٦) قارن الأولياء ١٠١. مادة ٢–٣؛ حلية ١. ٦. — ٧

٧) — ٨) المعجم المفهرس ٧. ١٥آ

٨) — ١٠) قارن: الأولياء ١١٤. مادة ٥٧؛ حلية ١. ٩؛ ١

١٢) القرآن الكريم ٢٢/٣٩

قال : أمّا الصنف الأوّل ، فإنّهم عرفوا الله معرفة التوحيد فاعترفوا له باللسان وقبلوا العبودة ، ثم جاءت الشهوات فغلبت على القلوب ، فوقعوا في التخليط ، فسقم القلب بما فيه من الإيمان ، فلم تطمئنّ نفوسهم في شأن الرزق ولم تنشرح صدورهم لتدبير الله لهم في الأحوال على حفظ الجوارح حتى تستقيم لهم تقواهم ويؤدّون الفرائض ، فهذا دأبهم ، وفي صدورهم عجائب من دواهي النفس من الرغبة والرهبة والحرص والشحّ والحسد والكبر والبغي والحقد والغلّ وحبّ الثناء والعزّ والرياسة والتجبّر وطول الأمل والاقتدار في الأمور .

والآخرون عطف الله عليهم فقذف بالنور في صدورهم ، فانفلق الحجاب وانكشف الغطاء ، وهو قوله : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ ، فشرح صدورهم ، فهم على نور من ربّهم ، فنفى هذا كلّه من صدورهم وطهّرهم ، فبقيت قلوبهم وصدورهم ممتلئة من عظمة الله وجلاله ، واطمأنّوا إليه ووثقوا به في كلّ حال ، ودقّت أحوال الدنيا عندهم فهم في احتساب مشيئات النفس إعظامًا لجلال الله ، فالله كهفهم ومعتمدهم ، وهم أهل المراقبة لتدبيره ومشيئاته ، فأنَّى يلتفتون إلى هذا الزمان وأهله؟ وماذا تضرّهم الفتن وسوء الزمان وإنَّمَا تقوم الأرض بهم ، فيكون هؤلاء في آخر الزمان أحرى ليكونوا قوام الأرض وغياث أهلها .

---

١) التوحيد م ، ن : توحيد ح ، س ‖ له ح ، م ، س : – ن ٢) العبودة م : العبودية ح ، س : العبادة ن ٣) تنشرح ح ، م ، س (؟ ، سواد) : تشرح ن ‖ لتدبير ح ، س : بتدبير م ، ن ‖ لهم م ، ن : – ح ، س ٤) على م ، ن : فهم على ح ، س ٥) وفي م ، ن : في ح ، س ‖ من م ، ن : مثل ح ، س ‖ الحرص م ، ن : الحقد ح ، س ‖ الشحّ م ، ن : الغل ح ، س ٦) والكبر – والغل م : – ح ، س : والكبر والبغي ن ‖ الثناء م ، ن : النساء ح ، س ‖ والرياسة ح ، م ، س : في الرياسة ن ‖ والتجبّر ح ، م : – ن : التجبّر س ٨) بالنور م : النور ح ، ن ، س ‖ فانفلق – ٩) صدورهم ح ، م ، س : – ن ١٠) كله م ، ن ، س : من كله ح ‖ وطهرهم م ، ن : وظهورهم وصفى قلوبهم ح ، س ‖ فبقيت – وصدورهم م : فصدورهم ح ، س : وبقيت قلوبهم وصدورهم ن ١١) وجلاله ح ، م ، س : – ن ‖ عندهم – ١٢) احتساب م : واحتسابات ح ، س : عندهم واكتساب ن ١٢) مشيئات م ، ن : مشتهيات ح ، س ١٣) هذا م : – ح ، ن ، س ‖ وماذا ن : ولا ح ، س : وماذي م ١٤) فيكون – ١٥) الأرض م ، ن : – ح ، س ‖ فيكون م : يكون ن ١٥) وغياث م ، ن : وهم غياث ح ، س

....

٩) القرآن الكريم ١/١١٣

(١٥٢)

وقد وصف الله في كتابه شأن الفيء، فذكر المهاجرين فشهد لهم بصدق الإيمان، فقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، وذكر ﴿الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾. وهم الأنصار، ووصفهم بالإيثار على أنفسهم وبالبراءة من الشحّ والحسد. ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾. فكلّ من جاء على سبيلهم من بعدهم إلى انقضاء الدنيا فهم المذكورون بالمجيء. فقد جعل الله أيديهم في الفيء شرعًا سواءً. والفيء طعمة أكرم الله بها هذه الأمّة دون الأمم.

ووصف أيضًا شأن السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان، ثم أوجب لهم الرضى، فجعلهم في الرضى عنه شرعًا سواءً، أَوَما جاءنا عن رسول الله ﷺ أنّه قال: إنّ أهل الجنّة ليتراءون أهل الغرف كما يُرَى الكوكب الدريّ في أفق السماء، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء فمن يبلغها؟ فقال رسول الله ﷺ: بل أولئك رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين.

(١٥٣)

قال له القائل: فهل يجوز أن يكون في هذا الزمان من يوازي أبا بكر وعمر؟ فقال: إن كنت تعني في العمل فلا، وإن كنت تعني في الدرجات فغير مدفوع،

---

٢) كتابه ح. م. س: تنزيله ن ‖ لهم م. ن: لهم ووصفهم ح، س ٣) وذكر م، ن: وذلك ح، س ‖ تبوؤا ح. ن، س: تبوأ م ٤) يحبون – اليهم م: – ح، ن، س ‖ وهم الأنصار م: – ح. ن. س ‖ بالإيثار ح. م. س: بالاثبات ن (تحريف؟) ٥) ثم قال ح، م، س: وقال ن ‖ على – ٦) بعدهم م، ن: من بعدهم على سبيلهم ح: بعدهم على سبيلهم س ٦) الى م، ن: على ح، س ‖ الله م. ن: – ح. س ٧) بها م: – ح، ن، س ٨) شأن م: – ح، ن، س ‖ من المهاجرين م، ن: والمهاجرين ح. س ‖ ثم – ٩) أوجب م: بما وجب ح، س: من أوجب ن ٩) لهم الرضى م، ن: الله لهم من الرضى ح. س ‖ فجعلهم في ح. م، س: فجعل ن ‖ عنه م، س: عنهم ح، ن ‖ سواء م. ن: واحدًا ح. س ‖ أو ما ح. م: وما ن، س ١٠) أنّه قال م، ن: – ح، س ١١) فمن يبلغها م: فلا نبلغها ح. ن. س ‖ رسول الله م، ن: – ح. س ‖ بل م، ن: – ح. س ١٤) القائل م: قائل ح، ن، س ‖ أبا ح. م. س: أبي ن ١٥) فقال م. ن: قال ح، س ‖ العمل ح، م، س: الفضل ن

....

٣) القرآن الكريم ٨/٥٩ ‖ ٣) – ٤) القرآن الكريم ٩/٥٩
٥) القرآن الكريم ١٠/٥٩
١٠) – ١٢) المعجم المفهرس ٢، ٢٠٤ آ؛ وقارن: نوادر الأصول ٢٧٣، أصل ٢٢٩

وذلك أنّ الدرجات بوسائل القلوب وقسمة ما في الدرجة بالأعمال ، وما الذي خزن رحمة الله عن أهل هذا الزمان حتى لا يكون فيهم سابق ولا مقرّب ولا مجتبى ولا مصطنع ؟ أوَليس كائن المهديّ في آخر الزمان؟ فهو في الفترة يقوم بالعدل فلا يعجز عنها ، أوَليس كائن في آخر الزمان من له ختم الولاية ؟ وهو حجّة الله على جميع الأولياء يوم الموقف . وكما أُخِّر محمّد ﷺ فجُعِل آخر الأنبياء وأُعطي ختم النبوّة ، وهو حجّة على جميع الأنبياء . فكذلك هذا الوليّ في آخر الزمان .

(١٥٤)

قال له القائل : فأين حديث رسول الله ﷺ : خرجتُ من باب الجنّة فأتيت الميزان فوُضعت في كفّة وأمّتي في كفّة فرجحت بهم ، ثم وُضع في مكاني أبو بكر ، فرجح بالأمّة . ثم وضع مكان أبي بكر عمر فرجح بالأمّة؟

١٦٨ أ قال : هذا وزن الأعمال لا وزن ما في / القلوب ، أين يُذهَب بكم يا عجم؟ ما هذا إلاّ من غباوة أفهامكم ! ألا ترى أنّه قال : خرجتُ من باب الجنّة؟ فالجنّة للأعمال لا للدرجات . والدرجات للقلوب ، والوزن للأعمال لا لما في القلوب ، إنّ الميزان لا يتّسع لما في القلوب . فالميزان عدله وما في القلوب عظمته . فكيف تُوزَن العظمة؟ فقد جاء في الخبر أنّ العبد يتحيّر عند الميزان فيقول له المَلِك : هل تفقد شيئًا من عملك؟ فيقول :

---

١) الدرجة م : الدرجات ح ، ن ، س ‖ وما م ، ن : فمن ح ، س ٢) حتى ح ، م ، س : — ن ‖ سابق ح ، م ، س : صديق ن ٣) مصطنع م (تصحيح في الهامش ، في الصلب : مطيع) : مصطفى ح ، ن ، س ‖ كائن المهدي م : المهدى كائنًا ح ، ن ، س ‖ فهو — بالعدل ح ، م ، س : — ن ‖ فلا — ٤) عنها ح ، س : — م ، ن ٤) أوَليس كائن ح ، م ، س : — ن ‖ في آخر الزمان م : في الزمان ح ، س : — ن ‖ الولاية ح ، م ، ن : الولاية الأولياء س (كذا) ‖ وهو حجّة ح ، ن ، س : وحجة م ٥) وكما — محمد م ، ن : كما أن محمدًا ح ، س ‖ فجعل م ، ن : — ح ، س ‖ وأعطي م : فأعطي ح ، ن ، س ‖ وهو م ، ن : فهو ح ، س ٦) فكذلك — الزمان م ، ن : فلذلك هذا كذلك هذا الذي هو آخر الأولياء في آخر الزمان ح ، س ٨) القائل ح ، م ، س : قائل ن ‖ فأين ح ، م ، س : أفليس ن ‖ الميزان ح : بالميزان م ، ن : الذان س (تحريف) ٩) بهم م ، ن : بالأمّة ح ، س ‖ في — بكر م : أبو بكر مكاني ح ، ن ، س ١٠) مكان — عمر م : عمر مكان أبو بكر ح (كذا) : عمر مكان أبي بكر ن ، س ١١) قال م ، ن : فقال ح ، س ١٢) أنه قال م : أنه يقول ح ، س : أن يقول ن ‖ لا — ١٣) للدرجات م (بالهامش) : — ح ، ن ، س ١٤) فكيف م ، ن : وكيف ح ، س ‖ فقد م : وقد ح ، ن ، س ١٥) العبد س : العقد ح (تحريف؟) : الرجل م ، ن ‖ فيقول ن : قال ح ، م : فقال س

....

٨) — ١٠) المعجم المفهرس ٢ : ٢١٩ ب

بلى! شهادة أن لا إله إلاّ الله، قال: إنّها أعظم من أن توضع في الميزان.

(١٥٥)

فإنّما تقدّم الأنبياء الخلق بالنبوّة لا بالأعمال، والأولياء بالصدّيقيّة لا بالأعمال، وإنّمَا تقدّم محمّد ﷺ سائر الأنبياء بما في قلبه لا بالأعمال، فقد كان عمره يسيرًا، فلو كان بالأعمال لكان عمل عشرين سنة ممّا يدقّ في جنب عمر نوح، فإنّمَا رجح ميزان أبي بكر بالعمل لأنّه عمل في الردّة ما لم يلحقه أحد، ولم يكن بعده ردّة كمثلها إلى يومنا هذا فيُعمَلَ مثل عمله، فبه ردّ الله الإسلام على الأمّة، فهذا فعل يوازي عمل الأمّة أجمعين ويزيد، أوَ لم يقل رسول الله ﷺ: من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده إلى يوم القيامة، فلمّا عمل في الردّة ما عمل كان له كعمل الأمّة كلّها إلى آخرها، والزيادة عمله بنفسه، ولذلك رجح على الأمّة.

(١٥٦)

ثم لم يجد مهلة حتى يبوأ الإسلام ويمهّد ويصفّي ويوضّح السنن ويمصر الأمصار، فقد فعل ذلك عمر، ردّه أبو بكر وبوّأ له عمر حتى ورد الخلق من بعدهما على أوضع منهاج وأوضحه، فهذا عمل ليس لأحد إلى مثله سبيل، لأنّه لم يكن للإسلام إلى يومنا هذا ردّة أو غربة كما كان بديًّا في وقتها، ألا ترى أنّه لم يجئ في الخبر أنّه وزن غيرهما،

---

١) شهادة ح، ن، س: شهادة الله م ٣) فإنما م، ن: وإنما ح، س ‖ بالأعمال ح، م، س: بالعمل ن ٤) محمد ح، ن، س: — م ‖ فلو م: ولو ح، ن، س ٥) عمل ح، م، س: عمره ن ‖ مما م، ن: — ح، س ‖ فإنما م: وإنما ح، ن، س ٦) أبي م، ن، س: أبو ح ‖ أحد ن: — ح، س: بعد م ‖ كمثلها ح، ن، س: كمثلنا م ٧) فبه ح، س: فقد م، ن ‖ فعل م، ن: فضل ح، س ٨) أجمعين م، ن: — ح، س ‖ أجر ح، م، س: أجور ن ٩) بعده — القيامة م: — ح، س: بعده ن ‖ كعمل ح، م، س: بعمل ن ١٠) والزيادة ح، م، س: فالزيادة ن ‖ بنفسه م، ن: لنفسه ح، س ‖ لذلك ن: كذلك ح، م، س ‖ على م، ن: عمله عمل ح، س ١٢) يبوأ ح، س: يبول م (تحريف): سوى ن ‖ ويمهد ح، م، س: وجهه ن (تحريف) ‖ ويصفى ح، س: — م، ن ‖ ويوضح السنن ح، م، س: ويصح السنين ن (تحريف) ١٣) فقد فعل م: ففعل ح، ن، س ‖ بعدهما ح، ن، س: بعدهم م ‖ أوضع — ١٤) أوضحه ح، س: نورهم منهل واضحة م (كذا): أعذب منهل وأوضحه ن ١٤) الى مثله سبيل م، ن: وصول إلى مثله ولا سبيل ح، س ‖ لأنّه ح، م، س: انه ن ‖ للإسلام — ١٥) هذا ح، ن، س: الى يومنا هذا الإسلام م ‖ بديًّا م، ن: — ح، س ‖ في وقتها ح، س: عن وقتها م، ن

أفلم يكن في الأمّة عثمان وعليّ؟ فهل ذكر أنّهما وُزنا مع الأمّة؟ ذلك ليُعلَم أنّهما وجدا أمرًا مفروغًا منه، فردّه أبو بكر وبوّأ له عمر، فلم يبق لعثمان وعليّ إلا التمسّك به، فجميع من بعد أبي بكر وعمر على حياله، كلّ يتمسّك على قدره.

ألا ترى أنّ المهديّ في تلك الفترة إذا قام بالعدل وطمس الجور يلحقهما في العمل؟ ولذلك قال أنس بن مالك: ليس لعاملٍ زمان خير من زمانكم هذا إلاّ أن يكون مع نبيّ. فهذا في وقت غربة الحقّ أفضل، وكذلك قال رسول الله ﷺ: طوبى للغرباء! قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون عند فساد الناس.

(١٥٧)

فأمّا تفاضل اليقين ووصول القلوب إلى الله فغير مدفوع أن يكون لمن بعدهما مثلهما أو أكثر منهما، ورُوي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: إنّ أهل الغرف ليُرَون في أعلى الدرجات كما يُرى الكوكب الدريّ في الأفق وإنّ أبا بكر وعمر منهم وأُنعِمَا، أفليس قد صيّرهما من أهل الغرف، وأهل الغرف هم أهل عليّين، وهم المقرّبون، وقد وصفهم الله في تنزيله فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، إلى قوله:

---

١) عثمان وعلي ح، م، س: على وعثمان ن ‖ أنهما وزنا م، ن: أنه وزنهما ح، س ‖ ذلك م، ن: وذلك ح، س ‖ أنهما وجدا م، ن: أنهم وجدوا ح، س ٢) منه ح، ن، س: — م ‖ فردّه ح، م، س: قدره ن ‖ لعثمان ح، ن، س: بعثمن م ‖ إلا ح، ن، س: — م ‖ به ح، ن، س: له ٣) بعد ح، ن، س: بعدهم م ‖ كل ح، س: — م، ن ‖ يتمسك م، ن، س: متمسّك ح ٤) أن المهدى م، ن: — ح، س (؟ سواد) ‖ الفترة م، ن: الفتن ح، س ‖ قام م: قام أحد ح، س: أقام ن ‖ يلحقهما ح، ن، س: ويلحقهما م ‖ العمل م: الفضل ح، ن، س ٥) ولذلك — مالك م: كذلك أنس قال ح، س: وكذلك قال أنس بن مالك ن ‖ ليس ح، س: — م، ن ٦) فهذا ح، م، س: هذا ن ٧) يا رسول الله م: — ح، ن، س ٩) فامّا ح، م، س: فإنما ن ‖ اليقين ح، م، س: القلوب ن ‖ القلوب م، ن: القلب ح، س ‖ فغير ح، م، ن: غير س ‖ بعدهما ح، م، س: بعدها ن ‖ مثلهما ح، م، س: مثلها ن ١٠) منهما ح، م، س: منها ن ‖ النبي م: رسول الله ح، ن، س ‖ أعلى ح، م، س: أعالي ن ١١) في ح، م، س: الذي في س ‖ الأفق ح، م، س: أفق السماء ن ‖ وأنعما م، ن: — ح: فأنعما س ‖ أفليس ح، ن، س: فليس م ‖ قد م، ن: — وقد ح، س ١٢) من أهل الغرف ح، م، س: — ن ‖ وهم م، ن: فهم ح، س ١٣) هونا ح، م، س: — ن ‖ الى — ١٢٨، ١) صبروا م: الآية ح: الى — ١٢٨، ١) أولئك — صبروا ن: إلى آخر الآية س

....

٦) — ٧) المعجم المفهرس ٤، ١٧٠آ

١٠) — ١١) المعجم المفهرس ٦، ٤٩٢آ

١٣) القرآن الكريم ٢٥/٦٣

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ ، فهل أُخبر في الكتاب أو في الخبر عن رسول الله ﷺ أنّ أهل الغرف كائن في أوائل الأمّة لا في أواخرها؟ فإنّمَا وصف أهل الغرف بما يعقل من ظاهر أموره ، وإنّمَا نالوها بما في باطنهم ، ألا ترى أنّه قال : ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ ، فإنّمَا يصبر على هذه الأخلاق والآداب والهنات من ملأ قلبه معرفةً به وشرح صدره بنوره وأحيا قلبه به ، والصبر الدوام والثبات على الشيء ، فهل يكون ذلك إلاّ ممّن يكون مشحونًا بما ذكرنا؟

(١٥٨)

وفيما رُوي عن وهب بن منبّه أنّ المَلَك الذي كلّم عُزيرًا قال له : يا عزير ، إنّ الله تعالى كلّل حكمه بالعقل وجعل له زينة ونظامًا ، فليس لزمان عنده فضيلة ولا لقوم عنده أثرة ، إنّما فضيلته وأثرته لأهل طاعته حيث كانوا ومتى كانوا ومن أين كانوا.

وإنّ الله وصف هذه الأمّة في تنزيله فقال : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ ، فذكر عن كعب عن التورية أنّ أمّة محمّد ﷺ صفوة الرحمن ، فجعلهم على ثلاثة أقسام : ظالم ومقتصد وسابق ، ثم قال : ﴿ذَلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ﴾ ،

---

١) أو في م ، ن : أو ح ، س ٢) كائن ح ، م ، س : كانوا ن ‖ أوائل ح ، م ، س : أول ن ‖ أواخرها ح ، س : آخرها م ، ن ٣) ظاهر م ، ن ، س : ظواهر ح ‖ بما ح ، م ، س : — ن ٤) من م ، ن الا من ح ، س ٥) به ح ، م ، س : — ن ٦) ممن م : لمن ح ، س : من ن ‖ يكون ح ، س : — م ، ن ‖ مشحونًا : مشحون ح ، ن ، س : مشحونة م ‖ ذكرنا م ، ن : ذكرناه ح ، س ٨) فيما روي م ، ن : مما ذكر ح ، س ‖ أنّ ح ، م ، س : — ن ‖ قال له يا عزير ن : قال له عزير ح ، س : — م ٩) كلل ح ، م ، س : محلل ن (تحريف) ‖ حكمه م ، ن : حلمه ح ، س ‖ بالعقل ح ، م ، س : بالعرف ن ‖ وجعل ح ، م : أو جعله ن : وجعله س ١٠) كانوا ح ، م ، س : كان ن ‖ كانوا ح ، م ، س : كان ن ‖ من اين ح ، م ، س : أين ن ١١) الذين ح ، م : الذي ن ، س ١٢) عن ح ، م ، س : — ن ‖ التورية م ، ن : التورات ح : التوارية س (تحريف) ‖ فجعلهم ح ، م ، س : فحملهم ن ١٣) أقسام ح ، س : — م ، ن ‖ ذلك ح ، ن ، س : — م

....

١) القرآن الكريم ٧٥/٢٥
١١) – ١٢) القرآن الكريم ٣٢/٣٥
١٢) كعب الأحبار ، قارن :
١٣) القرآن الكريم ٣٢/٣٥

فالسابق نال الفضل الكبير، وفي كلّ قرن سابقون إلى آخر الزمان وحظّهم الذي سبق لهم من الله واصِلٌ إليهم في كلّ وقت وزمان.

فما أدرى هذا الزاعم بقلّة علمه أن لا يكون لآخر حَظّ مثل حظّ أبي بكر وعمر؟ هل آيس الله الخلق من بعدهما من ذلك أو خزن رحمته إلاّ عنهما؟ وإنّمَا يذهب إلى هذا الزعم من قد خفي عليه شأن القلوب مع الله وشخصت عيناه إلى حركة جوارحه، وقد عظم ذلك في عينه وأعجب به فصار معتمده.

(١٥٩)

بل كائن في هذه الأمّة من يعرف مقَاوِمَهم وحظوظهم من ربّهم لأنّ معرفة ذلك إنّما يغترفها من بحر المعرفة، وأرواح الصدّيقين متعارفة، وقلوبهم في المحلّ لديه مؤتلفة، عارفة بعضها بعضًا في المقاوم، فإنّما يعرف حظّ أبي بكر وعمر من الله بحظّ نفسه من الله، وكان أبو بكر حظّه من ربّه في ملك العظمة، وعمر حظّه من ربّه في ملك الجلال، وعليّ حظّه من ملك القدس.

قال له القائل: فما تلك الحظوظ؟

قال: حظّ أبي بكر الحياء، ألا ترى أنّه قال: إنّي لأدخل الكنيف فأقنع رأسي حياءً من الله، وحظّ عمر الحقّ، ألا ترى أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الله ضرب الحقّ على لسان عمر وقلبه، وحظّ عليّ المحبّة، ألا ترى إلى جوامع خطبه وحسن ثنائه على ربّه، والرسول ﷺ مقامه في ملك الملك بين يديه وحظّه منه وحدانيّته، ولا ينقضي

---

١) فالسابق – الكبير مَ : – حَ ، نَ ، سَ ٢) واصل حَ ، سَ : واوصل مَ ، نَ ٣) أن لا مَ ، نَ ، سَ : الا أن حَ || لآخر مَ : لأحد حَ ، نَ ، سَ || حظ حَ ، نَ ، سَ : حظًا مَ || مثل حظ مَ ، نَ : مثل حَ ، سَ ٤) آيس حَ ، نَ ، سَ : اياس مَ ٥) قد مَ : – حَ ، نَ ، سَ || حركة مَ : حركات حَ ، نَ ، سَ ٦) ذلك حَ ، مَ ، سَ : – نَ ٨) مقاومهم مَ ، نَ : مقاماتهم حَ ، سَ ٩) يغترفها : يغترفه حَ ، مَ ، سَ : تعرف نَ || متعارفة مَ ، نَ : متقاربة حَ ، سَ || لديه حَ ، مَ ، سَ : – نَ ١٠) المقاوم حَ ، مَ ، نَ : مقام سَ ١١) نفسه من الله حَ ، مَ ، سَ : نفسه نَ || من ربّه مَ ، نَ : – حَ ، سَ ١٣) القائل حَ ، مَ ، سَ : قائل نَ ١٤) قال حَ ، مَ ، سَ : فقال نَ || الا – أنه مَ ، نَ : – حَ ، سَ || إني حَ ، نَ ، سَ : – مَ || لأدخل حَ ، مَ ، سَ : لا أدخل نَ || رأسي مَ ، نَ : على رأسي حَ ، سَ ١٥) أن – قال مَ : الى قول رسول الله ﷺ حَ ، نَ ، سَ || ١٧) وحظّه حَ ، نَ ، سَ : وحظ مَ || وحدانيّته حَ ، مَ ، سَ : واحدانيته نَ (تحريف)

الدهر حتى يأتي الله بخاتم الأولياء ، وهو القائم بالحجّة ، فيكون مقامُه أقرب المقاوم من محمّد ﷺ في ملك الملك ، وحظّه منه الفرديّة .

(١٦٠)

فلم يخف علم هذا على من فُتح له في الغيب علم البدء والمقادير والحظوظ ومقاوم الأنبياء ، وإنّما يكبر قبول هذا على من عمي بصره عن هذا وانطبقت عليه حجب الشهوات ، وكيف تأمّل درك هذا من لم يسقط عن قلبه حبّ الجاه وأحوال العزّ ولذّة الرياسة / وخوف سقوط المنزلة عن القلوب ، ولم يرفع باله عن نفسه ولم يتخلَّ من مشيئاته ١٦٨ ب
وإراداته ، فهيهات ! هذه عقبة لا يقطعها إلاّ من أخذ الله بيده فولي شأنه حتى صيّره من وراء ظهره ، ثم مكّن له بين يديه بجود جلاله وكرمه .

حدّثنا المؤمّل بن هشام ، حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن غالب القطّان ، عن بكر ابن عبد الله المزني قال : لم يفضل أبو بكر الناس بكثرة صوم ولا صلاة ، إنّما فضلهم بشيء كان في قلبه .

حدّثنا أبي رحمه الله ، حدّثنا الحسن بن سوّار عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : لم يغلب عمر الناس بالعمل إنّما غلبهم بالزهد والصبر . حدّثنا أبي رحمه الله ،

---

١) – ٢) أقرب المقاوم من محمد ﷺ في ملك الملك ن : المقاوم – الملك م : أقرب المقامات ح ، س
٢) حظه منه ن : حظه ح ، س : حظ م ٤) علم م ، ن : – ح ، س ‖ على ح ، م ، س : – ن ‖ له – البدء م : الله له علم الغيب ح ، س : له في السبب علم البدو ن ‖ المقادير ح ، م ، س : المعاذ (تحريف) ن
٥) وإنّما ح ، م ، ن : فإنما س ‖ قبول م ، ن : قول ح ، س ‖ حجب – ٦) الشهوات م ، ن : حجبه بالشهوات ح ، س ٦) تأمل م ، ن : ينال ح ، س ‖ العز م ، ن ، س : العزة ح ٧) من مشيئاته م : مشيئاته ح : عن مشيئاته ن : شهواته س ٨) إراداته ح ، س : إرادته م ، ن ‖ فهيهات م : هيهات ح ، ن ، س ‖ صيره ح ، م ، س : بصيره ن ٩) ظهره م ، ن : ظهر ح ، س ‖ بجود جلاله ح ، س : – م : بجلاله ن
١٠) حدثنا – ١١) قال ح ، م ، س : ويروى عن أبي بكر بن عبدالله ن ١١) صوم – صلاة م ، ن : صومه ولا صلاته ح ، س ‖ فضلهم م ، ن : فضلكم ح ، س ١٢) كان م ، ن : – ح ، س
١٣) حدثنا – ١٤) قال ح ، م ، س : وعن الحسن رحمه الله ن ‖ حدثنا – الله م : – ح ، س ‖ حدثنا م : وحدثنا ح ، س ١٤) الناس بالعمل ح ، م ، س : بالفضل ن ‖ حدثنا – ١٣١ ، ٢) ﷺ ح ، م ، س : وبإسناده عن رسول الله ﷺ ن ‖ حدثنا – الله م : – ح ، س

---

١٠) المؤمّل بن هشام ، قارن : H T 24, Nr. 94 ‖ إسماعيل بن إبراهيم ، قارن : تهذيب ١ ، ٢٧٥ ، رقم ٥١٣ ‖ غالب القطّان ، قارن : تقريب ٢ ، ١٠٤ ، رقم ٣ ؛ تهذيب ٨ ، ٢٤٢ ، رقم ٤٤٤
١٣) الحسن بن سوار ، قارن : H T 13, Nr. 13 ‖ المبارك بن فضالة ، قارن : تقريب ٢ ، ٢٢٧ ، رقم ٩٠٤ ؛ تهذيب ١٠ ، ٢٨ ، رقم ٥٠

حدّثنا عبدالله بن عاصم الحمّاني ، حدّثنا صالح المزني عن أبي سعيد أو غيره ، قال ، قال رسول الله ﷺ : إنّ بدلاء أمّتي لم يدخلوا الجنّة بكثرة صوم ولا صلاة ، إنّما دخلوها بسلامة الصدور وسخاوة الأنفس وحسن الخلق والرحمة لجميع المسلمين.

وقد كان في زمن رسول الله ﷺ بلال الحبشي ، فوصفه رسول الله ﷺ بما وصفه بأنّ قلبه معلّق بالعرش ، وأنّه أحد السبعة الذين بهم تقوم الأرض ، بل هو خيرهم – حدّثنا بذلك داود بن حمّاد العبسي ، عن عبد العزيز بن أبي رواد ، رفعه إلى رسول الله ﷺ .

أفلم يكن بلال في الأمّة حيث وُزنوا ، فكيف يرجحهم أبو بكر وبلال خير السبعة الذين بهم تقوم الأرض ، ذلك ليُعلَم أنّ الوزن هناك للأعمال لا لِما في القلوب ، والوسائل غدًا عند الله بالقلوب والسبق لها.

(١٦١)

وممّا يدلّ على تحقيق ما قلنا أنّ النبيّ ﷺ حين شبّه ، إنّما شبّه أبا بكر بميكائيل وعمر بجبريل ، وشبّه أبا بكر أيضًا بإبراهيم وعمر بنوح ، وقال : لو كان بعدي نبيّ لكان

---

١) عاصم الحماني م : عاصم حدثنا الحماني ح ، س ‖ أو غيره م : الخدرى ح ، س ٢) لم يدخلوا م ، ن : لا يدخلون ح ، س ٣) سخاوة م ، ن : سخاء ح ، س ٤) زمن م : زمان ح ، ن ، س ‖ بلال س : هلال ح ، م ، ن ‖ وصفه م ، ن : وصف ح ، س ‖ بان م : أن ح ، ن ، س ٥) حدثنا – ٦) رواد م : حدثنا بذلك داود بن عمار القيسي عن عبد الحميد بن العزيز بن أبي داود ح : حدثنا بذلك عمار بن داود العبسي... س : – ن ٦) رفعه – ﷺ ح ، م ، س : – ن ‖ رسول الله م : النبي ح ، س ٧) أفلم م : فلم ح ، س : ولم ن ‖ بلال س : هلال ح ، م ، ن ‖ حيث م ، ن : حين ح ، س ‖ بلال ح ، س : هلال م ، ن ‖ خير ح ، م ، س : – ن (بياض) ٨) الذين ح ، م ، س : الذي ن ‖ ذلك م ، ن : إنما ذلك ح ، س ‖ هناك ح ، م ، س : هاهنا ن ‖ للأعمال ح ، ن ، س : – م ٩) لها : لهم ح ، م ، ن ، س ١١) تحقيق م : – ح ، ن ، س ‖ أن – شبه م : حين شبه رسول الله ﷺ ح ، س : حين شبهه رسول الله ﷺ ن ‖ إنما : إنها م ‖ بميكائيل – ١٢) بجبريل ح ، م ، س : – ن ١٢) وشبه – أيضا ح ، س : وشبه أبا بكر م : أيضًا ن ‖ نبي م ، س : نبيًّا ح ، ن

....

١) عبدالله بن عاصم . قارن : H T 19, Nr. 5 ‖ صالح المزني ، قارن : تقريب ١ ، ٣٦٠ ، رقم ٢٢ ؛ تهذيب ٤ ، ٣٩١ ، رقم ٦٥٨ ‖ أبو سعيد ، هو أبو سعيد الخدري

٢) – ٣) قارن : الأولياء ١٠٢ ، مادة ٨

٤) بلال الحبشي ، قارن : EI

٦) داود بن حماد ، قارن : H T 22, Nr. 56 ‖ عبد العزيز بن أبي رواد ، قارن : تقريب ١ ، ٥٠٩ ، رقم ١٢٢١ ؛ تهذيب ٦ ، ٣٣٨ ، رقم ٦٥٠

١٢) – ١٣٢ . ١ . قارن : ٥٥ : ٧

عمر ، فمنزلة عمر قريبة من منزلة أبي بكر ، فكيف يجوز أن يرجحه أبو بكر وهو مع جميع الأمّة؟

حدّثنا رزق الله بن موسى البصري ، قال : أخبرنا معن بن عيسى ، حدّثنا مالك بن أنس ، عن صفوان بن أبي سليم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ : إنّ أهل الجنّة ليتراءون أهل الغرف كما يرى الكوكب الدريّ في أفق السماء ، قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء تبلغها الأمم؟ فقال : بلى والذي نفسي بيده : رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين.

وتصديق ذلك قوله تعالى : ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ ، فهذا للسابقين ، عرضها كعرض السماء والأرض ، وذلك أنّ السماء إذا طويت ونشرت الجنان ، جذبت جذبًا إلى الهواء الذي كانت فيه السموات والأرض ، وأمّا جنّة السابقين فإنّها تجذب في الهواء الذي فوق السموات في حدود العليّين إلى العرش ، لأنّ العرش على طرف الهواء ، فلذلك قال : ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ، وهذه عرضها السموات.

---

١) فكيف م ، س : وكيف ح ، ن ‖ أبو بكر ح ، ن ، س : – م ٣) حدثنا – ٥) ﷺ ح ، م ، س : وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال ن ‖ حدثنا م : وحدثنا ح ، س ‖ قال أخبرنا م : حدثنا ح ، س
٤) بن أبي سليم م : بن حكيم ح : بن حليم س ٥) كما – ١٧) المرسلين ح ، م ، س : الحديث بطوله ن
٦) منازل الأنبياء م : منازل للأنبياء ح ، س ‖ تبلغهم الأمم م : فلا يبلغها إلاّ هم ح ، س ٨) قوله ح ، م ، ن : في قوله س ‖ سابقوا – ١٠) العظيم ح ، م ، س : سابقوا إلى مغفرة من ربكم ، الآية ، أعدت للذين… يشاء ن ١٠) فهذا م ، ن : وهذا ح ، س ‖ والأرض ح ، م ، س : + وقال وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ن ١١) نشرت ح ، م ، س : سرت ن ‖ جذبًا ح ، م ، س : – ن ‖ فيه ح ، ن ، س : فيها م ١٢) تجذب م ، ن : تمتد ح ، س ‖ الذي م : – ح ، ن ، س ‖ العليين ح ، م ، س : عليين ن ١٣) فلذلك قال ح ، م ، س : ولذلك ن ‖ كعرض ح ، م ، س : – ن
١٤) وهذه – السموات ح ، ن ، س : – م ‖ عرضها ن : عرض ح ، س

. . . .

٣) رزق الله بن موسى ، قارن : H T 27, Nr.134 ‖ معن بن عيسى ، قارن : تقريب ٢ ، ٢٦٧ ، رقم ١٢٩٨ ؛ تهذيب ١٠ ، ٢٥٢ ، رقم ٤٥٢ ‖ مالك بن أنس ، قارن : EI
٤) صفوان بن أبي سليم ، قارن : الوافي ١٦ ، ٣١٧ ، رقم ٣٤٩ ؛ تقريب ١ ، ٣٦٨ ، رقم ١٠٣ ‖ عطاء بن يسار ، قارن : تقريب ٢ ، ٢٣ ، رقم ٢٠٤ ؛ تهذيب ٧ ، ٢١٧ ، رقم ٣٩٩
٥) قارن : ١٠/١٢٤
٨) – ١٠) القرآن الكريم ٢١/٥٧

(١٦٢)

قال له القائل : فالمؤمنون كلّهم آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين؟

قال : هذا كمال الإيمان والتصديق ، وهم الذين وصفهم الله في تنزيله ، فقال : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ، ثم قال : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ ، ﴿لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ ، وتصديق المرسلين كما جاء عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنّه قال ذات يوم : بينا رجل من بني إسرائيل يسوق بقرة إذ ركبها ، فقالت له البقرة : أنا لم أخلق لهذا ، إنّما خُلقت للحرث ! فقال القوم : سبحان الله ! سبحان الله ! سبحان الله ! فقال رسول الله ﷺ : آمنت به أنا وأبو بكر وعمر ، وليسا في القوم ، فهل كان يسبّح القوم إلاّ من التعجّب ، وهل التعجّب إلاّ من سقم في التصديق؟

أفلا ترى أنّ رسول الله ﷺ شهد لأبي بكر وعمر بالتصديق ولم يشهد لغيرهما ، فتصديق المرسلين أغمض ممّا تحسبونه ، وإنّما برز أبو بكر على جميع أصحابه بتصديقه رسول الله ﷺ ، ولذلك سمّي صدّيقًا ، فالصدّيق إذا لم يكن له قلب الصدّيقين لا يصل إلى تصديق المرسلين ، وهو قلب قد صفّاه الله وطهّره ومكّن التصديق هناك ، ألا ترى أنّ

---

٢) القائل نَ : قائل حَ . مَ . سَ || فالمؤمنون حَ ، مَ . سَ : والمؤمنون نَ ٣) هذا نَ : فهذا حَ ، سَ : — مَ || والتصديق مَ . نَ : التصديق حَ . سَ || وهم الذين حَ ، نَ ، سَ : — مَ || تنزيله مَ ، نَ : كتابه حَ ، سَ ٤) إنما — قلوبهم مَ ، نَ : — حَ . سَ || ثم قال مَ : — حَ ، سَ : الآية نَ || أولئك — ٥) العلى مَ : اوليك ... درجات عند ربهم حَ . سَ : الى لهم درجات نَ ٥) كما — ٦) ﷺ حَ ، نَ ، سَ : ما جاء عن النبي ﷺ مَ ٦) من حَ . نَ . سَ : في مَ || يسوق بقرة حَ ، نَ ، سَ : كانت له بقرة مَ || اذ ركبها حَ ، سَ : فركبها مَ : أدركها نَ (تحريف) || له نَ : — حَ ، مَ ، سَ ٧) أنا — لهذا نَ : — حَ ، مَ ، سَ || أخلق : يخلق نَ || سبحان — ٨) الله نَ : سبحان الله حَ . مَ . سَ ٨) أنا مَ ، نَ : — حَ . سَ || وليسا مَ ، نَ ، سَ : ليسا حَ ٩) يسبح القوم مَ . نَ : فيقول سبحان الله حَ ، سَ || في حَ ، مَ . نَ : — سَ ١٠) أفلا مَ ، نَ : أوَلا حَ ، سَ ١١) أغمض حَ . مَ . سَ : أغمضت نَ || أصحابه حَ ، مَ ، نَ : أصحاب سَ ١٢) صدّيقًا مَ ، نَ . سَ : تصديقًا حَ || فالصديق اذا مَ : والصديق ما حَ ، نَ ، سَ || له حَ ، نَ ، سَ : — مَ ١٣) التصديق مَ : الصدق له حَ . سَ : الصدق نَ || أنّ حَ ، مَ ، سَ : الى نَ

---

٤) القرآن الكريم ٨/٢

٤) — ٥) القرآن الكريم ٨/٤ ٥) القرآن الكريم ٢٠/٧٥

٦) المعجم المفهرس ١ : ٤٤٤ ب

سارة لمّا قالت : ﴿إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، أنكرت الملائكة قولها ، فقالوا :
﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ؟﴾ – ومريم لَمّا بُشّرت بالمسيح صدّقت ، فأثنى الله عليها فقال :
٣ ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّها وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ القَانِتِينَ﴾، وسمّاها في التنزيل : صدّيقة .

---

١) فقالوا حَ . سَ : وقال مَ : وقالت نَ ٣) وكتبه حَ ، نَ ، سَ : – مَ ‖ وكانت من القانتين مَ ، نَ : – حَ . سَ ‖ التنزيل مَ . نَ : تنزيله حَ . سَ ‖ صديقة : + وههنا نجز كتاب ختم الأولياء ، وصلى الله على من لا نبي بعده محمّد خاتم الأنبياء المخصوص بالمقام المحمود وحده وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا ، ونسأل الله تعالى ونضرع اليه في اقتفاء ختم أولياء الذات وروح الكلمات التامات وأن يجمعنا به ويوصلنا بسببه وصلة يتلوها شاهدها بتحقيق بيّنتها إنه وهاب جواد محسان . والحمد لله رب العالمين حَ : + والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمّد وآله أجمعين مَ : + والحمد لله رب العالمين وصلواته على خير خلقه سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين وصحبه وسلم تسليمًا دائمًا أبدًا الى يوم الدين نَ : + وههنا نجز كتاب ختم الأولياء والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبيّ بعده محمّد خاتم الأنبياء المخصوص بالمقام المحمود وحده وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا ، نسأل الله تعالى ونضرع إليه في اقتفاء سنن ختم أولياء الذات وروح الكلمات التامات وأن يجمعنا به ويوصلنا بسببه وصلة يتلوها شاهدها بتحقيق بينتها إنّه وهاب جواد محسان . والحمد لله رب العالمين . تمت هذه النسخة المباركة بعد زوال يوم الأحد ذي القعدة الحرام من سنة ٩٥٠ على يد أحوج عباد الله اليه محمد بن عمر بن عبد الرحيم ، الحقه الله بأوليائه سَ

....

١) القرآن الكريم ٧٢/١١
٢) القرآن الكريم ٧٣/١١
٣) القرآن الكريم ١٢/٦٦

جَوَابُ المسَائِلِ التي سَألَهُ
أهْلُ سَرَخْس عَنهَا

بيرند راتكه

ثلاثة مصنفات للحكيم الترمذي

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

الحمد لله ربّ العالمين وليّ الحمد وأهله.

أمّا بعد: فقد فهمتُ مسائلك وما سألتَ من شأن المريد وما الذي ينفعه ويضرّه في سيره إلى الله تعالى وكيف ينبغي أن يكون مبتدأ أمره.

فأهل الإرادة على ضربين: فنهم من سار في طريقه إلى ثواب الله ليعبده، فيؤدّي فرائضه ويجتنب محارمه، ثم يتطوّع من أنواع البرّ ما تهيّأ له، يرجو بذلك النجاة من النار والوصول إلى ثوابه الذي أُعِدّ لعمّاله من الله تعالى.

ومنهم من سار إلى الله تعالى ليعبده، فيؤدّي فرائضه ويجتنب محارمه، ثم يرجع إلى باطن أموره فيجد في صدره آفات كثيرة من حبّ الدنيا وطلب العزّ وطلب العلوّ والكبر والحرص وحريق الشهوات وغلبة الهوى والطمع والحسد وحبّ الثناء والمحمدة والعلائق التي تُعمي القلب، فهذا قلب لا يجد السبيل إلى الله تعالى مع هذه الأدناس، لأنّه في حبّه دنياه مخالفة ربّه، أحبّ ما أقصاه الله وحقّره، وفي طلب العلوّ مضاهاة الربّ تعالى، وفي حريق الشهوات عظائم الفتن، وفي غلبة الهوى الجور كلّه والإعراض عن حقوق الله تعالى، وقلبه محجوب عن الحكمة وعن علم تدبير الله، فهذا أسير النفس، يؤدّي الفرائض مع العلائق ويجتنب المحارم مع العلائق وعامّة ما يعبد الله بالهوى.

فهذا عبد يحتاج إلى أن يُقِيم الصدق في كلّ أمر وعمل ووقت، مشغول بنفسه، / ٦٩ ب
فمن أراد ثواب الله تعالى اقتصر على هذه المجاهدة وطَلَبَ الصدق في كلّ أمر ليخلص إليه

---

٦) فأهل ج: وأهل ق، د ‖ الله ج، ق: الله تعالى د ١٢) لأنه ج، د: لأن ق ١٥) تعالى ج، ق: عز وجل د ‖ الله ج، ق: الله تعالى د ١٨) تعالى ج، ق: عز وجل د

ومن أراد الله تعالى مرّ في طريق جهده طالبًا للصدق في الباطن حتى يُفتَح له الباب ، فإذا فتح له الباب وأُعطي العطاء — فذاك نفقة الطريق ليقوى فيسيرَ — فكلّما سار زيد من العطاء حتى يتقدّم ، فلا يزال هكذا حتى يصل إلى الله تعالى قلبًا ، فيُرَتَّب له على قدره ، فهو وليّ الله واقف بقلبه بين يديه حيث ما رُتّب له ، ومنها يصير إلى الأعمال بقلب قويّ غنيّ بالله ونفسٍ صحيحة قد زايلها الخبث والخبائث وفارقها الهوى وطلب العلوّ والأدناس .

ولنا في هذه المسائل كتابان : كتاب رياضة النفس ، والآخر عنوانه : كتاب سيرة الأولياء ، وفيهما الشفاء بإذن الله لمن ابتغى علم ما فيهما من شأن هذه المسألة .

(٢)

وسألت عن صلاح القلب ودوائه وعن فساده ودائه .

فصلاح القلب في الأحزان والهموم ، ودواؤه بمداومة الذكر لله تعالى ، وفساده من أفراح الدنيا وسرور أحوال النفس ، وداؤه إعراضه عن ذكر الله وإقبال على ما يلهيه عن ذكر الله تعالى ، والفرح للنفس كالماء للحوت ، فحياة الحوت بالماء ، وإذا بقي على الأرض لم يعش ، فإذا مُنعت النفس أفراح الدنيا ذبلت وكلّت واسترخت قواها وانقبضت عن تحلّلها نشاطًا ، والأحزان بقي عيشها حتى يتخلّص القلب من تلك الأشياء التي كانت تورد عليه من قِبَلها وأدناسها .

فإذا وصل القلب إلى الله أحياه ، فإذا أحياه حييت النفس بحياة القلب بنور الله / ٧٠ أ
تعالى ، فكان القلب ميّتًا بشهواتها وأفراحها ، فلمّا راضها صاحبها ومنعها الأفراح شكر له ربّه لأنّه قد جاهد في الله حقّ جهاده ، فهداه سبيله كما وعد في تنزيله فقال : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ ، فلمّا فُتح له الباب مرّ سائرًا إلى الله تعالى بقلبه ، فأتت العطايا نفقة الطريق ، حتى إذا وصل إليه أحياه بنوره في القربة وصار من المُقرَّبين ، فنال الفرح بالله مِن بعدما كان فرحه بالدنيا والنفس وأحوالها وصار وجيهًا عند الله .

---

١) مرّ في ج ، ن : عن د ‖ له ج ، ن : — د ٥) فارقها ن : فارقه ج : فارق د ‖ وطلب ج ، ن : فطلب د ‖ ١٣) على ج ، ن : على وجه د ٢٢) وصار ن ، د : — ج

....

٧) — ٨) قارن : Einleitung 1.3.

١٩) — ٢٠) القرآن الكريم ٢٩/٦٩

فإذا ترك المداومة على ذكر الله تعالى قسا قلبه لأنّ الذكر يشتمل <على> الرحمة من الله تعالى ، وقد وعد الله العباد في تنزيله فقال : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ ، فإذا جاءت الرحمة رطب القلب ولان وانطفت حرارة النفس وجذبتها تلك الرحمة الواردة على القلب وذهبت قسوته وفظاظته وغلظه .

والقلب والنفس شريكان في هذا الجسد ، وقوّة القلب من المعرفة والعقل والعلم والفهم والذهن والفطنة والحفظ والحياة بالله والعهد ، وأفراح هذه الأشياء عاملة فيه مُقَوِّية له محيية له ، وقوّة النفس من الشهوات واللذّات ودرك المنى والعلوّ والعزّ والرفعة وقضاء النهمات ، وأفراح هذه الأشياء عاملة في النفس مقوّية لها ، وذلك كلّه جنود الهوى ، والهوى مَلِك النفس والمعرفة ملك القلب وما ذكرنا من تلك الأشياء جنودُه ، فمتى ما حييت هذه النفس وقويت هذه الأفراح غلبت على القلب ، فذهبت حياة القلب بتلك الأشياء التي يحيا بها القلب وصارت أفراحه دنياويّة ، ومتى ما مُنعت النفس هذه الشهوات ودرك المنى ذبلت واسترخت وضعفت وبَلِيَت وتراكمت / ٧٠ ب عليها الغموم والهموم ، فبهموم المنع والفطام ذهبت قوّتها ، وحيي القلب بتلك الأشياء التي وصفنا بديًّا وظهرت أفراحه بالله ، ولذلك قال تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ ، الآية : وروي عن رسول الله ﷺ أنّه قال : نفس ابن آدم شابّة ولو التقَت ترقواته من الكِبَر إلاّ من امتحن الله قلبه للتقوى وقليل ما هم ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يهرم ابن آدم ويشبّ منه اثنتان : الحرص على المال والحرص على العمر ، وحثّ رسول الله على ذكر الموت فقال : اذكروا هادم اللذّات فما ذُكر عند كثير إلاّ قلّله وما ذكر عند قليل إلاّ كثّره ، ذكره بإسناده عن أبي هريرة ، قال : معناه ، إنّك إذا ذكرت الموت علمت أنّك مسلوب كثيرَه وإلى فناء آخره ، فإذا ذكرت ذلك

---

٣) وجذبتها نَ ، دَ : وحدتها جَ ٤) فظاظته نَ ، دَ : فظاظه جَ ٥) والعلم جَ ، دَ : بالعلم نَ ٧) والعز جَ ، دَ : – نَ ١٠) هذه نَ : – جَ ، دَ ١١) دنياوية نَ ، دَ : دنيايية جَ ١٢) بليت جَ ، نَ : بينت دَ (تحريف) ١٥) ترقواته نَ (تصحيح بالهامش ، في الصلب : ترقوتاه) ، دَ : ترقوتاه جَ

....

٢) القرآن الكريم ٢/١٥٢

١٤) القرآن الكريم ١٠/٥٨

١٧) – ١٨) فيض ٦ ، ٤٦٥ ، رقم ١٠٠٢٥ ؛ حلية ٦ ، ٢٧٥ . – ٥ ؛ وقارن : نوادر الأصول ٧٩ ، أصل ٥١

١٨) – ١٩) قارن سنن الترمذي ٣ ، ٣٧٩ ، ١

قلّله في عينك . وإذا ذكرت هذا علمت أنّ قليل الدنيا كثير لمن لا يدري أيّ ساعة فساعة يفجأه بالموت . فالموت هادم الأفراح . فإذا ذكرت هادمه ذهب بأفراحك فأبدلها همومًا وأحزانًا .

فقد بان لك الأصل أنّ ههنا فرحتين : فرحة للقلب بالله وبفضله وبرحمته ، وفرحة للنفس بالشهوة واللذّة ، فمن أحبّ أن يصل إلى الله تعالى نظر إلى كلّ شيء تفرح به النفس من أمر دين أو دنيا ، فمنعها ذلك الفرح حتى تضعف وتموت في جوفه غمًّا وكمدًا مِن مَنْعِها أفراح الشهوات واللذّات ، ثم بسطها في أفراح الدين من أعمال البرّ ، انبسطت ولا تزال قويّة حَيّة . لأنّ نصيب الهوى معه في كلّ عمل من البرّ . فلا يزال صاحبه في تخليط وأدناس / وفي جهد . إن ترك جهده بقي مع الأدناس . ولا يصل إلى الله تعالى مع ٧١ أ
الأدناس والهوى . وذلك قوله : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ . فحقّ جهاده أن يطمس عن النفس كلّ فرح يجد فيها مِن دين أو دنيا ، وكلّ عمل من أعمال البرّ تجد لذّته وللهوى فيه نصيب لم يخلص له ذلك ، فحقيق عليه أن ينتقل إلى عمل غيره لكي يحرمها لذّتها ، فإذا فعل ذلك بجهده وطاقته شكر الله تعالى له ذلك في العاجل . فكان من شكره أن فتح قلبه لأنواره ، فإذا أشرق ذلك النور في الصدر وجدت النفس من تلك العطايا ما لهت <به> عن لذّات الدنيا وشهواتها .

ثم به الحاجة بعد ذلك إلى حراسة النفس أن لا تأخذ من هذه العطايا بلذّتها ما تُوقِعه في وَرْطة فتُهلِكَه . لأنّ النفس إذا وجدت لذّة العطاء انتشرت بعد الذبول وانبسطت بعد الخمول . والخطر العظيم ههنا ، ومن ههنا سقط عامّة السائرين إلى الله بقلوبهم في أودية خدائع النفس .

وقد أجملت لك في هذا الجواب جواب ألف مسألة من توابعه وفروعه .

(٣)

وأمّا ما سألت : ما معنى الولاية والمحبّة ؟

---

٢) فساعة ن̄ : بساعة ج̄ ، د̄ ‖ بالموت ج̄ ، د̄ : الموت ن̄ ٤) للقلب ج̄ : القلب ن̄ ، د̄ ٥) للنفس ج̄ : النفس ن̄ ، د̄ ‖ بالشهوة ن̄ ، د̄ : بالشهوات ج̄ ٨) حَيّة : حية ج̄ ، ن̄ ، د̄ ‖ صاحبه ن̄ : صاحب ج̄ ، د̄ ٩) إن – جهده ج̄ ، ن̄ : – د̄ ١٧) فتهلكه ج̄ ، ن̄ : فهلكه د̄ ‖

....

١٠) القرآن الكريم ٧٨/٢٢

فإنّ الموحّدين كلّهم أولياء الله وأحبابه والله وليّهم ومحبّهم ومحبوبهم، والاهم بالمنّة فوالوه بالتوحيد، ثم للتوحيد عليهم حقّ الوفاء بما في التوحيد، فوقع الجهد على العباد في هذا الوفاء بما في نفوسهم من المنازعة، لأنّ الهوى ينازع صاحبه ويدعوه إلى ما فيه ترك الوفاء للتوحيد.

والولاية على وجهين: ولاية يخرج بها العبد من العداوة، وهو ولاية التوحيد،
٧١ ب وولاية يخرج بها من الخيانة فيكونَ / أميناً من أمناء الله عز وجلّ، قد جاهد نفسه في
ذات الله حتى كفّ نفسه وجوارحه السبع عن محارم الله تعالى وأدّى فرائضه، فلزمه اسم الورع.

ثم ألقى الشهوات وفضول الأشياء المباحات من الكلام والنظر والاستماع والطعم والشرب والركوب واللباس والمكاسب حرصًا، فلزمه اسم التقوى فيقال متّقٍ، فقد استقام أمر ظاهره.

ثم قصد بعد ذلك لباطنه فوجد في باطنه من الفساد أكثر ممّا كان في الظاهر، فمنعها الشهوات وقَطَع العلائق والأسباب وتجنّب الأفراح حتى استفرغ مجهوده في المجاهدة وبقي مضطرًّا متحيّرًا، فعندها منّ الله تعالى عليه بالأنوار فشرح صدره، فهو على نور من ربّه. فتخلّص من إسار النفس وفساد الباطن، لأنّه وإن جاهد النفس حقّ المجاهدة فإنّه لا يطيق أكثر من أن يمنعها ذلك ويذلّلها ويكبتها، فأمّا الشهوات فباقية وضيق الصدر بالأخلاق السيّئة باقٍ، فلذلك تحيّر لأنّه قد صار مضطرًّا، فعندها يفزع إلى الله تعالى ويلجأ إليه بصدق الفزع والاضطرار، وقد بذل من نفسه الطاقة التي أُعطيها، وقد قال في تنزيله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوْٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾، يُعلِمُ العباد أنّ أحدًا لا يقدر على كشف السوء عن صدره وقلبه إلاّ الله الذي خلقه، فإنّ ذلك خَلْقه في العباد، ولا يطمسها إلاّ خالقها، وإنّما يطمسها إذا جاهد العبد بطاقته التي أُعطي، فإذا بذل الطاقة رجع إلى نفسه، فوجدها
٧٢ أ كما كانت فعندها يصدق في الالتجاء إلى الله / تعالى، فإذا فعل ذلك أنجز له ما وعد

٥) العبد ج: – ن، د ١٠) متق: متقي ج، ن، د ١٣) الشهوات ن، د: بعد ذلك ج
١٨) قد ج: – ن، د

١٩ – ٢٠) القرآن الكريم ٦٢/٢٧

العباد في تنزيله ، فرحمه وولي أخذه من نفسه بتلك الأنوار ، فلزمه اسم الولاية ، فهو وليّ الله تعالى ، يوالي حقوقه وينصر ربّه ، والله تعالى يواليه بالهداية وينصره على نفسه وهواه ، فهو وليّ الله والله وليّه وناصره ، و ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرِ﴾ ، فإنّما ندبه في تنزيله لذلك فقال : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ ، ثم بعد المجاهدة : ﴿اعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ ، فهذا بعد المجاهدة في وقت الإضرار ، ثم مدح نفسه : نعم المولى ونعم النصير لك .

(٤)

وسألتَ عن العاقل الذي يعقل عن الله أمره .

فإنّ العقل إنّما أعطي المؤمن ليزيّن الطاعات في صدره ويُرِيَه قُبح المعاصي ، فهذا فعل العقل ، ومسكنه في الدماغ وإشراقه في الصدر ، وذلك قوله : ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ، وإنّما زُيّن الإيمان في القلب بالعقل ، والكافر لم يُعطَ ذلك ، فبقي الإيمان في قلبه بلا محبّة ولا زينة ، فوسوس إليه العدوّ بما أعطي من الزينة حتى أشرك بالله وأقبل على عبادة من دونه ، وذلك قوله : ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ . فأُعطي العدوّ زينة بلوىً للعباد ومحنةً لهم ، فأغواهم بها .

فمن أُعطي من العباد محبّة الإيمان وزينته – وهو العقل – لم يقدر العدوّ أن يغلب على قلبه بما ورد من زينته ، وهم عباده المخلصون ، وقال : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ ، فليس للعدوّ من القوّة بما جاء به من تلك الزينة التي أُعطيها أن يغلب على زينة الله التي أعطي المؤمن – وهو العقل ، / فإذا صار الذي ٧٢ ب
أغواه بتلك الزينة إلى النار فألقي في ذلك العذاب قال في ذلك العذاب : ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ

٤) بعد ج . د : في وقت ن ٦) لك ن . د : – ج ١٧) بما د : مما ج ، ن ٢٠) في ج : – ن . د

٣) القرآن الكريم ٨/٤٠
٤) القرآن الكريم ٢٢/٧٨
١٠ – ١١) القرآن الكريم ٤٩/٧
١٣ – ١٤) القرآن الكريم ١٥/٣٩
١٧ – ١٨) القرآن الكريم ١٧/٦٥
٢٠ – ١٤٣ ، ١) القرآن الكريم ٦٧/١٠

أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ، كانوا قومًا لُدًّا لا عقل لهم.

عن الحسن في قوله تعالى : ﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ ، قال : صُمّ آذان قلوبهم وتُركت الأجساد ، فإنّمَا صارت صمًّا وعميًا آذان قلوبهم وأعين قلوبهم لأنّ قلوبهم بضعة لحم ميّتة لم يُحيها الله بنور الحياة — وقال في تنزيله : ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ ، فتلك بضعة القلب ، فإذا أحياها الله بنوره فصارت أذنه سميعة وعين قلبه بصيرة ، فهذا عبد توكّل ‹على› الله بجلاله وعظمته وجوده وكرمه ، فمنّ عليه بالوكالة ، وأعطاه من سلطان العقل والمعرفة بالله ما لم يبق للعدوّ عليه سلطان يدعوه إلى الشرك ويزيّنه له لأنّه لا يزداد عنده الشرك بعد ما خلص إلى قلبه زينة العقل الذي ذكر الله في تنزيله فقال : ﴿وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ .

والعبد أعطي هذا العقل ليمكّن له في صدره حتى يجد مفسحًا للإشراق ، فإذا حُشي صدره من أشغال النفس وأحوالها ، فصار صدره كمرج من المروج فيه من كلّ ضرب من حشيش النبات فما يُغني هذا الإشراق؟ فإذا تفرّغ من هموم الدنيا وأشغالها ، كان قد مكّن للعقل في الإشراق في الصدر ، فعندها يعقل عن الله أمره ، والعاقل على قالب فاعل ، وإنّما سمّي عاقلاً لأنّه يستعمل عقله ويصيّر قلبه في عقال عن اتّباع الهوى ويفرّغ صدره عن أشغال النفس في دنياه حتى يصير كمفازة جرداء ، حتى إذا أشرق نور العقل على تلك الفسحة الجرداء ومرّت الخواطر في الصدر في عيني الفؤاد ميّز / ٧٣ أ العقل محاسن الأمور من مشاينها فأراه حسن الأمور وشينها ، فهذا الذي عقل عن الله أمره ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : تفرّغوا من هموم الدنيا ما استطعتم.

(٥)

وسألتَ عن العدوّ هل يطّلع على ما في قلب العبد؟

فاعلم أنّ القلب خزانة الله ليس لأحد من خلقه فيها مُطّلَع لا للملائكة ولا لأحد ،

---

٣) الأجساد جَ ، نَ : — دَ || فإنّما صارت : فاذا صاروا جَ ، نَ ، دَ ٥) الله جَ ، دَ : — نَ

٢١) للملائكة جَ ، نَ : الملائكة دَ || لأحد نَ : أحد جَ ، دَ

....

٢) قارن : القرآن الكريم ١٩/٩٧ ؛ تفسير ابن كثير ٤ : ٤٩٢ ؛ تفسير القرطبي ١١ : ١٦٢

٤) القرآن الكريم ٦/١٢٢

١٨) فيض ٣ . ٢٦٠ . رقم ٣٣٤٣

وأمّا الصدر فالخواطر فيه من المَلَك والوسواس. والعمل الذي يُسِرّه العبد من العباد يُضَاعَف على العلانية سبعين ضعفًا ، والذي يُسِرّه من الحَفَظَة ويُعلنه للعباد يضاعف على عمل السرّ سبعين ضعفًا ، هكذا رُوي عن ابن عمر ، قال ، قال رسول الله ﷺ : السرّ أفضل من العلانيّة والعلانيّة أفضل لمن أراد الاقتداء.

فعامل يسرّه وفي نفسه شهوة رؤية الخلق ، وهو يردّ ذلك ويدفعه والعدوّ يردّد عليه ذكر رؤية الخلق ونفسه تشتهي والقلب ينكره ويردّ على النفس والعدوّ ما أتيا به ، وهذا قد حسم باب العدوّ عن نفسه ، فلا يقدر أن يرائي به لأنّه لم يعلنه ، فهو مضاعف سبعين ضعفًا على الذي أعلنه ، لأنّ الذي أعلنه فهو وإن أخلص قلبه لله فنفسه تشتهي رؤية الخلق وعدوّه يزيّن له ذلك ، فلا يخلو في الإعلان أن يكون للنفس والعدوّ هناك فرصة ونصيب وإن دقّ ، والقلب ينكر ، ويُكتَب له ذلك ، ولكن إذا أسرّه لم يبق للعدوّ شيء وإنّما بقيت شهوة النفس ، فإذا علمت النفس أنّه لا يراه أحد يئست من تلك الشهوة أن يقضيها لها / صاحبها فخمدت فضوعف العمل سبعين ضعفًا على العلانية. ٧٣ ب

ثم إنّ لله عبادًا راضوا أنفسهم حتى منّ الله عليهم بالعلم وتراكمت على قلوبهم أنوار المعرفة. وذهبت عنهم وساوس النفس ، لأنّ الشهوات قد ماتت منهم ووقعت قلوبهم في بحار عظمة الله تعالى وجلاله وكبريائه ، فإذا عمل عملاً في علانية لا يحتاج أن يجاهد عنه ، لأنّ شهوة العبد الرياسة ورؤية الناس وتعظيمَ الخلق له قد انقطعت عنه وتصاغرت نفسه إليه في ملك الله الذي عاينه بقلبه ، فإذا أعلن به فإنّمَا يريد به النصيحة لله في خلقه كي يقتدوا به ويهيّج منهم ما يريهم ويبعث نفوسهم على ذلك.

فهذا عبد ناصح لله في خلقه فضوعف له على عمل السرّ سبعين ضعفًا ، ألا ترى أنّ الله أثنى على قوم في تنزيله وسمّاهم عباد الرحمن وأوجب لهم أعلى الدرجات في الجنّة ، فقال : ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ ، فذكر من تلك الخصال التي عدّها منهم أن دعوا فقالوا : ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ، فإنّمَا ينالون الإمامة لينصحوه في عباده ويدلّوهم على المسير إليه في هذه الشريعة بالحقّ والعدل.

---

٦) ينكره جَ ، نَ : مكره دَ ٩) هناك جَ ، دَ : – نَ ٢٢) ينالون : ينالوا جَ ، نَ ، دَ

....

٣) – ٤) المعجم المفهرس ٢ ، ٤٤٧آ ؛ وقارن : نوادر الأصول ٣٦٩ ، أصل ٢٦٥
٢١) القرآن الكريم ٧٥/٢٥
٢٢) القرآن الكريم ٧٤/٢٥

فإنّ الله ذكر في تنزيله ما خصّ به موسى في بني إسرائيل حين قال : ربّ أجد في الألواح قومًا من صفتهم كذا ومن شأنهم كذا ، فقال : أولئك أمّة محمّد ﷺ ، فلمّا كثر ذلك ودّ موسى أن يكون لأمّته بعض ذلك ، فقيل له : ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ، قال : فرضي إلى الله تعالى كلّ الرضى ، ثم أُعطيت هذه الأمّة ما أُعطي موسى في أمّته ، / فقال : ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ، ٧٤ أ
فهؤلاء أئمّة الهدى وهم أعلام الخلق ، بهم يُقتَدَى في المُضيّ إلى الله تعالى.

وإنّما سألوه أن يجعل لهم من نور الحقّ ونور العدل على قلوبهم ليدعوا الخلق بذينك النورَين في هذه الشريعة إلى الله تعالى ، فإنّهم إذا دعوا فالنور لم يقبل منهم لأنّ ذلك كلام لا يجاوز الأسماع ، فإذا دعوا الخلق من ذلك النور خلص إلى قلوب الخلق فأجابوهم إلى ما دعوا إليه.

(٦)

وسألت عن الهوى المردي ، وهل يضرّ الهوى بالعمل إذا كان في الخير ، وكيف يُعرَف الهوى من العقل ، وما الفرق بين الهوى ووسوسة النفس؟

فاعلم أنّ النفس هي قرينة الروح في الجسد ، وهما ريحان ، إحداهما سماويّة والأخرى أرضيّة ، فالروح ريح سماويّة من ريح الحياة ، والنفس ريح أرضيّة من ريح الحياة التي أُعطِيت الأرض ، ولذلك سمّيت ذرّية لأنّها ذرّة ، وتلك الريح التي حييت الأرض بها ، فنطقتا فقالتا : ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ .

والشهوات موضوعة في النفس ، وأصل الشهوات بباب النار حُفّت النار بها ، وهي زينة وأفراح ونعيم مخلوقة من النار ، موضوعة ببابها ، وقد وضع منها في جوف الآدميّين ، والأصل هناك ، وقد سُلّط على ذلك الأصل العدوّ.

---

١) ذكر ج ، د : ذكره ن ‖ به ج ، د : — ن ‖ حين ج ، ن : حيث د ٣) ود ن ، د : وجد ج
٤) الى ج ، ن : — د ٨) بذينك : بذلك ذلك ج : بذلك ن ، د ‖ فالنور ج : بالنور ن ، د
١٣) الفرق ن : فرق ج ، د ‖ ووسوسة ن ، د : وسوسة ج ١٤) هي ج ، ن : — د ١٧) فنطقتا ن : فنطقت ج ، د . وربما سقطت هنا جملة في كل المخطوطات

٣) – ٤) القرآن الكريم ١٥٩/٧
٥) القرآن الكريم ١٨١/٧
١٧) القرآن الكريم ١١/٤١

والهوى ريح هفّافة تخرج من النار فتمرّ بتلك الشهوات فترفع منها فتورد على نفوس الآدميّين مع العدوّ ، فإذا جاء الهوى اهتاجت بعده الشهوات التي وضعها في الآدميّين ، بمنزلة خميرة يعجن بها الدقيق حتى يقوى ويهيج فورانها فيه ، فكذلك الهوى إذا أقبل بها احتمل من باب النار إلى هذه الشهوات التي في النفوس ، اهتاجت / الشهوات ، وإنّما ٧٤ ب
يجيء بها العدوّ فينفخ بذلك الهوى وهي الريح الهفّافة ، فإذا وصلت نفخة العدوّ بذلك الهوى لم يملك ابن آدم نفسه حتى يقع فيما أورد إلاّ أن يستغيث بالله ويلجأ إليه في ذلك الوقت فيتداركه ربّه بالعصمة ، قال الله تعالى في تنزيله : ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ ، أي : رحمه فعصمه ، فإذا عصمه قوي ، ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ ، أي عن اتّباع الهوى ، ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ . فإذا جاء الهوى بالشهوات من باب النار ليدعو النفس إلى ما جاء به فمازج بها تلك الشهوات التي في النفس حتى قويت ، فإذا دبّت تلك الحرارة في عروقه احتاج إلى أن يجاهد نفسه ويستعين بالله ، فإن جاءت العصمة فذلك عبد منّ الله عليه ، وإن انقطعت العصمة وقع فيها ، وإن دعاها إلى طاعته كانت طاعته ذات علاقة ، فتى تغيّر حال من أحوال تلك الطاعة ممّا يثقل عليه تركها وأعرض عنها إلى ما تهوى النفس ، فالهوى ضائر في كلّ وقت وفي كلّ عمل ، وصاحبه ساقط عن العدل إلى الجور.

(٧)

وسألت عن الوسوسة متى تنقطع عن العبد؟

فقال : إنّي سأنبئك عن نظيرها حتى يكون جوابي في هذه جوابك في تلك – قال : متى ينقطع طمع الخلق عن معارضتهم إيّاك بالمكروه والأذى؟ أليس من شأن الناس إذا لقي أحدهم قهرًا وظلمًا وعنتًا وأذى اختلف إلى أبواب السلطان واتّخذ عندهم وجهًا ، فلا يزال به كثرة الاختلاف إلى أبواب السلطان حتى يعرفه السلطان معرفة لا ينكره بعدها ، ولا يزال يبذل النفس لهم في النصيحة والإشفاقِ على أموره والنصيحة لعبيده

---

١) فترفع جَ . نَ : فرفع دَ ٥) الريح نَ . دَ : ريح جَ ٨) قوى – ٩) بالشهوات جَ ، نَ : – دَ
٢٠) الى – السلطان جَ (بالهامش) : – نَ . دَ

....

٧ – ٨) القرآن الكريم ١٢/٥٣
٨ – ٩) القرآن الكريم ٧٩/٤٠

وخَدَمِه حتى يُعرَف بالميل إليه والخصوصيّة ويصير عنده وجيهًا ، ينفذ قوله ويأتمنه ٧٥ أ السلطان / على أموره . فلا يزال كذلك حتى يقبله السلطان ويقرّبه فيلبسه السواد ويقلّده عملاً . فإذا ولي له عملاً ورأى الناس سواده عليه انقطعت أطماعهم عن أذاه وأن يعقبوه بمكروه فيرضون منه رأسًا برأس .

فإذا علمتَ أنّ هذا هكذا فاعلم أنّه إذا تاب العبد ، ثم استقام قلبه في باب التوبة ، ثم لا يزال يتقرّب بأداء الفرائض واجتناب المحارم حتى يستحكم ذلك ، ثم لا يزال يتقرّب بعد ذلك بالوسائل حتى يصير عند الله تعالى وجيهًا لأنّه قد أتى بما أمر وزاد على ذلك ، فائتُمِنَ فوُجد أمينًا ، فتتابعت الأنوار على قلبه حتى إذا انكشف الغطاء له عن جلال الله وعظمته أشرق نور الجلال في قلبه وبرز جلال السلطان في صدره ، فإن دنا الوسواس منه احترق ، فمتى يجترئ بعد ذلك أن يوسوس إليه إلاّ أن يرمي من بعيد شيئًا بعد شيء وقتَ فترة أو غفلة ، بمنزلة الخطفة التي يخطفها من خبر السماء فأتبعه شهاب ثاقب فأحرقه ، كذلك إذا خطف من الصدر لحقه شهاب ثاقب من نور السلطان فأحرقه .

وممّا يحقّق ذلك ما روي عن سُديسة مولاة حفصة ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّه ما لقي الشيطان عمر إلاّ خرّ لوجهه لأنّ رجليه ذهبت القوّة منها فخرّ لوجهه ، وكذلك تجد في هذه الدنيا لو استقبلك أمير المؤمنين لأخذك من هول سلطانه ما يُذهب لسانك ويُذهب رجليك فتسقط إذا كنت متّهَمًا عنده .

والعباد محتاجون في انقطاع الوسوسة إلى الخوف ، لا خوفِ العقاب ولكن خوف ٧٥ ب العظمة حتى تذهل النفس وتنقطع وسوستها ويفرّ العدوّ ، فإنّهما وسواسان ، وسواس / من النفس والعدوّ . فالعدوّ يفرّ بذكر الله والنفس لا تفرّ بل تتردّد في الصدر ، فهذا أصعب . ورُوي عن عطاء عن ابن عبّاس في قوله عزّ وجلّ : ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ ، قال : هما وسواسان أحدهما من العدوّ والآخر من

---

٣) ولي ن ، د : تولى ج ٦) ثم لا ج ، ن : لا د ٧) بما ج : ما ن ، د ٨) فتتابعت ن ، د : فتابعت ج ٩) برز ج : برد ن . د ١٧) رجليك : رجلاك ج ، ن ، د ١٨) الى ج ، ن : في د
٢١) الذي ن . د : – ج

....

١٤) سديسة . قارن : الوافي ١٥ ، ١٢٥ ، رقم ١٧٨ ؛ أسد ٧ ، ١٣٩ ، رقم ٦٩٧٨
٢١) عطاء . قارن : GAS 1, 37, Nr. 7
٢١) – ٢٢) القرآن الكريم ١١٤/٤–٥

النفس، وقوله: ﴿مِنَ الجِنَّةِ﴾، أي: من الشيطان الذي قد اجتنَّ عن الخلق، وقوله: ﴿والناس﴾، أي: من نفوس الناس.

ولقد سألني يومًا بعض المريدين وشكى إليّ ذهاب القلب في الصلاة، فقلت له: قلبك بضعة من لحم في جوفك، أين يذهب حتى تقول: يذهب قلبي؟ فتحيّر، فقال: كيف هذا؟ قال، قلت: القلب بمكانه والعقل يذهب عن القلب. فإذا غاب العقل عن القلب صرت ساهيًا لاهيًا.

قال: فأين يذهب العقل؟

قلت: إلى وطنه!

قال: فأين وطنه؟

قلت: الدماغ، وإشراقه في الصدر بين عيني الفؤاد، فإذا أشرق بين عيني الفؤاد جاءت خواطر من قِبَل الملكوت بلوى من الله، ثم صارت الخواطر فكرًا، ثم صار الفكر سيرًا إلى الله إلى حيث أمكنه في العُلَى على قدر قوّة نوره ومَن له مقام معلوم إلى مقامه.

فإذا جاءت النفس بأشغال شهواتها ولذّاتها فأوردت خواطرها في الصدر بين عيني الفؤاد ولم يكن هناك نور يشرق أحاط بالقلب في ذلك الصدر مَثَلَ الدخان والغيم، فبقي الفؤاد في ظلمة، فهناك وسواس النفس والعدوّ، يتردّد بعضها على أثر بعض، فإذا جاهدتَ في ذات الله وتفرّغت من أشغال الدنيا سكنت ولم تنقطع، وكان صدرك ذلك في تلك الأشغال بمنزلة مرج أو غيضة فيها أشجار / الحطب والبردي والقصب والحلفاء ٧٦ أ
والطرفاء ومن كلّ نوع، فماذا يتهيّأ لك أن تبصر إلاّ موضع قدمك؟ فإذا أقبلت على حصد ذلك فحصدته أو حرّقته حتى صارت مفازةً جرداء فرأيتَ هناك أثر مخاليب أسد وقع عليك من الخوف ما يملأ صدرك، ولو كان من قبل أن تصير مفازةً لم يظهر عندك أثره، فلم تجد من الخوف شيئًا.

فكذلك الصدر إذا تفرّغ من الأشغال جاءت الأنوار فطالعت بقلبك آثار الملكوت وآثار الجنّة والنار، فعندها تجد من الخوف ما يذهلك عن الاستماع إليه وإلى محادثته بذلك.

ثم قلتُ: ما تقول في رجل مرّ بك وفي يده معزفة أو مزمار وأنت في المسجد فوثبتَ

---

١) وقوله ن: قوله ج، د ١٤) أحاط ج. ن: وأحاط د ٢١) أثره ن، د: أثر ج

وأخذت رداءه ، ثم عدتَ إلى مجلسك فوضعتَه تحتك وقعدت عليه ، وكان سبيلك أن تَثِب إليه فتأخذ مزماره فتكسرَه وتُغيّرَ المنكر ، فأخذتَ رداءه للرغبة التي فيك ولهوت عن مزماره وقلّت مبالاتك به ، فتبعك فقام على رأسك بمزماره فأخذ يزمر فتعاظم ذلك عندك ، فأقبلت بالنكير عليه وقلت : تزمر في بيت الله على رأسي؟

فقال لك : إنّك أخذت ردائي وزاحمتني فيه ، فإنّما دخلت عليك لحال الرداء ، ولولا ذلك لم أدخل عليك ولم أجترئ عليك ، فلمّا أبَيْتَ أن تردّه عليّ غمّني ذلك وأحزنني ، فأنا أزمر بأصوات الإفراط لأتسلّى بذلك من الغمّ الذي أجده لمكان ردائي ، فإن أردت أن أكفّ عن ذلك وأخرج عنك فرُدّ عليّ ردائي ، وإلاّ فهذا دأبي معك!

فأيّهما أرجح ولو تحاكما في ذلك المسجد؟ كيف يُحكَم بينهما؟ أليس يقول له : ردّ عليه رداءه حتى يخرج من / عندك؟ ٧٦ ب

واعلم الآن أنّ الله جعل الصدر ساحة قلبك وجعل المعرفة في قلبك وأفراح المعرفة وسلطانها في صدرك ، فقال : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ . وجئتَ بأفراح زينة الدنيا التي هي حظّ العدوّ من ربّه ، فمكّنتها في صدرك وأذقت طعمَ حلاوتها قلبَك حتى تكدّر عليك حلاوة الإيمان وذهبت نزاهته وطيبه. ورُوي عن رسول الله ﷺ أنّه قال : الإيمان حلو نَزِه فنزّهوه ، وقال الله في تنزيله لعدوّه : ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ ، أي : أعطيتك سُلطان هذه الأشياء حتى أنظر من يجاهدك ويلجأ إليّ في مجاهدتك ويستغيث بيّ ، ومن يُلقي بيديه إليك سلمًا فيكون أسيرًا من أسرائك قد آثرك عليّ.

وقال فيما يحكَى عن العدوّ أنّه قال : ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ ، فإنّما وعيده لهم في تلك الزينة بالسلطان الذي أُعطي ، وهي تلك الأفراح والشهوات المحفوف بها النار ، فحلاوة الإيمان ونزاهتها إنّما تذهب بها

---

١٣) فكّنتها جَ : فكنها نَ ، دَ ٢٠) وقال فيما جَ ، نَ : قال مما دَ ‖ قال جَ ، دَ : – نَ

....

١٢) – ١٣) القرآن الكريم ١٠/٥٨

١٦) – ١٧) القرآن الكريم ١٧/٦٤

٢٠) – ٢١) القرآن الكريم ١٥/٣٩ ‖ القرآن الكريم ٣٨/٨٢ – ٨٣

حلاوة الأفراح التي جاء بها العدوّ – بمنزلة الماء العذب الصافي الذي هو كهيئة الطلّ من الصفاء إذا مازجه ماء كدر وحمأة ونتن . ماذا يبقى من عذوبته وماذا يبقى من صفائه؟

وإنّما حذّر الله عباده والرسل من بعد ذلك وأمناء الرسل حبّ الدنيا والتذرّع في الشهوات مخافة هذا الفساد ، وأيّ فساد أعظم من فساد قلب يذهب حلاوة / [٧٧ أ] إيمانه ونزاهته وطيبه وشعاعه؟

فإذا ران على القلب رين الذنوب ورين أخلاق السوء التي سببها حبّ الدنيا وحبّ العلوّ وصار الكبر أمير النفس ، والنفس أميرًا على القلب ، فأيّ صلاح يُرجَى بعد هذا؟ – بمنزلة كورة عامرة طيّبة نزهة ساكنة بعدل أمير عليها وإشراف بحسن تدبيره ومراعاته ، إذا دخل عليها خارجيّ فاسد أحمق جبّار عات فغلب على الكورة وحشر الأميرَ في بيت . فأيّ صلاح يُرجَى بعد ذلك لتلك الكورة – فكذلك هذا القلب هو أمير قد عَمَّر صدرَه وجوارحه بعدله وقسطه وعمله ونزاهته ، فإذا ولج عليها حبّ الدنيا جاءت النفس فغلبت بشهواتها وولوعها بالدنيا على القلب بما فيها وكانت الإمرة لها ، فماذا ينفع القلب بعد ذلك بمعرفة الله وبعقله وبعمله الذي أعطي ، إنّما يبقى ذلك كلّه على اللسان منه حجّة الله عليه ، كما قال رسول الله ﷺ : العلم علمان : علم في القلب فذاك العلم النافع . وعلم على اللسان فذاك حجّة الله على ابن آدم ، وإنّمَا صار على اللسان لأنّ الذي في القلب قد حجبه حبّ الدنيا وشهواتها وذهب إشراقه ونوره وهو منكمن ، بمنزلة الشمس المنكسفة ، فالشمس بمكانها ، ولكن ذهب ضوؤها وإشراقها وحرّها ومنافعها بكسوفها ، فإذا دامت على ذلك ذهبت زروع أهل الأرض ومعاشهم وماتوا .

فكذلك الإيمان في قلب الآدميّ ، إنّما ينكسف ويذهب إشراقه من صدره بتلك / [٧٧ ب] الغموم التي هاجت من النفس وبالذنوب التي ظهرت من معدن السوء على الجوارح ، وذهبت ثمار الجوارح وبرد القلب عن الآخرة كما برد التنّور عن وقوده وذهب سجره ، فإذا ألزقتَ به عجينك لم يلتزق ولم ينخبز وسقط في الرماد – فكذلك هذا الذي برد قلبه عن الآخرة لانكساف شمس المعرفة . لو وعظتَه بحكمة لقمان وسائر الحكماء لتساقط ولم

---

٩) عات : عالي جَ : عال نَ : عاني دَ ١٣) القلب جَ : الغلبة نَ ، دَ ١٦) منكمن نَ ، دَ : منكمنًا جَ
١٨) دامت دَ : دام جَ ، نَ ٢١) ذهبت : ذهب جَ ، نَ ، دَ | برد جَ ، دَ : يبرد نَ

....

١٤) – ١٥) المعجم المفهرس ٤ ، ٣٣٠ ب

يلتزق بقلبه منه شيء، لأنّ صدره مشحون بحبّ الدنيا وأفراحها ولذّاتها، وتلك لها دخان وفورة تنّور من معدنها من الجوف إلى الصدر، كما ترى الأتون التي يطبخ فيها الخزف، فكلّما أُلقي فيها من الحشيش التهبت وخرج من كوّتها مثل ذلك الدخان فسطع في الجوّ. – فترى إشراق الشمس كيف ينطمس ويتغيّر على الحيطان – فإذا التهب الجوف بحرّ تلك الأفراح التي نالها سطع دخانها مثل الغيم، فركد في الصدر بين عيني الفؤاد، فذهبت بصائر الإيمان وذهب ضوء نِعَم الله وإحسانه وتدبيره فيك.

فإذا صرتَ إلى صلاتك وقمت بين يدي الله تعالى جاءك العدوّ فحادثك بتلك الأشياء التي قد تَمكّن حبّها في نفسك وصدرك. فإن خاصمتَه وطردته وأردت نفيه عن صدرك قال لك: إنّ الله تعالى أعطاك أيّها المؤمن فرح الإيمان وزينته وقال له في تنزيله: ﴿وَحَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، وندبك إلى الفرح بما فضّلك به على غيرك فقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾، الآية، فما حَمَلَك على أن أعرضت / عن زينة الله ورحمته والفرح بهما وأقبلت على زينتي وأفراحي المشوبة ٧٨ أ
بنجاسات الشرك والكفر؟ وقد قال لك ربّك: ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾، فلم توقن بما قال لك ربّك. فلمّا فعلت ذلك وزاحمتني فيمَا أُعطيتُ فأنا دخيل صدرك ومزاجك في نجواك وأفعال صلاتك مسلّطٌ عليك عقوبةً لك بما آثرتَني وآثرتَ شيئًا أُعطيتُه على ما أُعطيتَ. فلا أزال أزمر بأفراحي على أذنك وأُطربك حتى أُلهيك عن ذكر الله؟

ففهم الرجل عنّي ما مثّلتُ له، فوجد من ذلك وجدًا شديدًا، وأخذ يبكي، ثم قال لي: فما الحيلة، فقد صارت معاينة من أين أُوتينا؟

فضربت له مثلاً آخر. فقلت له: ما تقول: لو أنّ دارًا فيها عَزْف ورقْص وألوان الأغاني والسرور، فبينا هم في فرح ذلك السرور والطرب إذ دخل داخل فقال: جاء الأمير! – أليس تخمد تلك الأصوات ويذهل أولئك القوم عن جميع ما هم فيه لهول مجيئه وهيبته؟

---

١) منه نَ. دَ: – جَ ‖ ولذّاتها جَ: – نَ. دَ ٣) التهبت دَ: والتهب جَ: والتهبت نَ ‖ خرج: خرجت جَ. نَ. دَ ‖ فسطع نَ. دَ: فسطح جَ ٧) الى جَ. نَ: في دَ ‖ وقمت نَ: قمت جَ، دَ ‖ فحادثك جَ، نَ: يحادثك دَ ١١) فبذلك فليفرحوا جَ: الآية نَ. دَ ‖ الآية جَ: – نَ. دَ ١٩) رقص: قصر جَ، نَ: قصور دَ

....

١٠) القرآن الكريم ٤٩/٧

١١) القرآن الكريم ١٠/٥٨

١٣) القرآن الكريم ١٠/٥٨

قال : نعم !

قلت : فكذلك هذا الصدر الذي فيه ألوان السرور بما يتعاطى من أحوال الدنيا ويتقلّب فيه من درك المنى ، فيفرح القلب به وينتشر في الصدر دخانه وتَشْره فيه نفسه ، فتلك الأحاديث كائنة فيه ، فإذا ولج القلب باب الملكوت فعاين من عظمة الله وجلاله وكبريائه ذهلت نفسه عن كلّ شهوة وذبلت وانخشع القلب حتى يصير كالشيء المُلقى ، وقيدًا من أثقال العظمة والجلال ، وسكنت أصوات طرب النفس وأحاديثها ووساوسها .

فقد بان لك أنّ العباد محتاجون في صلاتهم وفي جميع / أحوالهم إلى خوف الله ٧٨ ب
المذهل لهم عن كلّ فرح ، فأبناء الدنيا أصوات فرح النعيم في صدورهم ، ومنها يحدّثهم العدوّ ، وأبناء الآخرة أصوات فرح العزّ بالعبادة والتقوى في صدورهم ، ومن تلك الأفراح يحبّون أن يُحمَدوا بما لم يفعلوا ويُذكَروا في الدنيا بالثناء الحسن ، فهذه صدور خربة ، والشياطين تأوي إلى الخرابات ، فإذا عُمّر القلب والصدر فإنّما يُعَمَّر بخوف عظمة الله وجولانه في الملكوت ، فعندها تُقطع الوساوس . فإذا ناجوا ربّهم في صلاتهم كان حديثهم معه ، فكأنّما يخاطبهم ويخاطبونه ، فإن أقبل الله عليهم في صلاتهم فانتبهوا لإقباله عليهم ، ثم أقبل على إقبالهم ، فمن يقدر أن يصف ما يجري هناك؟ ولذلك قال رسول الله ﷺ : إنّ الله تعالى جعل قرّة عيني في الصلاة ، فلم يقل : بالصلاة ، ولكن : في الصلاة .

(٨)

وسألت مسألةً أخرى : عن كثرة الوسوسة في قلب العبد ، وكيف الخلاص منه ، وهل يضرّه ذلك إذا لم يقبل عرضه؟

فاعلم أنّ الوسواس على ضربين ، أحدهما من العدوّ ، فإذا جاء العدوّ فوسوس نفاه بذكر الله فأخنس ، ولذلك سُمّي خنّاسًا ، والوسوسة الأخرى أقوى وأصعب ، وتلك وسوسة النفس .

---

٧) وفي جـ ، ن : في د ٩) ومن جـ ، د : من ن ١٤) ثم ن ، د : بما جـ ١٥) إنّ الله تعالى جـ ، ن : — د ١٨) وكيف جـ ، ن : كيف د ١٩) يضره جـ ، ن : يضر د ٢٠) أحدهما : إحداهما جـ ، ن ، د

....

١٥) المعجم المفهرس ٥ ، ٣٣٦ آ

وهما مذكوران في التنزيل بقوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، فالذي من الجنّة هو العدوّ، والذي من الناس هو من النفس، وإنّما سمّي جنّة لأنّ إبليس كان من جنّة الملائكة من ٧٩ أ صنف يقال لهم الجنّ، وكان رئيسهم، وأمّا الجنّ الذين هم في / الأرض، فهم من الجانّ الذي خلق من نار السموم، وليسوا من الملائكة، وإبليس خلق من نار العزّة، والملائكة خلقوا من نور العزّة، وإنّما سمّي الناس ناسًا، وواحده إنسان، لأنّ الأَنَسَة فيهم، وهو الذي يأنس بعضهم ببعض، وإذا افتقدوا ذلك توحّشوا.

فإذا وسوست النفس فإنّما توسوس من شهواتها ولذّاتها، فلذلك صار أمرها أقوى وأصعب، فنفيها بذكر الموت لأنّ ذكر الموت إذا دام على النفس أمات الشهوات فيها وزهّدها في عينها وحقّرها وصغّرها لذكر زوالها وانقلاب حالها، ولذلك حثّ رسول الله ﷺ الخلق على ذلك، فقال: اذكروا هادم اللذّات فما ذكر عند كثير الاّ قلّله، وما ذكر عند قليل إلاّ كثّره، معناه: إنّ الموت معاينة، وذكره يذهل النفس فيصير القليل من الشيء كثيرًا عنده، يقول: أموت الليلة أموت غدًا، فهذا كثير لمن يموت، ويصير الكثير عنده قليلاً، يقول: أموت غدًا، فما أصنع بهذا والموت يطلبني، وهذا لمن قصر أمله، ولذلك قال رسول الله ﷺ: الزهد في الدنيا قصر الأمل.

فلا يزال العبد ينفي هاتين الوسوستين بهاذين الذكرين حتى يستولي على القلب هذا الذكر ويستنير الصدر ويأتيه المزيد من الله من الخوف، فإذا جاء الخوف ولزم القلب صار القلب خاليًا من الوسوسة، لأنّ سلطان المعرفة قد ظهر على القلب، وقعد القلب أميرًا، فصار الصدر في الخلوة والسكون كدار أمير المؤمنين في الدنيا لا يكاد يُسمَع فيها ٧٩ ب حسّ ولا مسّ ولا وقع قَدَم ولا همس، قد أخذتهم هيبة شهود / أمير المؤمنين وقربه منهم، فكلامهم فيمَا بينهم همس ومشيُهم رِكز.

وهذه الأصوات والجلبة قبل ذلك كانت من النفس وتؤدّي إلى الصدر، فلمّا جاء سلطان المعرفة بالخشية والخوف والفَرَق والأهوال – أهوال العظمة – ماتت النفس في مكانها وخمدت أصواتها وجلبتها.

---

٥) الناس نَ، دَ: النفس جَ ١١) إن نَ: اذ جَ، دَ ١٢) كثيرًا عنده نَ: عنده كثيرًا جَ، دَ ‖ أموت نَ، دَ: – جَ ‖ فهذا – ١٣) غدًا نَ، دَ: – جَ

....

١) القرآن الكريم ٦/١١٤

١٠) قارن: ١٣٩، ١٨

وأمّا الذي ذكرتَ من قول الحسن حيث شكا إليه رجل الوسوسة فقال : زادنا الله منه ! فإنّ تلك وسوسة الإيمان ، وذلك لأنّه كان الإيمان في قلوب العباد غيبًا لا يطّلع عليه أحد إلاّ الله ، وكان النفاق كائنًا في الإيمان من حيث لا يعلمه العباد ، وطمع العدوّ في الجميع فرماها بما أُعطي ، فلمّا حصلت الرمية في الصدر بين عيني الفؤاد طارت من جمرة الإيمان التي في قلبه شرارة فأحرقت الرميةَ ووَلّى العدوّ هاربًا فانخنس في مكانه ، وصار لتلك الشرارة في القلب ضوء وشهاب ثاقب ، فذلك ضوء الإيمان ، فهو في تلك الساعة أحسن وأرفع منزلةً ، لأنّ الإيمان كان منه في غشاء فبرز ضوؤه وشهابه فأشرق ، فذلك فعل القلب وكسبه ، فلا يستوي كسب الأمير وكسب الخدم وهي الجوارح.

ولذلك قال رسول الله ﷺ حيث شُكي إليه ذلك فقال : ذلك محض الإيمان ، فإنّما سمّاه محضًا لأنّ الغشاء الذي على الإيمان قد انقشع والغطاء قد انكشف ، وذلك أنّ الغطاء على الإيمان كان من الله رحمةً ، والغشاء حديث في العبد في إيمانه وهو العلائق والشهوات ، فانقشع الغشاء وانكشف الغطاء واستنار الإيمان في الصدر ، فأضاء فأشرق ، فذلك محض / الإيمان ، وإنّما وقع قوله عليه السلام على تلك الشرارة التي ظهرت من ٨٠ أ
الجمرة لا على ما جاء به العدوّ من الخبث والخبائث.

وإنّما مثل قلب الآدميّ بمنزلة هذا الزند الذي يقدح ، فرُبّ حجر يوري نارًا وربّ حجر لا يوري نارًا ، فأنت تقدّحه بالقدّاحة حجرًا حجرًا ، فكلّما ورى عزلته ناحيةً وجعلته من بالك وموضع حاجتك ، وما لم يورِ رميت به — فكذلك العدوّ يرمي بقدّاحته فإذا قرع بها قلبك ، فكان في قلبك نور المعرفة ، ظهر من شرر ذلك النور في صدرك فاتّخذه العدوّ من باله وموضع حاجته ، فلا يزال يعذّبك بالوسوسة طمعًا أن يختلس منك شيئًا ، فإن لم يقدر على العقدة ، أعني عقدة الإيمان لأنّها محروسة ، فمن أعمال العقدة الجارية على الجوارح يفسدها عليك ، فإذا رمى فوافت رميته قلبًا خاليًا من الإيمان وهو منافق ، والإيمان منه على اللسان وأعمال الجوارح ، فإذا قرعت الرمية ذلك القلب لم يور نارًا ولا شرارةً ، علم أنّه قلب خالٍ ليس فيه شيء ، وعلم أنّه له وليس لله

٥) فأحرقت ن : فأحرقه ج ، د ٦) الشرارة ن ، د : الشررة ج || فذلك ج ، ن : فذاك د ٨) القلب ج ، ن : العبد د ١٢) فأشرق ج : وأشرق ن ، د

٩) المعجم المفهرس ٦ ، ١٧٤ ب ؛ وقارن : نوادر الأصول ٢٦١ ، أصل ٢٢١

تعالى فيه حاجة ، ووجد أمرًا مفروغًا منه ، فرمى به إلى حيّزه ورفع باله عنه ولم يشتغل به لأنّه له ولأنّه إنّمَا يوسوس ليفسد الذي فيه ، فإذا لم يكن فيه شيء يحتاج إلى إفساده احتبسه لنفسه وتركه ، وإنّمَا اشتغاله بمن رماه فأورت الرمية منه نار الإيمان من باطن قلبه . فعندها صار من باله وتشمّر وتفرّغ لإفساده حسدًا منه .

وهذا تأويل الحديث الذي جاء أنّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا إذا فقدوا الوسوسة عدّود نقصانًا .

٨٠ ب / وقال إبراهيم النخعي : آية قبول صلاة المؤمن الوسوسة ، وذلك أنّ أهل الكتاب لا يوسوسون ، وذلك أنّ العدوّ قد فرغ من أمورهم وقد صارت له قلوب أهل الكتاب وأهل الشرك كالبيوت الخربة وبيوت الفقر ، أليس يعبأ بها اللصوص ؟ وإنّما يقصد اللصوص لبيوت الأغنياء .

فهذه القلوب ثلاثة : قلب خرب ليس يعبأ به العدوّ ، وقلب فيه خير كثير كبيتٍ فيه غنى ومتاع كثير ، فللّصوص فيه مطمع ، فلا اللصّ ينقطع عمله ولا صاحب البيت يغفل عن حراسته ، وإن غفل أتلف متاعه ، وبيت أمير المؤمنين فيه جواهر قد انقطعت أطماع اللّصوص أن يصلوا إليه لأنّه حصن حصين وحرّاسه كثيرون وعقوبة أمير المؤمنين عظيمة . إنّمَا هو قتل أو صلب .

فالأوّل قلب الكافر والمنافق ، والثاني قلب عمّال الله من الموحّدين ، والثالث قلب وليّ الله وخاصّته ، هو في قبضته وهو مستعمِله ، قد انقطعت أطماع العدوّ من الاشتغال بوساوسهم . ألم تر إلى قول رسول الله ﷺ : ما لقي الشيطان عمر إلاّ خرّ لوجهه ، من السلطان الذي في قلبه . ولذلك قال النبيّ ﷺ : من هاب الله أهاب الله منه كلّ شيء ، ولذلك قيل : كانت درّة عمر رضي الله عنه أهيب في صدور الناس من سيوف الخلق . ولذلك قال سعد بن معاذ رضي الله عنه : ما قمت في الصلاة فألهاني عنها شيء سواها .

---

٢) الذي ن (تصحيح بالهامش ، في الصلب : الدين) ، د : الدين ج ٦) نقصانًا ج : نقصًا ن ، د
٨) أمورهم ج : أمرهم ن ، د ‖ صارت : صاروا ج ، ن ، د ١٢) مطمع ج : طمع ن ، د ‖ عمله ج ، د : طمعه ن ١٤) كثيرون : كثير ج ، ن ، د ١٧) هو د : هو ج ، ن ‖ مستعمله ج : يستعمله ن ، د

....

٧) إبراهيم النخعي ، قارن : GAS 1,403, Nr. 4
١٨) قارن : ١٤٧ ، ١٥
٢١) سعد بن معاذ ، قارن : الوافي ١٥ ، ١٥٢ ، رقم ٢٠٤

فانقطاع الوسوسة في الصلاة لقلوب قد امتلأت من عظمة الله ، فأشرق نور العظمة في صدورهم ، فهو / يسبح في بحار العظمة ، فمتى يقدر العدوّ أن يحدّثه بأحاديث ٨١ أ الدنيا ، أو متى يلتفت ذلك القلب إلى شيء وهو في ذلك البحر هائم باهت .

ولنا باب في كتاب الأصول في نحو من جلد ، قد فسّرنا منازل الصلاة والردّ على من أنكر انقطاع الوسوسة وزعم أنّ هذا لا يكون لأحد دون النبيّ ﷺ اقتباسًا من نفسه وتقديرًا من عند معرفته بنفسه ، ولا يعلم أنّ لله عبيدًا اختصّهم لنفسه وأحلّهم ذروة جبل الإيمان وفتح لهم باب النجوى وجعلهم جلساءه ، ويروي الحديث أنّه قال لموسى : أنا جليس من ذكرني ، ولا يعرف ما الجليس ، ولو عرف ما أنكر انقطاع الوسوسة ، — أولئك جلساء الله وذاكروه وقرّة عين الرسل وأهل بيت محمّد ﷺ ورضي عنهم ، بهم تقوم الأرض وتمطر السماء ، وهم أربعون رجلاً ، كلّما مات منهم رجل هيّأ الله لمكانه من يقوم مقامه .

(٩)

فأمّا ما سألت : ما ضرر الوسوسة في الصلاة ؟

فمثل ذلك مثل رجل رُفعت إلى الأمير مساوئه وشُكي ، إذ بدت له حاجة إلى الأمير ، فمشى إليه معتذرًا ممّا رُفع إليه وطالبًا لتلك الحاجة ، فلمّا بلغ باب الأمير أرسل إليه خدمه وعبيده ومال إلى شهوة من شهواته ، فإن قام هؤلاء الخدم بين يدي الأمير فاعتذروا إليه عن سيّدهم ورفعوا إليه حوائجه قال الأمير : فأين صاحبكم ؟ قالوا : قد كان بالباب ولكن اعترضت له شهوة ولذّة ، فاشتغل بها عن المصير إليك — أليس هذا ساقطًا / عند الأمير ؟ ويُوضَع ذلك من أمره على الاستخفاف والاستهانة بما رُفع إليه ، فكذلك المصلّي إنّمَا هُيّئت له هذه الصلاة للتوبة والاعتذار والملق والرغبة والتنصّل ممّا فعل . فإذا فعل ذلك بالجوارح وغاب القلب عن ذلك الفعل كان بمنزلة ما ذكرنا من شأن هؤلاء الخدم الذين وقفوا بين يدي الأمير وغاب عنهم رئيسهم .

---

٤) جلد ج ، ن : بجلد د   ١٣) ما ضرر ج ، ن : من ضرر د ‖ فمثل ن : مثل ج ، د   ١٥) أرسل ج ، ن : الرسل د   ١٨) اعترضت ج ، ن : عرضت د   ١٩) ساقطًا : ساقط ح ، ن ، د

....

٤) قارن : نوادر الأصول ٢٦١ . أصل ٢٢١

٧ – ٨) قارن : HT 167, Anm. 456

فقد أجملنا جوابنا في هذه المسألة لعامّة مسائلك في هذا الباب.

(١٠)

وسألت: ما سبب الحساب على العباد؟ فإنّه يحاسَب على اليسير من الدنيا ويُعطَى في الآخرة الكثير بغير حساب؟

فاعلم أنّ العبد خُلق للعبودة، فكلّ حركاته وسعيه وتناوله من الدنيا محفوظ عليه مكتوب عليه مسؤول عنه: مِن أجل مَن تحرّك، ومن أجل مَن سعى ومن أجل مَن تناول. فما حرّم منها عليه لم يكن له فيه حجّة والعقوبة واجبة إلاّ أن يعفو، وما أُحلّ له منها. فإن كانت له نيّةٌ في كلّ أمر فقد أتى بالعبودة ووجب الثواب، فإن غفل عن النيّة وكان ذلك منه بشهوة نفسه وهواه لم يأت بالعبودة ولم يجب له ثواب وتعطّل من أيّامه وعمره التي هي حجّة عليه بقدر ما غفل، وكان ذلك حسرة عليه يوم القيامة حيث يُري أفعالاً قد أُبيح له فعلها ولم يُرِد بها الله ولا ابتغاء وجهه ولا طلب مرضاته، وإنّما أراد قضاء شهوته وإيثار نهمته.

وذلك الذي خَرِب قلبه وصدره حتى صار محجوبًا عن الله وعن تدبيره وعن دار آخرته. فوقع من أجل ذلك في التخليط، وقلّ خوفه وحياؤه عن الله، وغلب الجهل
٨٢ أ بالله على قلبه. وقلّ علمه / بالله. وعين الله عليه وإحسانه عليه.

فوقع عليه الحساب يوم القيامة في كلّ سعي وحركة تناوُلٍ من الدنيا: ماذا أردتَ بها؟ لأنّه تناول نعمة الله وغفل عن الشكر وضيّع العبادة، وقال في تنزيله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾، وإنّما صارت جميع الحركات المُثبَتة الذي خرج من الغفلة عبادةً بدوام ذكر الله في كلّ سعي وحركة، ولذلك قال رسول الله ﷺ: أشدّ الأعمال ثلاثة: ذكر الله على كلّ حال والإنصاف من نفسك ومؤاساة الأخ في مالِكَ.

وأمّا ما ذكرتَ أنّك رأيتَ المجتهدين في أعمال البرّ لم يبلغوا — ورأيتَ من لم يجتهد ذلك الجهد وقد بلغ؟

---

١) مسائلك ن. د: مسائل ج ٧) منها عليه ن: عليه منها ج. د ١٤) خوفه وحياؤه ج، ن: حياؤه وخوفه د

....

١٧) – ١٨) القرآن الكريم ٥١/٥٦

فذاك لفتحِه باطنَه بلغ ، والمجتهد لفساد باطنه لم يبلغ ، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : إنّ بدلاء أمّتي لم يبلغوا ولم يدخلوا الجنّة بكثرة صوم ولا صلاة ، إنّما دخلوها برحمة الله وسلامة الصدور وسخاوة الأنفس والنصيحة لله تعالى والرحمة لجميع المسلمين وبتقوى الله تعالى.

ورُوي عن رسول الله ﷺ أنّه قال : تجد الناسَ معادن خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، فمن كانت له أخلاق وسماحة ولين قلب وعطف ورحمة وسخاوة نفس في الجاهليّة ، فإذا فقه الإسلام وفهمه كان خيارهم في الإسلام.

فالناس أصلهم من التراب ، فكما كان بعض التراب معدن فضّة وبعضه معدن ذهب وبعضه معدن حديد وبعضه معدن رصاص وكحل وزرنيخ وأشباه ذلك ، فإنّما خلقوا من وجه الأرض ، فلمّا نفخ الروح فيه رجع كلّ إلى / تربته ومعدنه ، وقال ﷺ : تجد ٨٢ ب الناس كالإبل المائة ولا تجد فيها راحلة. والذي يصلح من الإبل للراحلة يكون نجيبًا ، فالنجائب قليلة والإبل كثيرة ، والنجيب يسير سيرًا هادئًا مستقيمًا قصدًا إذا سار ، وإذا حُمِّل حمل الأثقال لنجابته وكرمه.

فأعلم الرسول ﷺ أنّ الذي يسير إلى الله سيرًا هادئًا مستقيمًا ويحتمل أثقاله وأثقال العبودة لَقليلٌ كما قلّ وجود الراحلة في الإبل ، لأنّ الراحلة تصلح للسير والركوب ، وسائر الإبل ثقال إنّمَا تصلح للحمولة.

فالمجتهدون مع أخلاق ضيّقة مشتبكة لم يروضوا أنفسهم ، فثوابهم الجنّة إذا صدقوا في جهدهم ، والذين راضوا أنفسهم وأدّبوها حتى تخلّقوا بأخلاق الكرام فثوابهم من القربة ، فتح الله لقلوبهم طريقًا إلى الله حتى أشرقت الأنوار في صدورهم وعلموا من الله ما لم يعلمه المجتهدون ، ولا يستوي العلماء والجهّال ، ولا يستوي الفرسان وأصحاب الحُمُر في السير وقطع المسافات.

وقال في تنزيله : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ ، فمن جاهد نفسه في أخلاق السوء حتى تركها هداه لسبيله ، أي : فتح لقلبه طريقه إليه لأنّ تلك الأخلاق هي التي حجبته عن الله تعالى.

---

٥) – ٦) المعجم المفهرس ٤ ، ١٥٦آ ؛ حلية ٦ ، ٢٥٦ ، ١٠

١٠) – ١١) المعجم المفهرس ٢ ، ٢٣٢ب ؛ وقارن : نوادر الأصول ١٨٠ ، أصل ١٤٤

٢٢) القرآن الكريم ٦٩/٢٩

ورُوي لنا عن رسول الله ﷺ أنّه قال : رأيت رجلاً من أمّتي جاثيًا على ركبتيه فجاءه حسن خلقه فأدخله على الله ، فقد أنبأك في هذا الحديث أنّ سوء الخلق يحجب القلب ٨٣ أ عن الله تعالى ، ولذلك / قال في حديث سلمة بن وردان عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ : من ترك الكذب وهو باطل بُني له في ربض الجنّة ، ومن ترك المراء وهو مُحقّ بُني له في وسطها ، ومن حسن خلقه بُني له في أعلاها ، وأعلى الجنّة منازل المقرّبين.

وحسن الخلق عندنا على ثلاثة منازل ، فأوّل منزل منها أن يحسن خلقه مع أمره ونهيه ، فإذا ائتمر بأمره وانتهى عن نهيه فقد صار إلى أوّل منزلة ، ثم بعد ذلك يحسن خلقه مع جميع خلقه من الآدميّين والحيوانيّين ويداريهم ويحسن معاشرتهم ، فهذه أوسط منزلة ، ثم بعد ذلك يحسن خلقه مع الله في أرضه ، فهذه أعلى منزلة ، فمن بلغ هذه المنزلة الثالثة فقد كمل واستوجب أعلى الجنان ، وذلك قوله : ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ ، فالزكاء في القلب والنموّ في الصدر.

قال له قائل : وكيف يحسن خلقه مع الله؟

قال : ما دبّر له في أرضه من الأحوال ولسائر عبيده قنع ورضي به وألقى بيديه سلمًا ، وكيف يحسن خلق امرئ كان في سفر فنزل منزلاً ، فأنزل الله رحمته ليسقي عباده وبلاده وبهائمه ويحيي أرضه لمعاش أمّة لا يحصى عددهم ، وهو يكره ذلك ويثقل عليه تدبيره ويأبى ويضيق صدره ، فإنّما ذلك للشهوة التي فيه ، يريد أن يقضي نهمته ، فهذا سيّئ الخلق مع الله ، يدبّر لنفسه ولا ينظر إلى ما سبق له سن تدبير الله قبل خلق العرش ٨٣ ب والكرسيّ واللوح والقلم ، وذلك يوم المقادير ، فإذا انتقض عليه تدبيره / لنفسه ضاق صدره وتلوّى وتكدّر عليه يومه.

(١١)

وسألت : ما هي وكيف الزهد فيها وعن أشباه ذلك من المسائل؟

فقد أكثرتَ وأنا أجمل لك : إنّ الدارين خُلقتا للآدميّين ، فهذه دنيا وتلك آخرة ،

١٠) لهم ج ، د: هم ن ١٢) فالزكاء ج ، د: فالزكي ن

٣) سلمة بن وردان . قارن : تقريب ١ ، ٣١٩ ، رقم ٣٨٧ ؛ تهذيب ٤ ، ١٦٠ ، رقم ٢٧٥

٤) قارن : نوادر الأصول ٢٧٤ ، أصل ٢٣٠

١٠) - ١١) القرآن الكريم ٢٠/٧٥ - ٧٦

وسُمّيت دنيا لأنّها أدنى إليك من تلك ، وسمّيت في موضع آخر أولى ، قال في تنزيله : ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ ، وسمّيت في موضع آخر عاجلة وتلك آجلة.

فهما داران ، إحداهما ثواب لأعمال هذه الدار ، فنعيم تلك الدار ثواب دائم لا ينقص ولا يفنَى أبدًا ، ونعيم هذه الدار من نثارة تلك الدار ، هي بلغة ومتعة وزاد وأهلها مجتازون إلى تلك الدار.

فمن ترك العبودة وذهب برقبته فضيّع أمر الله وفرائضه وتعدّى في حدوده بهذه الجوارح السبع : بطنه ولسانه وفرجه ويده ورجله وسمعه وبصره — فقد هيّأ له سجنًا مشحونًا بغضبه وسخطه وناره وألوان العذاب.

فإنّما ذُمّ من الدنيا كلّ شيء خلا من طاعة الله ، فإذا عصي الله بذلك الشيء ذهبًا كان أو فضّة أو مأكولاً أو مشروبًا أو ملبوسًا فتلك دنيا مذمومة . وكلّ ما ذكر من الذمّ في العلم فإيّاه عنى ، وذُكر عن رسول الله ﷺ أنّه قال : الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلاّ ذكر الله وما آوى اليه ، يعني : الطاعات وجميع ما ابتُغي به وجه الله من الأعمال ، فهو الذي يأوي إلى ذكر الله ، فكم من درهم عُصي الله به ! فتلك دنيا مذمومة غرّته حلاوته وأمسكه لنهمته حتى عصى الله فيه ، وآخَرُ مَلَكَه لله وأمسكه لله حتى أنفقه في حقّ فأطاع الله فيه ، فتلك آخرة / عملها في دار الدنيا . وقال في تنزيله : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ ٨٤ أ
عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ، ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾.

فالكافر نهمته في الدنيا وما فيها وهو عن الآخرة غافل ، والمؤمن نهمته الآخرة وما فيها ، ولكنّه مبتلى بشهوات الدنيا ولذّاتها ، فإن حفظ الحدود ولم يتناول منها ما حرّم الله عليه فقد صدق الله في إيمانه ، وإن وقع فيها بغلبة وزلّة وغرّة فالتوبة مقبولة إن تاب ، وإن قدم على الله غير تائب فأمْرُه إلى الله إن شاء عذّبه وإن شاء عفى عنه ، وله حرمة الإيمان يومئذ أن لا يخرج من سرادق الرحمة كما يخرج الكفّار ولا يقام في صفوفهم ولا يسودّ وجهه مع المسودّين.

---

٣) إحداهما ق. د: إحديهما ج

....

٢) القرآن الكريم ٩٢/١٣ ؛ معجم ألفاظ القرآن ٤٤٧ ب

١١) – ١٢) المعجم المفهرس ٦ ، ١٢٦ ب

١٥) – ١٧) القرآن الكريم ١٧/١٨

(١٢)

وسألت عن حال النبيّ ﷺ أنّه كانت له قرى وعبيد وإماء، ومن المراكب بغلة وناقة، وقوله: إنّ لنا مائة شاة، وما كان يعطي نساءه من النفقات والتمر والأوساق؟

فإنّ رسول الله كان خازنًا من خزّان الله، فما كان يمسكه فإنّما يمسكه على نوائب حقوق الله – بمنزلة عبد أعطاه مولاه مالاً فهو يمسكه، فأين ما أشار مولاه إلى شيء صرفه هناك.

ألا ترى أنّه قال: إنّا معاشر الأنبياء لانورث، ما تركنا فهو صدقة، لأنّ الأنبياء عليهم السلام خزّان الله وسائر الخلق مرتزقة، فإذا رزق العبد شيئًا فقد ملك ذلك الرزق فهو ينفقه وما تركه فهو ميراث لورثته. ومَن ملك من الدنيا شيئًا فتناوله وأمسكه ليقوم به في حقوق الله فهو مأجور، وإنّما هرب منها من هرب لضعف / قلبه وقلّة يقينه، خاف ٨٤ ب من نفسه أن يفتتن بها وتصبيه حلاوتها وأفراحها حتى تلهيه عن ذكر الله وأمره، فقد حذّر الله المؤمنين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾. فقد عُلِم أنّه يُلهي العباد، والصدّيقون ألهاهم حبّ الله وجلاله وعظمته، فلم يقدر المال أن يلهيهم لأنّ حلاوة حبّ الله غالب على حلاوة حبّ المال – بمنزلة من لعق عسلاً فهو في حلقه يتلمّظ حلاوة ذلك. فإن أكل على أثر ذلك فرصادًا أو مشمشًا لم يكن لتلك الحلاوة سلطان يلهيه عن حلاوة العسل.

ومن غلب على قلبه عظمة الله وجلاله وقدرته لم يبق للمال على قلبه من السلطان ما يغلب على قلبه بما فيه من علمه بالله وعظمته. فالصدّيقون بهذه القوّة تناولوا من الدنيا، وإلاّ فكيف يستجيز أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقّاص وسعد الذي اهتزّ العرش لموته وعامّة النجباء وعليّة أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم أجمعين ووزراؤه وأئمّة الهدى أن يملكوا من الدنيا ما ملكوا، وكان لأحدهم كلّ يوم غلّة ألف درهم، ولأحدهم من الذهب ما يقطع بالفؤوس يوم قُسم

---

٥) أشار نَ، دَ: شارجَ (تحريف) ٩) لورثته جَ، نَ: لوارثيه دَ ١٨) بما: ما جَ، دَ، نَ ‖ تناولوا جَ، نَ: ينالون دَ ١٩) بن عوف نَ، دَ: – جَ ٢١) ورضي جَ، نَ: رضي دَ

....

٧) المعجم المفهرس ٧، ١٨٤ آ

١٢) – ١٣) القرآن الكريم ٦٣/٩

ميراثه، وإنّما تناولوا هذا بقوّة القلوب وعلمهم بالله، ويعطون لله وينفقون على أنفسهم لله.

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ حيث قال له رجل : يا رسول الله، عندي دينار ما أصنع به؟ قال : أنفقه على نفسك ! قال : عندي آخر ! قال : أنفقه على أهلك وولدك ! قال : عندي آخر ! قال : أنفقه على أبويك ! قال : عندي آخر ! قال : أنفقه في سبيل الله ! وذلك أخسّهنّ وأدناهنّ !

أَوَلا ترى أنّه جعل النفقة على نفسك أفضل الدنانير، فهذا إذا أنفقه / لله لا لنهمة ٨٥ أ
نفسه وشهوته !

وأمّا هؤلاء أبناء الدنيا فإنّها أخذوا الدنيا رغبة وحرصًا للتكاثر والفخر والخيلاء والتنافس وقضاء الشهوات، فما أمسكوا منها فلخوف الرزق والنهمة، وما أنفقوا فللنهمة وقضاء الشهوة واللذّة. ولا نيّة لهم ولا حسبة في أخذها ولا في إمساكها ولا في إنفاقها، فالحساب الشديد الثقيل عليهم، منعوا حقّ الله فيه وكثرت خصومهم.

فقال الله في تنزيله : ﴿أَنَّما أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، ففتنة المال والولد حبّها، وتلك الحلاوة سمّ يدبّ في العروق فيشتمل على الجسد، فمن كان قبل ذلك يُسقَى الترياق لم يضرّه ذلك السمّ، والترياق هو حلاوة حبّ الله، لأنّ الترياق إذا شربه صاحبه امتلأت عروقه منه، فلم تضرّه الحمة لأنّ السمّ لا يجد مساغًا، فكذلك من امتلأت عروقه من حبّ الله لم تجد حلاوة حبّ المال في عروقه مساغًا.

فمن تناول من الرسل صلوات الله عليهم مثل إبراهيم خليل الله وأيّوب ويوسف وداود وسليمان – إنّهم يتناولون من سعة المال ومتاع الدنيا – فإنّما تناولوها بهذه القوّة، فكذلك رسولنا ﷺ : فتحت عليه خيبر وأُعطي فَدَكَ في أموال بني النضير، فكان يمسكها على نوائب الحقّ، وكذلك أصفياء أصحاب رسول الله ﷺ مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد رضي الله عنهم أجمعين، فهؤلاء خلفاء

---

٦) أخسّهن جَ، نَ : أحسنهن دَ ٧) أولا جَ، نَ : ألا دَ | فهذا جَ، نَ : وهذا دَ || أنفقه نَ، دَ : أنفقته جَ ١٠) منها نَ، دَ : – جَ ١١) حسبة جَ، دَ : حسنة نَ ١٩) يتناولون : تناولوها جَ، نَ، دَ : تناولها جَ : يتناولوا نَ، دَ ٢٠) رسولنا نَ، دَ : رسول الله جَ

....

٣) – ٦) المعجم المفهرس ٦، ٥١٩آ
١٣) القرآن الكريم ٢٨/٨

رسول الله ﷺ ووزراؤه، كانت أموالهم ظاهرة وأوقافهم من بعدهم إلى يومنا هذا قائمة.

٨٥ ب فهذه كلّها نعم الله أنعم بها على عباده، فمن شكر الله على هذه النعم فقد عبد الله / بدنياه، ومن عصاه من أجل هذه النعم فتلك دنياه المذمومة التي أعرض الله عنها وأبغضها، ألا ترى أنّه قال في شأن الغنيمة: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّبًا﴾، وأيّ شيء يكون أحلّ من هذا وأطيب؟ وهذا يوم بدر، فلمّا كان يوم أحد في العام الثاني تركوا المركز الذي قال لهم رسول الله ﷺ: لا تبرحوا من ههنا، فلمّا رأوا الغنائم والهزيمة على المشركين تركوا مركزهم وقصدوا الغنائم، انقلبت الهزيمة عليهم حتى قُتلوا وكسرت رباعيّة رسول الله ﷺ وجُرح في وجهه، فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾، يعني به الذين تركوا المركز، وإنّما قصدوا الغنائم وقد أُحلّت لهم ولكن عصوا الله فيها، فصارت دنيا مذمومة، فسمّاها دنيا، وذمّهم عليها، فإنّما ضَيّق على من ضَيَّق صُنْعًا له لعظيم الخطر فيه، ولذلك قال الله لموسى: إنّي لأذود أوليائي عن شهوات الدنيا كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة وأجنّبهم شهواتها ونعيمها كما يجنّب الراعي إبله عن مَبارِك العرّة، يعلّمك أنّ في خلال هذه النعم دِفلَى وأنّ في مباركها عرّة.

فكذلك يخاف على نفوس الأولياء أن تطمئنّ ولو لحظة إلى سلوة وزهرة من نعيم الدنيا. ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وكان رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية يحذّر ما حذّر، حتى /
٨٦ أ إنّه مرّ يومًا بإبل سمان تمشي في أبوالها من السمن، فلفّ رأسه في ملاءته وأخرج إحدى عينيه يمشي بها حذرًا أن يمدّ عينيه إلى تلك الإبل.

فإذا كان رسول الله ﷺ لا يأمن فمَن بعده أحرى، ولكن هؤلاء القوم لم يطلبوا بحرص. ولكن سعوا على عيالاتهم فبورك لهم، فأمسكوها بقوّة القلوب على نوائب الحقّ

---

٣) عصاه جَ. دَ: أعطاه نَ ‖ الله نَ، دَ: — جَ ٥) العام جَ، نَ: العالم دَ ١٤) دفلى جَ: دفلاً نَ: دِفلاً دَ ‖ في جَ، نَ: من دَ

....

٤) القرآن الكريم ٨/٦٩

٨) – ١٠) القرآن الكريم ٣/١٥٢

١٢) – ١٤) الأولياء ١٣٥. مادة ١١٥؛ حلية ١: ١١. ٤

١٦) – ١٧) القرآن الكريم ٢٠/١٣١

على تلك القوّة التي وصفنا بديًّا ، وبلغنا أنّ إبراهيم كانت له بقر ، وكانت عجاجيله تسمّن على ألبان مثل الزبد من البركة ، فكانوا يعطون المال فيمسكون على تدبير الله لهم ، كما فُتح على رسول الله ﷺ فَدَك وأموال بني النضير فصُيّرت طعمة له إلى أن مات ، فقال الله : ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ ، فأُعطي سلطانًا على قريظة والنضير من غير قتال وحرب ، وخُصّ بتلك الغنائم دون أصحابه ، فكان ينفق منها في نوائبه ، فهذا تدبير الله له ، فكان لا يطلب ولا يخرج من تدبير الله ، إذا أعطاه أنفق وأمسكه على نوائبه .

(١٣)

وسألتَ عن قوله : إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ، قلتَ : هل يفضّل التقيّ مع قلّة العلم على العالم الكثير العلم إذا لم يكن معه التقوى؟

فاعلم أنّ الذي لا يكون معه كثير تقوى ليس بعالم ، ذلك حمّال أسفار ، قال الله في تنزيله : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ ، الآية ، عن مجاهد ، قال : إنّمَا العالِم الذي يخاف الله.

فالعلماء ثلاثة : عالم بالله ليس / بعالم بأمر الله ، فهذا نسيج وحده ، وعالم بالله وعالم ٨٦ ب
بأمر الله ، فهذا كامل ، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله ، فهذا إنّما لزمه اسم العلم لِعِلمِه بأحكامه ، فإذا كان جاهلاً بالله فذاك العلم يحرقه لأنّه يستكبر به ويطلب رياسة ويأكل به حطام الدنيا .

(١٤)

وسألتَ عن قول من قال : ليس في الفرض رياء وإنّ للفرض زينة وحُسنًا .

---

١) وبلغنا نَ . دَ : بلغنا جَ ‖ عجاجيلة نَ ، دَ : عجاجليه جَ ٤) الله دَ : — جَ : تعالى نَ
٥) سلطانًا نَ . دَ : سلطان جَ ٧) ولا نَ ، دَ : وكان لا جَ ‖ أمسكه نَ : أمسك جَ ، دَ
١٢) يحمل — ١٣) الآية جَ : الآية نَ : يحمل أسفرًا دَ ١٩) حسنًا : حسن جَ ، نَ ، دَ

....

٤) — ٥) القرآن الكريم ٥٩/٦
٩) المعجم المفهرس ٦ ، ٣ ب
١٢) القرآن الكريم ٦٢/٥
١٣) مجاهد . قارن : GAS 1.29, Nr. 3

والفرض قد عمل به العامّة ، فكيف يُراءى بشيء قد تعمله العامّة؟ وهم في فعله شَرَّع سواء فَلِمَ يُراءى؟ كلّهم عُمّال بذلك ، إنّما الرياء في زينته وحسنه ، فإذا استعمل تلك الزينة وذلك الحسن في فرضه كان رياؤه في ذلك دون نفس الفرض.

(١٥)

وسألتَ عن الفرق بين التقوى والورع.

فالتقوى وقاية القلب ، والورع هو الكفّ عن كلّ ما نهى الله عنه.

ورُوي عن واثلة بن الأسقع ، قال : قلت : يا رسول الله ، من الوَرِع؟ قال : الذي يقف عند الشبهة.

فأعمال الوَرِع بالجوارح ، والتقوى بالجوارح والقلب ، وذلك قول رسول الله ﷺ : ألا إنّ التقوى ههنا . وأشار إلى صدره ، وقال في تنزيله : ﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾.

فالتقوى حسن النيّة وسلامة الصدر من الآفات ، وذلك أنّ الله وضع في الأرض بيتًا استخلصه لنفسه وجعله مبوّأ ذكره ، وسمّاه كعبةً وحرمًا ، وجعله قيامًا للناس ، وسمّاه البيت المحرّم ، وسمّاه بكّة – ووضع في جوف الآدميّ قلبًا استخلصه لنفسه ، فلم يكله إلى أحد . وجعله بين إصبعين من أصابع الرحمن ، ولم يُطلع عليه مَلَكًا ولا نبيًّا ولا أحدًا من خلقه ، فهو يقلّبه كيف يشاء ، ووضع فيه معرفته حتى استنار / بنوره ، وضرب له مثلاً في ٨٧ أ
تنزيله ، فقال : ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ ، فمصباح الله من نوره في قلوب الموحّدين ، ثم جعل صدره له حرمًا ، وجعل للقلب عينين يبصران بذلك المصباح ما يجري في الصدر.

فمن اتّقى على كعبة الله وحرمه أن يحدث فيه فسادًا أو معصية فههنا أحقّ أن يتّقي على قلبه وصدره أن يحدث فيه غلاًّ أو غشًّا أو سوءًا حتى يتأدّى ذلك إلى جوارحه ، فيفتضح عند ربّ العالمين.

---

٩) فأعمال ج . ق : وأعمال د ١٥ – ١٦) من خلقه ج ، ق : – د

....

٧) واثلة بن الأسقع . قارن : أسد ٥ ، ٤٢٨ ، رقم ٥٤٢٢ || المعجم المفهرس ٣ ، ٦٤ آ
٩) – ١٠) المعجم المفهرس ٧ ، ٣٠٠ ب
١٠) – ١١) القرآن الكريم ٣٧/٢٢
١٧) القرآن الكريم ٣٥/٢٤

(١٦)

وسألتَ عن قول الله في شأن الآكل من البيوتات التي سمّاها ، ثم قال : ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ .

فهو كما ذكر الله ، وكلّ اسم في التنزيل فهو على الحقيقة ، فالصديق من صادقك في كلّ شيء دنيا ودينًا ، وائتمنك على دينه ودنياه وائتمنته على دينك ودنياك.

فإذا لم تأمن خيانته في شيء واحد وإن دقّ فالصدق مفقود ، فإيّاك وأن تتناول شيئًا إلاّ بإذنه ، ورُوي عن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن الحنفيّة أنّه قال لقوم : أيدخل أحدكم يده في كيس أخيه ؟ قالوا : لا ! قال : لستم بإخوان ، فإذا ذهبت الأخوّة فليست هناك صداقة.

(١٧)

وسألتَ عن قوله : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ، فسّروا ذلك الكحل والخاتَم ، وقوله : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ ، فليست هذه الآية بداخلة على تلك ، فهذا غضّ البصر عن عورات الرجال والنساء ويحفَظوا فروجهم ، أن لا يتعرّوا ويستتروا ، وذلك الذي يظهر من النساء الوجهُ واليد لأنّها تمشي فتحتاج إلى أن تكشف عن بعض وجهها وتتناول باليد فتكشف عن بعض يدها ، فالعضو الواحد إذا حلّ النظر إلى بعضه حلّ إلى الكلّ / من ذلك العضو بعد أن لا ينظر بشهوة. ٨٧ ب

(١٨)

وسألتَ عن قوله : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ ، مَن القليلُ ههنا وما معنى الاستثناء ؟

فإنّ الاستثناء واقع على ما تقدّم من الكلام ، على ما رُوي عن ابن عبّاس ، وهو

---

٦) تأمن جَ ، نَ : تأمن من دَ ٨) فليست جَ ، دَ : ليس نَ ١٣) ويحفظوا ... : كذا ١٤) الى جَ ، دَ : – نَ

....

٢) – ٣) القرآن الكريم ٦١/٢٤

١١) القرآن الكريم ٣١/٢٤

١٢) القرآن الكريم ٣٠/٢٤

١٨) القرآن الكريم ٨٣/٤ ، قارن جامع لبيان ٥ ، ١١٦

قوله : ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ ، إلاّ قليلاً منهم . فأمّا الفضل والرحمة : إذا فُقدا فقد اتّبع الشيطانَ الجميعُ ، وإنّما ترك كلّ من ترك اتّباع الشيطان فبفضل الله وبرحمته ترك ، ولولا فضل الله ورحمته لاتّبعوا كلّهم الشيطان ، وما نال آدميّ خيرًا دقّ أو جلّ إلاّ بفضل الله ورحمته.

(١٩)

وسألتَ عن قوله : يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبّة ذرّة ومثقال شعيرة من خير ، وذكرتَ أنّ خروجه بلا إله إلاّ الله أَولى من خروجه بالخير؟

فاعلم أنّ الله يُشفّع الرسلَ والملائكة فيمن يوجد عنده شيء من الخير وإن دقّ ، لأنّ ذلك الخير هو تصديق الإيمان.

وأمّا من لم يوجد عنده تصديق فذلك في غيب الله ، فالله أَولى بالعفو عنه ، ألا ترى أنّه قال في حديث الشفاعة : قال : فأقوم في المرّة الرابعة فأقول : يا ربّ شَفّعني فيمن قال مرّةً واحدةً لا إله إلاّ الله ! فيقول : يا محمّد إنّها ليست لك ولا لأحد من خلقي ، فتخرج الرحمة فتسأل ربّها فيخرجون برحمة الله.

(٢٠)

وسألتَ عن الاعتصام بحبل الله وعن الاعتصام بالله.

فإنّ الله خلق العباد وهو أعلم بما يفسدهم / وما يصلحهم ، فحرّم وأحلّ وأحلّ كما ٨٨ أ
حرّم بعلمه بفسادهم في ذلك ، فحبل الله القرآن ، وهو كلام طرف منه عند العباد وطرف عنده ، ولذلك ما رُوي عن رسول الله ﷺ ، قال : فإذا اعتصمتم بالله فمن الذي يفسده ، فإنّما يعتصم بهذا الحبل لأنّه لا يدري من الذي يفسده إلاّ بما بيّن له في هذا

---

١) منهم – منهم نَ ، دَ : إلا قليلاً منهم جَ ٢) فقدا – اتبع نَ : فقدا اتبع جَ : فقد تبع دَ ٣) نال نَ ، دَ : قال جَ ٦) ذرة جَ ، نَ : – دَ ٨) يشفع جَ ، ن : شفع دَ ‖ فيمن يوجد جَ ، نَ : فمن وجد دَ ١٠) فذلك جَ ، نَ : فذاك دَ ١٦) وأحل جَ : – نَ ، دَ ١٧) بعلمه نَ ، دَ : فعلمه جَ ١٨) ما جَ : – نَ ، دَ ١٩) لأنه جَ ، نَ : أنه دَ ‖ بيّن جَ ، نَ : يَبين دَ

....

١) القرآن الكريم ٤/٨٣
٦) المعجم المفهرس ١ . ٢٩٤ ب
١١) قارن : ٤٢ ، ١
١٨) – ١٩) المعجم المفهرس ٤ . ٢٥٠ آ

القرآن ، فلولا القرآن ما اهتدى العباد لما يصلحهم ممّا يفسدهم ، فمن تأدّب بأدب القرآن فقد اعتصم بحبل الله ، أي : امتنع بحبل الله عن ما يفسده.

وثم للنفس بعد علمه بما في هذا القرآن تنازع وخصومة وتوثّب في هذه المحارم ، ويحتاج العبد إلى أن يعتصم بالله ويجاهد نفسه بقوّة ما أُعطي من العلم والعقل والفهم والحفظ والذهن والمواعظ ، ويعلم مع ذلك أنّه لا يُنجيه من ذلك إلاّ فضل الله ورحمته ، فإذا كان قلبه مع الله في ذلك ولا يلجأ إلى أحد سواه في الامتناع من ذلك السوء كان قد اعتصم ، وإذا التجأ إلى قوّته وإلى ما أعطي من العلم كان قد ترك الطريق فخُذل ، قال الله : ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

تمّت أجوبة المسائل بحمد الله وعونه وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم تسليمًا.

---

٧) واذا جَ ، نَ : وإلى دَ ٩) تمت – تسليمًا جَ : تمت أجوبة المسائل بحمد الله وعونه وصلواته على سيدنا محمّد وآله وسلامه وحسبنا الله ونعم الوكيل نَ : تمّت أجوبة المسائل بعون الله تعالى ومنّه وحسن مشيئته وتوفيقه ، والحمد لله أوّلاً وآخرًا وصلواته على سيّدنا محمد نبيّه وآله وصحبه وسلامه دَ

....

٨) القرآن الكريم ١٠١/٣

ثلاثة مصنفات للحكيم الترمذي

كتاب سيرة الأولياء

جواب المسائل التي سأله أهل سرخس عنها

جواب كتاب من الري

باهتمام
بيرند راتكه

القسم الأول
النصوص العربية

بيروت ١٩٩٢
يطلب من دار النشر فرانتس شتاينر شتوتكارت

جَوَابُ كِتَابٍ مِنَ السَّرِيّ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وليّ الحمد وأهله ، والصلاة على رسوله محمّد وآله .

جواب كتاب من الريّ إلى أبي عبدالله رحمة الله عليه

(١)

قال الإمام أبو عبدالله رحمه الله : سلام عليك ورحمة الله وبركاته ! وصل كتابك وفهمتُه ، وذكرتَ : إنّي مشتاق إلى رؤيتك العزيزة ، فانظر – أبقاك الله – من أين هذا الشوق مهتاجُه وإلى أيّ شيء تشتاق لرؤيتي ، فإن كنت تشتاق فشوقك إلى ما أملتَ ، فقلتَ : عسى أرى عبدًا من عبيده عليه سمات العبودة ممّن أدّبه العزيز بلطفه ، لأَحتظي منه بعض سماته.

أو أرى عبدًا من عبيده ينطق عن آلاء مولاه بنعمة ربّانيّة ، لعلّه أن تخرق نعمته بعض حجبي فيصل إلى قلبي فيسبيه بصفات الآلاء.

أو أرى عبدًا موفور الحظّ من المشيئة ، وعين الله ترعاه ، عليه بهاء القربة وعليه لطف الرعاية ، وفيه بهجة الحظّ وله غنى المرعى ، فأجعله سببًا إليه .

أو عبدًا قد أخذ الله بيده وولي هدايته للطريق إليه حتى أقامه بين يديه ، فأَقتَبِس منه

١٢٩ ب علم الطريق – فإن كنتَ في إحدى هذه الوجوه ثم صبرتَ / على شوقك فأنتَ محمود مأجور.

ووصفت أنّ شأنك ومبتدأ أمرك أنّك نلت منزلة لا تعمل شيئًا إلاّ بإذن ، ثم صَحِبت

---

١) بسم – الرحيم نَ ، دَ : – جَ ٢) الحمد – آله نَ : – جَ ، دَ ٣) الى – الله جَ ، نَ : الى الحكيم أبي عبد الله الترمذي دَ || رحمة الله عليه جَ : رحمه الله نَ ، دَ ٥) وبركاته نَ ، دَ : – جَ ٦) وفهمته نَ ، دَ : – جَ ٧) أي جَ ، نَ : – دَ ١٥) الوجوه جَ ، دَ : – نَ

رجلاً ممّن ترجو الزيادة به. فتركت أمرك وأقبلت عليه فافتقدت الأمر الأوّل، — وهكذا يكون شأن من يطلب الخالق بالمخلوق.

الصادق في الطريق يطلب ربّه به لا بشيء سواه، ومبتدؤه كما ابتدأت فيه: أن لا تعمل شيئًا إلاّ بإذنه إلاّ الفرض الذي قد لزم الخلق، فكان هذا منك انقيادًا للعبودة وتسليمًا للنفس إليه، فكان سبيلك أن تدوم على هذا حتى تنظر ما يكون منه بعد هذا.

فإن العبد إذا أقبل إلى الله هاربًا من نفسه فارًّا إليه — كما قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾ — فالفرار من النفس إلى الله تعالى، فإن كان صادقًا قبل منه هذا الفرار، وآوى ونصر. وعلامة القبول والإيواء أن يَرِدَ على قلبه هذا الإذن. وعلامة النصر أن يكفّ عنه الوسواس. فهو يستمرّ فيه ويدوم عليه، فيحتاج إلى مدّة حتى يُحكِم هذا.

وهو بمنزلة عبد السبي: لا يعرف أمر مولاه وقد ألقى بيده سلمًا ينتظر ما يأمره مولاه. فهو ينتهي إليه حتى إذا أتت عليه المدّة بقدر ما يعرف أخلاق السيّد وقصده ومراده وضرر أمره ونفعه وصلح للتفويض إليه أعطاه رأس ماله وفوّض إليه أموره، فهو يأخذ ويعطي ويتّجر في ماله، ويضع ويرفع ويسوس عبيده الذين هم دونه ويُشرف على أمور سيّده. فلا يحتاج إلى إذن في كلّ كلام، لأنّه قد عرف أمر مولاه واستبطنه، فصلح لتدبير أمره وسياسة / عبيده. ١٣٠ أ

فإذا ذهب هذا العبد وهو سبيّ بعدُ فوضع يده في يد سبيّ مثله لم يبلغ هذا المحلّ ولم يصلح لتدبيره وسياسته وهو مثله ضعيف — فقد ترك طريقه وضيّع أمره، فينبغي له أن يستقبل الأمر استقبالاً.

وكذلك هذا العبد الذي بذل نفسه لله وانتظر الإذن في كلّ أمر يَرِد عليه الإذن، فيحتاج إلى مدّة حتى ينتهي إلى غاية، فهو في هذه المدّة في مزيد من الله، يزيده نورًا على نور، حتى يزداد بأمره بصيرةً ويموت منه كلّ داء دفين في نفسه حتى يقوى للتفويض إليه.

وقد شرحتُ هذا كلّه في كتاب أنفذته إليكم، عنوانه: كتاب سيرة الأولياء، فاطلبه تجد هذا كلّه فيه — إنّ شاء الله تعالى.

---

٣) أن لا جَ. ںَ: ألاّ دَ ٥) ما ںَ. دَ: بما جَ ٨) عنه جَ. ںَ: عنه هذا دَ ١٣) ويتجر ںَ. دَ: — جَ ٢٠) يزيده جَ: يزيد ںَ. دَ

....

٦) — ٧) القرآن الكريم ٥١/٥٠

٢٣) قارن: Einleitung 1.3.

فمن شأنك الآن استقبال الأمر والتوبة من الحدث الذي أحدثت وتسليم النفس إلى الله مبتدئًا والتبرؤ من الحول والقوّة والتضرّع إلى الله في الإقالة ، تخرج من حيرتك إن شاء الله تعالى . فتطهّرْ وصَلِّ ركعتين في بَراز من الأرض وتب إلى الله من الحدث الذي أحدثت في تركك طريقك وإقبالك إلى مخلوق مثلك ، واجعلْ هذا رأس أمرك .

فإنّ النفس تحتاج إلى مثل هذا حتى تعلم النفس استقبال الأمر ، ثم خذ بزمام جَمَلك فقُده إلى الله قودًا رقيقًا بلطف ، ولا تعرج يمينًا ولا شمالاً حتى تبلغ المنزل ولو امتدّت بك المدّة إلى وصول المنزل إلى آخر رمق من الحياة ، فلا تتحيَّر ولا تلتفت ، فإن بَعُدَ أجلك وقد وصلت إلى المنزل فطوباك ، وهنَّأك الله بطيب المنزل والرَوح والراحة التي نلتها ، فإنّك حللت بفِناء مَلِك كريم !

١٣٠ ب ولكنْ يا أخي لا بدّ لك من الجهد / في ترك الهوى حتى يرحمك فيردّ عليك ، فإذا ظفرت بذلك ذهب الجهد وسهلت الأمور عليك ، فالزم الطريق ! وعليك بالحزن والتضرّع والوحدة والصدق ، ولا تغرّنّك النفس مرّة فتغترَّ ! وما لم تأخذ بحلقة الباب مُغبَّرًا شَعِثًا فتنادِ نداء الغريب الذي قد أتى من شُقّة بعيدة منقطعَ الزاد حتى يرحمك ويفتح لك الباب .

فلا تلتفت إلى شيء لا إلى النفس ولا إلى غيرها ولا تشتغل بشيء إلاّ بأداء الفرائض ، ثم من بعد ذلك فضَعْ يدًا على يد . ولا تعمل شيئًا إلاّ بإذنه ، كما قال عمر ابن عبدالعزيز : السرور كلّه لمن وصل إليك .

(٢)

ذُكر في مسألة بعد هذه أنّ في الخبر عن إبراهيم قال : يا كريم العفو ، فلقيه جبريل فقال : يا إبراهيم ، هل تدري ما كريم العفو؟ قال : أخبرني يا جبريل ! قال : إنّه لم يرض بالعفو عن السيّئة حتى أبدل مكان كلّ سيّئة حسنة .

---

٣) صل ن ، دَ : صلى جَ   ٤) مثلك جَ : — نَ ، دَ   ٧) من جَ ، دَ : — نَ   ١٠) عليك جَ ، نَ : عينك دَ   ١١) بذلك جَ ، دَ : بذاك نَ   ١٣) فتناد : فتنادى جَ ، نَ ، دَ   ١٧) توجد في جَ بهامش هنا مسألة أخرى لا توجد في نَ و دَ ، ويبدو أنّها ليست من هذه المجموعة للمسائل أصليًا ، لذا ما أوردناها
١٩) ذكر في جَ ، نَ : — دَ

. . . .

١٦) عمر بن عبد العزيز . قارن : EI

وقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه : استجودوا نعالكم فإنّها خلاخيل الرجال. وقال رسول الله ﷺ : البسوا نعالكم فإنّها جمالكم.

(٣)

مسألة أخرى في الأدب

قال الإمام أبو عبدالله رحمه الله : سألتَ عن الأدب في الدين ، ما هو وكيف يكون الأدب ؟

فاعلم أنّ الأدب أن تنزل كلّ شيء وضعه الله في جسدك في موضعه فلا تزيله عن مكانه ، كما أنّك إذا دخلت على رجل منزلَهُ ، فرأيت كلّ شيء ممّا يوضع في المنازل ممّا يمتهن ويؤكل ويُشرب ويبسط ويفرش ويوضع وُضِعَ في مكانه ، فيقال للذي يلي ذلك : هذا أديب . وإذا / رأيت الأمتعة وهذه الأشياء التي وصفنا مطروحة في غير مواضعها : ما ١٣١ أ كان يوضع في المخدع رأيتَه في الصُفّة ، وما كان يبسط ويفرش في الصفّة رأيته ملقىً في صحن الدار . فلمّا رأيت الأشياء في غير موضعها رأيت فسادًا ظاهرًا وتخوّفت الضياع ، أوحشك ذلك وسبق إلى قلبك سوء أدب من تولّى حفظ ذلك المنزل وسكنه.

وكذا جسدك : إنّما هو بيت من بيوت الله ، قلبك آنية من أوانيه ، وقد وضع في جسدك أصنافًا من خِلَعه : منها الغضب والرأفة والرحمة والشهوة والرغبة والرهبة ، فالأدب أن تُنزل كلّ شيء وضعه الله في جسدك من هذه الأشياء في موضعه كما وضعه ، فإذا هاج منك ذلك الشيء فلستَ بِمَلوم عليه ، إنّما تُلام وتُحمَد على الاستعمال بهذا الهيجان ، فإنّه لم يضع فيك الغضب لتستعمله حيث ما تهوى ، ولكن إذا رأيتَ معصية استعملت الغضب الذي وضعه فيك له ومن أجله ، على المقدار الذي حدّه لك ، وهو أن لا تغضب غضبًا تقع في المعصية ، فإذا فعلت هذا فقد تركت الغضب في موضعه كما وضعه . فإذا غضبت ، غضبت له.

وكذلك الرأفة ، إنّمَا وضعها فيك لتستعملها له ومن أجله ، على المقدار الذي قدّره لك . ألا ترى أنه لمّا نزلت الحدود وأمر رسول الله ﷺ بإقامتها ، أخذت الرأفة من

---

٤) أخرى جَ ، نَ : — دَ ١٠) وصفنا جَ : وصفتها نَ ، دَ ‖ مواضعها نَ ، دَ : موضعها جَ ‖ ما — ١٢) موضعها جَ (بالهامش) : — نَ ، دَ ١٣) سكنه نَ ، دَ : يسكنه جَ ١٤) آنية : كذا في جَ ، نَ ، دَ ؛ لعل الصواب : إناء ٢٠) تركت نَ ، دَ : نزلت جَ ٢٢) ومن جَ ، دَ : من نَ

....

٢) المعجم المفهرس ٧ ، ٤٩٠ ب ؛ وقارن البيان ٣ ، ١١٠ ، ٦

أصحاب رسول الله ﷺ لمن أخذت عندَ ضرب الحدّ في الزناء، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، قوله: في دين الله، يعني: بالزاني والزانية، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر.

وكذلك كلّ شهوة وضعها فيك من الأكل والشرب والجماع واللباس والركوب
١٣١ ب والمشي / والنظر والاستماع والشمّ والبطش والسعي والكلام وغير ذلك، فإنّما وضعها فيك لتستعملها له ومن أجله وعلى الحدّ الذي حدّه لك، فإذا كنت كذلك فأنت أديب، فهذا أدب الدين.

(٤)

مسألة

قال أبو عبدالله: أمّا ما ذكرتَ من قولك: إذا قوي لم يحتج إلى إذن في الأمور، وإنّ الأربعين الذين يسمّون البدلاء لا يعملون إلاّ بإذن، وسألت عن هؤلاء الأقوياء مَن هم؟

قال أبو عبدالله: هؤلاء أُمناء الله في أرضه، فإنّ العبد لا يكون أمينًا ما دامت النفس تأخذ من الأمور نصيبها، والأمين كالعبد المأذون له في التجارة والمُفوَّض إليه، فما استدان فهو على المولى، وما ربح فهو للمولى، لا نصيب للعبد في كسبه، وهو خادم من الخدّام.

والأربعون هم الذين حول العرش مَقاومُهم، هم بَعْدُ في المكان، حتى إذا خرجوا من المكان كانت مقاومهم في ملك الملك بين يديه، فهم الأقوياء، جادوا له بالنفوس فجاد عليهم بنفسه، فكان لهم لأنّهم كانوا له.

فهم الذين يجوز للداعي منهم أن يقول: يا واحدي! ولا يستحقّ هذا إلاّ أولئك، ومن دونهم في المكانات والمراتب يقولون: يا واحد، لأنّه توحّد بالربوبيّة لهؤلاء وتوحّد لأولئك بنفسه، وهم الصِدّيقون العارفون، فإذا انفرد العبد بالله وحده جاز له أن يقول: يا واحدي!

---

٢) إن – الآخر ج، د: – ن ٣) قوله – الله ج، د: – ن ١٠) أبو ن، د: الإمام أبو ج
١٨) بين ج، ن: وبين د ٢١) ومن ج، ن: او من د

....

٢) القرآن الكريم ٢/٢٤

ومن كان لنفسه عليه دعوى فدعا ربّه بهذا الاسم / استحال. كأنّه يقول له: متى ١٣٢ أ كنتَ لنا واحدًا فنكونَ لك واحدًا؟ إنّما أنت لنا ولنفسك. ونفسك عليك متقدّرة ومتدبّرة. والقدرة والتدبير لي. ولها مشيئة وإرادة. والمشيئة والإرادة لي!

والأربعون نفوسهم معهم، فلا يعملون بغير إذن. وإن تخطّى أحد منهم في أمر بغير إذن فقد سقط. لا يصعد عمله إلى الله مع حظوظ النفس. فهذه خيانة في مقامه، فهو محجوب عن ذلك المقام بخيانته. والأقوياء قد جاوزوا هذه الحظوظ وخرجوا من رقّ النفوس.

(٥)

مسألة نبيلة شريفة

قال أبو عبدالله: جاءتني امرأة مستفتية. فقصّت أنّ امرأة مات ولدها فامتنعت من فراش زوجها لحال المصيبة، فلم تزل على ذلك حتى تمادى بها هذا الأمر واستوحش الزوج فجانبها. وكان في البيت تابع للزوج صَديق له يدخل ويخرج. فواقع هذه المرأة فأحبلها.

فقلت: سبحان الله! ما أعظم بليّة هذه النفس! لمّا منعت الحقّ عن نفسها ابتلاها الله بالحرام حتى افتضحت وبقيت نادمة خائنة. فكذلك كلّ مانِع حقّ الله في الشيء من الأشياء، يبتليه الله بما يخاف فيه هلاكه.

وكذلك رأيتُ مَن منع حقوق الله من ماله يبتليه الله بإنفاقه في السرف والمباهاة وأنواع المعاصي. وكذلك رأيت من امتنع بنفسه أيضًا حتى لا يعطي الإنصاف والحقّ الذي يجب لله في وقت من الأوقات عليه أن يبتليه الله حتى يقع في المعاصي. فكلّما مانعتَ الحقَّ من نفسك فكأنّك اخترت الباطل فتُعطَى على اختيارك.

(٦)

/ مسألة ١٣٢ ب

قيل له: إنّ أبا سليمان ذُكر عنه أنّه قال: من أخبرك أنّه صار إلى الله بغير ترك الشهوات فوصل فلا تصدّقه. أوَ لا تعرف ربّي؟

---

٢) عليك ج: – ن، د || متقدرة ن، د: مقتدرة ج ١٠) جاءتني امرأة ج، ن: – د

....

٢٣) قارن طبقات السلمي ٧٥

فقال أبو عبدالله : إنّ الله وضع بيته في الأرض ، ثم أذن خليله بأمره في الناس بالحجّ . ثم قال الله في آية : ﴿لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ﴾ ، حيث كانوا منه قربوا من البيت أو بَعُدوا ، ولا محالة يأخذهم شقّ الأنفس ، فكيف يَطمع أحد في الوصول إليه بالراحة والشهوات واللذّات للأنفس؟ وإذا أُعطِيَت النفس مناها وشهواتها فأيّ مشقّة بقيت عليها؟ والهوى مقرون بالنفس ، فكيف يصل إلى الله من كان خادمًا للهوى والنفس الأمّارة بالسوء؟ ليتك إذا عاديته فيه يتركك أن تلحظ هكذا إلى نحوه!

(٧)
مسألة

قيل : ما معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيهِ﴾؟

قال : الكدح كالقدح ، فقدح الزند بقدّاحته حتى يوري الزند النار المنكمن فيه ، والآدميّ قدّاحته قلبه وزنده نفسه وتقدح بمعرفته حتى توري نور الطاعة فيتوجّه إلى ربّه ، وكذلك المعصية يقدح قلبه نفسه حتى توري ظلمة المعصية.

وقول الله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ، قال في التفسير : منتصبًا ، وكلّ شيء من الحيوان منكمش في الرحم غير الآدميّ ، فإنّه منتصب لأنّه خُلق للخدمة ، وهؤلاء سخرة ، فالخادم منتصب بين يدي من يخدمه.

وقيل : وعد الله الصابرين على المصائب ووعدهم من الصلاة والهدى والرحمة.

قال : فإذا كانت المصائب بالدنيا تبشّر بهذا أن يُعطَى يوم القيامة فكيف لمن قدم على ربّه غدًا بمصائب الدين ، ورُوي عن حنظلة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : ما جاءني جبريل عليه السلام إلاّ أمرني بهاتين الدعوتين : اللهمّ ارزقني طيّبًا واستعملني صالحًا.

---

٢) آية جَ ، نَ : آية أخرى دَ ٨) مسألة نَ ، دَ : وقال في مسألة زيادة وقد مضت جَ ، والجزء الأوّل من هذه المسألة كلّه ناقص في جَ ٩) معنى نَ : — دَ ‖ فملاقيه دَ : — نَ ١٤) منكمش دَ : منشكس نَ
١٦) وعد : هنا ابتداء جَ

....

٢) القرآن الكريم ١٦/٧
٩) القرآن الكريم ٨٤/٦
١٣) القرآن الكريم ٩٠/٤ ‖ قارن : جامع البيان ٣٠ : ١٢٦
١٨) — ٢٠) فيض ٥ . ٤٣٨ ، رقم ٧٨٨٢ وقارن : نوادر الأصول ٢٠٢ ، أصل ١٦٠

وعن عمر بن عبد العزيز ، قال : جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطّلب ، فقال : هل فيكم أحد من غيركم ، قالوا : لا ، قال : فإذا أصاب أحدكم همّ أو حزن أو غمّ أو جزع أو صغر أولاد فليقل سبع مرّات : الله ربّي لا أشرك به شيئًا.

قال أبو عبدالله : العارف مفتوح الباب / مأخوذ بقلبه ونفسه ، فقد احتشى قلبه إيمانًا ١٣٣ أ
واحتشت نفسه حلاوة الإيمان ، وتعلّق قلبه وتعلّقت نفسه بحلاوة تدبير الله ، فما تناول من الدنيا فإنّما يلاحظ تدبيره ويصير له خازنًا من خزّانه بإمساكه على نوائب الحقّ ، فليس هو بآخذ ، إنّما هو متناول لما أُعطي لأنّه إنّما يقبله من الله وينظر إلى تدبيره له.

والصادق يأخذ أخذًا ويصيّره عدّة لنوائب نفسه كي يتجوّز به من آفات النفس في وقت الحاجة إليه — فالعارف خازن من خزّان الله ، والصادق خازن من خزّان النفس يخزن لها كي لا تفتقر ، والعارف يتناول عن الله ويمسك لله ويعطي لله.

(٨)

مسألة

قال أبو عبدالله : إن أردتَ أن تكون لله وليًّا موافقًا له في أموره فأَنزل الأشياء منازلها التي أنزلها الله ، وقبيح من العاقل أن ينزل شيئًا من أشيائه منزلة فوق ما أَنزله الله أو دون ما أنزله ربّه ، فإذًا أنت قد عظّمت ما صغّر الله وصغّرت ما عظّم الله.

فسُئل : كيف يكون هذا؟

قال : إنّ الله خلقك على سبيل المضمار والسباق غدًا ، فجعل الدنيا لك جسرًا ، والأحوال دُوَلاً ، والآخرة مستقرًّا ومسكنًا ، ونعيم الجنّة قرّة عين لنفسك وقُرب مولاك قرّة عين لقلبك ، فالساقط ذهب فجعل الدنيا مستقرّه ومسكنه ، والآخرة مأموله ونعيم الجنان شهوته وأمنيّته ، ونفسه قرّة عينه ، يبوئ في الدنيا لنفسه ويزيّنها ويجمعها ، ومع ذلك يأمل
الآخرة أن يجمع له إليها ، فإذا ذكر الجنان / اشتهاها ، وإذا وجد في العاجل عزًّا ونيلاً ١٣٣ ب
وشهوة ووجد راحة ونعمة ولذاذة قرّت عين نفسه لذلك.

والمستقيم أنزل كلّ شيء منزلته ، فكلّما نظر إلى الدنيا رآها جسرًا ، فلم يطمئنّ إلى

---

٢) أو حزن أو غم جَ . نَ : أو غم أو حزن دَ ٦) فإنّما جَ ، نَ : فلا دَ || بامساكه جَ ، دَ : فإمساكه ٧) لما جَ ، نَ : ما دَ ١٤) أشيائه : شيئه جَ ، نَ : نشئه دَ || أنزله جَ ، نَ : أنزلها دَ ١٦) يكون نَ ، دَ : — جَ

....

١) — ٣) المعجم المفهرس ٣ ، ١٠٩ ب

الجسر ولم يستعمل بعمارتها لأنّه رأى نفسه يركض بها إلى الآخرة في اختلاف ليله ونهاره.

ونظر إلى الأحوال فرأى مدبّرها قويًّا قاهرًا يقلّبها كيف يشاء فلم تقرّ قرارًا ، فلمّا أدّى الأمانة في هذه الأشياء ونفى الجور عن نفسه أكرمه الله بعطاياه ، فصار قرّةَ عين قلبه قربُ مولاه ، ولمّا رأى أنّ الأحوال لا قرار لها جعل قرار قلبه عند وليّ الأحوال ، فلم تأخذه الأحوال عند نزولها ولا ضعضعته عند حلولها.

وبشّر الله محمّدًا ﷺ بالمغفرة لِما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، فكان في هذا القول إعلامًا أنّه سيذنب بعد المغفرة وقد غفر له الذنب الذي يعمله فيما بعد هذا قبل أن يعمله ، فقد أقامه مقام هذه الكرامة التي خصّها وأخبر بأنّه سيذنب بعد هذا المقام.

فمن ههنا قلنا إنّ العارف مع علوّ مرتبته ووصوله أنّ الذنوب لاحقة به على جري المقادير لا بدّ منها ، وليست الذنوب من أخلاقه ولا من عادته ، إنّما هي جارية عليه من جهةِ أنّه لا بدّ له من مواقعها ، وقد قال الله: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ ،

وبلغنا أنّ آدم عليه السلام لمّا قعد على السرير في الجنّة كان موضع سريره تلقاء الشجرة التي نُهي عنها ، كان آدم عليه السلام معرضًا عنها ، إذا رأى الشجرة أعرض صفحة خدّه ، حتى وقع ما أراد أن يكون خليفته في أرضه ويستخرج من صلبه / الأنبياء ١٣٤ أ والمرسلين والصدّيقين والحكماء والعلماء والشهداء والمؤمنين ، فكذلك بقي في الكرام من ولده الى يوم القيامة ذلك الخُلق ، إذا مرّوا باللغو مرّوا كرامًا صفحوا وأعرضوا لأنّه الشيء الذي نُهوا عنه ، ومن لم يصفح لم يتخلّق بخلق الله فهو من اللئام.

(٩)
مسألة

قال الإمام أبو عبدالله : إنّ قول لا إله إلاّ الله مبناه على أربعة أركان ، فمن جاء بها يوم القيامة على هذه الأركان الأربعة جاء بها قائمة ، ومن وهن ركنه زلّت قدماه.

والأركان الأربعة الأمر والنهي والقناعة والرضى : فالأمر فرائضه ، والنهي محارمه ،

---

٩) أنّ ج : الى ن، د ١١) مواقعها ن، د: مواقعتها ج ٢١) مبناه: مبنية ج، ن، د

....

٦) قارن القرآن الكريم ٢/٤٨

١١) – ١٢) القرآن الكريم ٦٣/٢٣

والقناعة السكون إلى ما قسم الله له من المعاش ، والرضى السكون إلى ما قضى الله من محبوب ومكروه وعن طلب زيادة أو نقصان.

فمن وافى بهذا الصراطَ عند مجاوزته وضع قدمه على «لا» فرمى به إلى الله في سرعة اللمحة والطرفة ، ومن بقي على الصراط بعد ما وضع قدمه على «لا» فإنّما يبقى ما بقي لأنّه لم يكن لقوله «لا» من القوّة ما يُرمَى به إلى الله سريعًا لأنّه قوله «لا» هو نفي وبراءة من كلّ شيء سواه أن تكون هذه الأربعة التي وصفناها يستحقّها أحد سواه ، كان في قوله «لا» صادقًا على الحقيقة حقّ الصدق.

وإنّما يكون جسر كلّ رجل عَمَلَه ، ألا ترى أنّه يضيق ويتّسع ، وإنّما جميع عمله لا إله إلاّ الله مع الوفاء بها صادقًا ، فإذا كان هذا هكذا كان لقوله «لا» من النور ما إذا وضع قدمه عليها رُمي إلى الله في أسرع من الطرفة والبرقة ، على حسب بطئه في الوفاء / ١٣٤ ب
بهذه الخصال في دار الدنيا وتقصيره فيها تبطئه وتزلّ قدمه.

(١٠)

مسألة في شأن الرزق

قال أبو عبدالله : وجدنا من سكنت قلوبهم على الرزق من أجل يقظتهم على وجهين : صنف منهم الزهّاد وصنف منهم العارفون أولياء الله ، فأمّا الزاهدون فأيقنوا بوعده وسكنت نفوسهم وقلوبهم على ضمانه لِما استنارت قلوبهم بنور اليقين ، ثم لم يسلموا من الحيرة والاضطراب – وإن دقّ – ومن الحزازة وإن خفيت.

وأمّا العارفون فإنّهم فقدوا هذا من نفوسهم واستراحوا منه.

قيل له : لِمَ؟

قال : لأنّ الزاهدين سكنت نفوسهم على ضمانه مُبهَمًا ، وفي النفس شهوة ، فوسوست النفس فقالت : لعلّ الذي ضُمن لي خلاف شهوتي من الإبطاء والقلّة

---

١) السكون ج ، ن : الركون د ٣) وافى ج ، ن : وفي د ٥) لا ج : – ن ، د ١٠) بطئه ن ، د : بطاءه ج ١١) تبطئه ن ، د : بيطائه ج ١٣) مسألة في شأن ج ، ن ، د : باب في ى ١٤) وجدنا من ج ، ن ، د : ووجدنا أن المتنبهين ى ١٥) منهم العارفين ج : العارفين ن ، د ، ى ١٦) نفوسهم وقلوبهم ن ، د ، ى : قلوبهم ج ١٧) الحيرة ج ، ن ، د : الحيوة ى (تحريف) ١٨) فإنهم ج ، ن ، د : – ى ١٩) قيل له ج ، ن ، د : فقيل ى ٢٠) قال ج ، ن ، د : فقال ى ‖ لأنّ ج ، ن ، د : ان ى ٢١) فقالت ج ، ن ، د : وقالت ى ‖ خلاف ج ، ن ، د : بخلاف ى

والدون ، وحركات الشهوة في النفس من التعجيل والكره ، فتحيّرت النفس ووقعت في الاضطراب والخوف من هذا الأمر : منعِ الرزق وفوتِه.

والعارفون عملت رأفته ورحمته على قلوبهم فغُلبت ، وعلموا من كرمه ما سكنت نفوسهم لديه – بمنزلة رجل له عبد ولعبده أبوان ، فذهب هذا السيّد فوضع ألف درهم على يد رجل برّ تقيّ وفيّ فاضل لينفق على عبده ، فهذا العبد وإن وثق بهذا البرّ التقيّ وسكن قلبه على وفائه اضطرب قلبه خوفًا على وفاء منيته وشهوته ، وأن لا يوافق إجراؤُه عليه
١٣٥ أ وتدبيرُه في إجرائه محبّةَ هذا العبدِ ، / فلو أنّ السيّد وضع هذه الدراهم على يدي أبوي هذا العبد سكن قلبه واطمأنّت نفسه لِعِلمه برأفة أبويه ورحمتهما عليه ، فسكنت نفسه من الوجهين جميعًا : من الوفاء برزقه ومن قِبَل كيفيّة الرزق ، والأوّل سكن قلبه من قبل الوفاء ولم يسكن من قبل الكيفيّة ، فتلك الحزازة باقية والحيرة كائنة والوساوس داخلة.

فالزاهد يتناول رزقه من الثقة والضمان لأنّه لم يتّصل به ، والعارف يتناول من الكرم والرأفة والرحمة ، حسُن ظنّه به من الثقة لأنّه مقام الاتّصال ، فاتّصاله بخالقه أكثر من اتّصال هذا الولد بأبويه ، وأين يقع اتّصال الولد سن اتّصال العبد بمولاه إذا مُكّن له بين يديه ؟

(١١)
مسألة

قال : وجدنا أنّ العبد إذا كان ذا صورة وجثّة فإذا دُفع بإصبع وقع ، وإن ضرب بحديدة أو بَرَدَة وقع ، لا يساوي شيئًا لأنّه ضعيف ، وإن كان في صورته دمامة وفي خلقه اتّضاع وكان قويًّا مكثرًا يحتاج في إمساكه إلى خليق ، فكلّما ازداد من هذا ازداد ذِكرًا ، حتى إنّ الرجل ليكون صريعًا فيذهب ذكره ، ويكون راميًا عن قوس ممتنع شديد ،

١) والكره جَ ، نَ ، دَ : الكثرة والأرفع ىَ ٢) الاضطراب والخوف جَ ، نَ ، دَ : اضطراب وخوف ىَ ‖ وفوته : + ولكن من خلاف الشهوة والنيّة ىَ ٣) عملت جَ ، نَ ، دَ : علموا ىَ ‖ على – فغلبت جَ ، نَ ، دَ : فغلب على قلوبهم ىَ ‖ سكنت نَ ، ىَ : سكن جَ ، دَ ٦) وفاء منيته نَ ، دَ : وفاق منيته جَ : خلاف المنية ىَ ‖ شهوته جَ ، نَ ، دَ : الشهوة ىَ ‖ وأن لا نَ ، دَ ، ىَ : والا جَ ٧) فلو أن السيد جَ ، نَ ، دَ : ولو أنه ىَ ٨) فسكنت نفسه جَ ، نَ ، دَ : فسكن قلبه ىَ ٩) من الوفاء جَ ، نَ ، دَ : من قبل الوفاء ىَ ١٠) قبل جَ ، نَ ، دَ : – ىَ ‖ والوساوس نَ ، دَ : والوسواس جَ ، ىَ ١١) من الثقة والضمان جَ ، نَ ، دَ : من الضمان ثقة به ىَ ‖ لأنه – به : – ىَ ‖ يتناول جَ ، نَ ، دَ : يتناوله ىَ ١٢) من الثقة جَ ، نَ ، دَ : مع الثقة ىَ ١٣) الولد – الولد من : – ىَ

فيذهب ذكره، والذي تضعف قوّته عن هذا يتّضع ذكره، وإن كان عبدًا اتّضعت قيمته.

فوجدنا عمّال الآخرة كذلك أيضًا: عبد تديّن بظاهر الحال من الصوم والصلاة والحجّ والجهاد والصدقة، فإذا نُظر إليه قيل: كامل من العبيد، فإذا جاءت حميّة كلمة غَضَبٍ صار شيطانًا وصار أبعد من دينه من الثريّا، وإن تراءى له طمع في درهم أو ضرر / في درهم وجدتَه كالمنسلخ من دينه، فهذا ذاك العبد الذي تزيّن بصورته ١٣٥ ب
وجثّته، فإذا دُفع بإصبع وقع، والذي لا يستفزّه طمع ولا غضب ولا رهبة ولا حبّ الدنيا، فهو كالصريع الشديد الذي يعلو أصحابه صرامةً وشِدَّةً، ومن أَضعَفُ ممّن يستفزّه شيطان بريح الشهوة، فهو في نفخه ونفثه وهمزه يطير به كريشة بفلاة من الأرض، فانظرْ كم بين العبدين من تفاوت القيم في دار الدنيا، فعلى ذلك تفاوت الرجلين في الآخرة.

وممّا يحقّق ما قلناه ما روي عن رسول الله ﷺ أنّه مرّ بقوم وهم يعالجون حجرًا، فقال: ما هذا؟ قالوا: حجر الأشِدّاء! قال: ألا أدلّكم على من هو أشدّ منه: رجل غلب أربع أنفس عند الصراع، فصرعهم، فقالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: رجل سُفّه عليه فحلم فغلب نفسه وشيطانه ونفس صاحبه وشيطانه — أو كما قال.

(١٢)

مسألة

وغاية التواضع أن تترك الاختيار في كلّ وقت وأمر وحال، ووجدنا في أخباره المرويّة عن رسول الله ﷺ من فعله وشمائله ما يدلّ على أنّه كان كافًّا عن الاختيار لنفسه، فيُلقي بيديه سِلمًا، ورسولنا ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وقال: إنّ ربّك يخيّرك بين أن تعيش في الدنيا ما شئت وبين أن تلقى ربّك، فقال: حتى يختار لي ربّي! فرجع جبريل إلى ربّه فقال لملك الموت: لا تنزعنّ عن محمّد حتى أرجع، فرجع جبريل / فقال: إنّ ١٣٦ أ
ربّك اختار لك لقاءه، فجعل يقول: لِقاءَ ربّي لقاءَ ربّي! حتى خرجت نفسه.

فهذا غاية التفويض، لم يختر الحياة مع النبوّة والعصمة والكرامة، ولا اختار لقاء ربّه وقد علم ما في لقاء ربّه، لم تهيّجه لذّة العبودة ولا لذّة اللقاء، فأيّ قلب أطهر من

---

٥) طمع ن، د: طمعًا ج ٦) ضرر ن، د: ضررًا ج ١٣) أربع ن، د: أربعة ج || هو د: هم ج، ن ١٨) فيلقي ن: ملق ج: فيلق د ١٩) وقال ج، ن: فقال د ٢١) جبريل ج: — ن، د

هذا . أو أيّ نفس أذكى من هذه وأخلى من الأسباب ﷺ؟

قال : وما سألت عن قول رسول الله ﷺ في وصيّته لابن عبّاس رضي الله عنهما : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك؟

فهذان حفظان وثوابان ، فأمّا الحفظ الأوّل فهو أن يحفظ الله عند كلّ أمر وينتهي عمّا نهى ، فيستوجب بذلك منه حفظه من يومه إلى وصوله إلى باب الجنّة ، وهو كقول الله : ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ، فالنصرة لله أن تجاهد هواك عند انبعاث كلّ شهوة من نفسك ممّا لم يأذن به الله تعالى ، فتصدّها عن أن يستأنس بها القلب فيأمرَ بذلك الجوارحَ ، فإذا كان ذلك منك استوجبت النصرة منه في كلّ وقت من تلك الأوقات من هذه الدار إلى باب الجنّة.

واعلم أنّ الله خلق هذا الآدميّ في كبد عظيم وهيّأ له دارين ، في إحداهما ألوان النعيم وملأها نورًا وحبورًا وسرورًا ، وفي إحداهما ألوان العذاب وحشاها بالسخطة والغضب وملأها غمومًا وثبورًا من قَبلِ أن يخلقه ، ثم خلقه وسخّر له ما في السموات وما في الأرض ، وبعث رسولاً ودعاه إلى دار السلام ، ثم خصّ الهداية فقال : ﴿وَيَهْدِي مَنْ
١٣٦ ب يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ، ثم جعل على طريقه من هذه / الدار إلى باب دار السلام ألوان البلاء وعجائب الشدّة من البلاء والأسقام والأوجاع والمصائب والخوف والأذى والتعب والنصب والذلّ والفقر وأنواع المكاره.

ثم يبلوه غدًا عند إقبال الآخرة بعجائب الآخرة ودواهيها : من معاينة الرسل ، ونزع الروح من الشَعر والظفر والمخّ والعظم واللحم والدم ، وذوقِ مرارات الموت وتجرّع كأسه الأليم ، ومحاورة منكر ونكير ، ووحشة اللحد ، ودخول العذاب فيه ، ثم النشور ، ثم الحشر مع سابق وشهيد ، ثم الصراط ، والحساب ، والميزان ، والعرصات الثلاث ، وتطاير الصحف في الأيدي ، والعرض الأكبر ، والخلاص من الحقوق ، والبراءة من

---

٢) قال وما نَ ، دَ : وأمّا ما جَ ٤) حفظان جَ ، نَ : حفظا دَ ٩) الدار جَ ، نَ : — دَ ١٢) له نَ ، دَ : — جَ ١٣) ويهدى جَ ، نَ : والله يهدى دَ

....

٣) المعجم المفهرس ١ ، ٤٨١ ب
٦) القرآن الكريم ٧/٤٧
١٣ – ١٤) القرآن الكريم ٢٥/١٠

المتظلّمين . فإنّك مطلوب هناك بمثقال حبّة من خردل من الظلم ، ثم قال : ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ، ثم الوصول إلى باب الجنّة ، ثم الدرجات في الجنّة ترقيًا .

فأنت محتاج في كلّ شيء من هذه الأشياء عندما ينوبك وقته إلى حفظ الله ونصرته حتى تسلم منه لأنّهم كلّهم جنوده ، وإذا حفظته عند كلّ أمر ونهي فقد نصرت حقّه ، فتستوجب منه أن يحفظك في هذه المواضع وينصرك ، أمّا في الدنيا فيحفظك ولا يكلك إلى نفسك وينصرك عليها إذا جاهدتها . فجاء نصر ربّك فيقهر نفسك حتى لا تجد إليك سبيلاً تسبيك .

وأمّا في الآخرة ، فيأتيك رسله بالبشرى ويمهّد لك في لحدك ويخلّصك من أيدي منكر ونكير ويثبّتك بالقول الثابت ويوسّع لك في مضجعك وينوّر عليك ويجيزك الصراط في أعمّ سلامة ويُثقل ميزانك ويعطيك كتابك بيمينك وييسّر عليك ويريحك / ١٣٧ أ من الموقف ويحملك ، فضلاً من ربّك تفضّل به عليك ، لو عرضك للحساب هلكتَ .

وأمّا قوله : احفظ الله تجده أمامك ، فأَن تحفظه عند كلّ لحظة ، لا يلحظ قلبك إلى شيء دونه تعلّقًا به فتكونَ معه في الأشياء ، ولا يتعلّق قلبك بشيء سواه ، ثم تترقّى إلى درجة أعلى من هذه – إن وفّقك الله ، فتكونَ به في الأشياء وتنال به منازل القربة في الدنيا والآخرة ، لَتستوجبُ بذلك منه أن تجده أمامك في كلّ وقت وعلى كلّ حال .

وأمّا في الدنيا ففي قبضته . فبه تقوم وبه تقعد وبه تقبل وبه تدبر وبه تقبض وبه تبسط وبه تسمع وتبصر وبه تعلم وتعقل . وأمّا في الآخرة ، فيأتيك رسوله مع التحيّة والبشرى والتحف . وهو قوله : ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ . فهذا العبد قد وجده أمامه . قد هيّأ له ما وصفنا وأضعافه ، كلّما أتى على شيء ممّا ذكرنا وجده مهيّئًا .

قال : الحفظ بالأعجميّة : نكاه داشت ، والذكر : ياذ داشت .

وأمّا قوله : تَعَرَّفْ إلى الله في الرخاء يعرفْك في الشدّة : فإنّ التعرّف إليه أن لا يفقدك

---

١) من خردل ج ، ن : – د ٣) فأنت ج ، ن : فإنك د ٥) فتستوجب ن : تستوجب ج ، د
١٣) تترقى ن ، د : ترقا ج ١٤) به ن ، د : منه ج ١٧) وتبصر ج ، ن : وبه تبصر د

....

١) – ٢) القرآن الكريم ٢١/٤٧
١٨) القرآن الكريم ٥٦/٨٨–٨٩
٢٢) فيض ٣ ، ٢٥١ ، رقم ٣٣١٧

عند كلّ أمر ونهي ، فإنّ الأمر والنهي محنة الله لعبده لاستخراج ضميره ، فإذا تعرّفت إليه بما ابتلاك به كنت كهيئة العارفين ، فيعرفك في الشدّة أن يعينك ولا يكلك إلى نفسك . وإذا جاءك أمره ونهيه فضيّعت الأمر وتعدّيت إلى النهي كنت كهيئة المنكر لتوحيده . فإذا جاءت الشدّة عاملك مثله كما قال الله : ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ .

وبلغنا أنّ العبد ينادي في ظلم القيامة : يا ربّ يا ربّ فيقول الربّ : من أنت ؟ إنّي لا أعرف إلاّ من تعرّف إليّ في دار / الدنيا ! ١٣١ ب

فهذا تعرّف المطيعين ، وأمّا تعرّف الأولياء فإنّهم تعرّفوا إليه بالقيام بين يديه ، عارفين له ربًّا ، مُلقين بأيديهم إليه سلمًا ، باذلين إليه نفوسهم ، مشتاقين إليه لقاءً ، فكان من معرفته إيّاهم في الشدّة أن قبض على قلوبهم ، فكأنّها في قبضته وكلايته ورعايته ، فبه يتقلّبون ويتصرّفون ، وعند الموت حيّاهم وبشّرهم ورفع عنهم جهد الموت وكربه ويدخلون الجنّة بغير حساب .

(١٣)

مسألة في الدنيا

قال : من طلب الدنيا فاتته الآخرة ، ومن طلب الآخرة فاتته الدنيا ، ومن طلب الله وجد الله ووجدهما ، فطالب الدنيا زاهد في الآخرة وأعمال الآخرة مُقَتَّرة عليه ، ومن طلب الآخرة زهد في الدنيا ، فعرض الدنيا مقتّر عليه ، وطالب الله موسّع عليه في الدنيا والآخرة لأنّ رغبته انقطعت عنهما إليه وشغل بقربه عنهما ، فوُسّع عليه كلتاهما ، فإن ضيّق عليه شخص لم يتبيّن عليه ، وإن وسّع عليه شخص لم يتبيّن عليه – بمنزلة من ركب البحر فإن ملئت سفينته حبابًا مِن ماء لم يعظم في عينيه ذلك الماء الذي في الحباب في جنب ما يأخذ بصره من ماء البحر ، ولم يأخذ من قلبه مكانًا لأنّ البحر قد أخذ بقلبه ، وإن ضيّق عليه الماء لم يتبيّن عليه أيضًا لأنّ رؤية البحر وكثرة الماء ممّا يعينه – وهكذا شأن النفس إذا فقدت الشيء الذي تحتاج إليه اهتاج منها ما يزيدها فقرًا إلى ذلك الشيء ، وإذا وجدته سكنت كالمستغنية .

٧) المطيعين ن ، د : المطعين ج ١٧) اليه ج ، ن : اقامه د ٢١) وهكذا ج ، ن : وهذا د
٢٣) وجدته : وجدت ج ، ن ، د

٤) القرآن الكريم ٩/٦٧

قال له القائل : قد عرفنا طالب الدنيا وطالب الآخرة ، فكيف يكون طالب الله تعالى؟

/ قال : الذي يريد الله في جميع عمره على كلّ حال ، وأن يكون مقصودُه في جميع حياته أن يكون لله كما خلقه. ١٣٨ أ

قيل : وكيف خلقه؟

قال : خلقه عبدًا واقتضاه العبودة ، فالعبودة له أن يراه في كلّ وقت على كلّ حال عبدًا كما خلقه . فإذا مال بهواه فقد مال عنه وعن العبودة إلى الربوبيّة لأنّ راكب الهوى متجبّر ، والجبّار لا يكون في صورة العبيد . فأيّ عمل من أعمال البرّ من الصوم والصلاة والحجّ والجهاد والصدقة لم يكن يُغنيه من ذلك إلاّ أن يُريد من نفسه العبودة له.

قيل : فعلى أيّ شيء قرار هذا العبد؟

قال : على الخشية والرغبة والرهبة والمحبّة والشوق والهيبة والتعظيم والحياء ، فلا يزال العبد طالبًا لهذه الأشياء من قلبه حتى يقف به على حدود المراقبة ، ثم يصير منه إلى درجة الإشفاق والحذر ، فيكون منه أبدًا على حذر في كلّ أمر إن رأى طاعة أو نعمة أو عصمة ، فهو في تلك الأشياء على وجل وحذر لأنّه ربٌّ يفعل ما يشاء ، فوقف قلبه على مشيئته ماذا يشاء فوقع في غيب لا يُدرَك ، وما دام قلبه ناظرًا إلى الحكمة والتدبير لم يتحيّر القلب . لأنّ من حكمه أن يثبت على الطاعة ، ومن تدبيره أن يعطف على العباد في الدنيا ويرحمهم ، فإذا جاوز قلبُك الحكمةَ والتدبيرَ صار إلى المشيئة فبهت فوقع في وجل ، وكان منه في كلّ نعمة وشدّة على حذر ، وفي كلّ طاعة وبلوى على حذر.

ورُوي عن عيسى ابن مريم صلوات الله عليه فيما يروي عن ربّه أنّه قال : يا عيسى احذرني كما تحذر السبع الضاري.

وفي بعض الحديث / : المؤمن كالطير الحذر لا يأمن ولا يستقرّ يخاف أن يُؤخَذ ، فهذا لا يأمن ولا يستقرّ قلبه مخافةَ أن يأخذه. ١٣٨ ب

(١٤)

مسألة

قال : وجدنا العبد المَسبيّ لا يطلقه مولاه ما دام مطّلعًا على قلبه أنّه يريد الرجوع

---

٩) يريد ج : يريه ن . د ١٥) غيب لا ن : غيب ولا ج : عنه لا د ٢٥) العبد ج : أن العبد ن ، د

إلى وطنه الذي سُبي منه ، فإذا رآه قد وطّن نفسه على المكث رفع عنه إلزامه ، ثم لا يستخلصه لنفسه ما دام مطّلعًا على قلبه أنّه يهوى ذلك الموضع .

فكذلك العبد ما دام لا يوطّن نفسه على المكث على طاعة الله لا يقبله ولا يسهّل عليه الطاعة ولا يُعصَم ، وإذا وطّن نفسه على ترك الهرب أطلق له في الطاعات كما رُفع الطوق عن الهنديّ حتى ينفسح في أمور مولاه.

ثم لا يستخلصه لنفسه ما دام يراه مائلاً إلى هواه في الطاعات يعمل منها ما هوي وما لم يهو تركه ، فقلبه مع الهوى ، فهذا كعبد قلبه مع وطنه الذي سُبي منه ، فليس يُؤتَمَن ، فأمناء الله في أرضه عبيده وقلوبهم بين يدي خالقهم ، قد فارقوا الهوى وهربوا حتى استقرّوا هناك عنده.

(١٥)
مسألة

رأينا المتّقي إذا دخل بيتًا فرأى هناك سوء مذهب وقلّة رِعة وفضولاً وتخليطًا نفر من ذلك البيت ولم يقرّ قرارًا لأنّه رأى الأضداد ولم يوافقه ما رأى فلم يسكن هناك — فكيف يطمع الذي يُرَى في قلبه التخليط والأدناس أن يقرّ فيه الخوف والحكمة والعلم والهدى؟

(١٦)
/ مسألة ١٣٩ أ

سئل : ما علامة قبول التوبة؟

قال : أن يفتح عليك بابًا من الطاعة لم يكن لك قبل ذلك.

ومثل ذلك مثل رجل أتى ملكًا من الملوك فقال : إنّ للرعيّة منك ما للعامّ ، وهم في ذلك يطيعونك ، وأنت لهم ملك على حسب ذلك ، إنّما تبذلهم من جميل نظرك وبرّك ولطفك وعطاياك حسب ما هم لك ، وأنا أريد أن أكون لك طوع يدك على كلّ حال ، يقول هذا ويُرفَع إلى الملك وهو محجوب عنه.

---

١) على المكث جَ ؛ نَ : — دَ ٣) نفسه نَ : — جَ ، دَ . ١٩) أن جَ ، نَ : — دَ ٢١) يطيعونك نَ ، دَ : يطيعوك جَ ‖ تبذلهم نَ ، دَ : تبذل لهم جَ ‖ وبرّك نَ ، دَ : — جَ ٢٢) لك نَ ، دَ : — جَ

فمن علامة قبول الملك إيّاه أن يستعمله على أدنى عمل من أعماله مثل أن يقول له : رشّ الباب واكنسه كلّ يوم ، فهو لا يتجبّر عليه في الأعمال إن كان صادقًا في قوله ، ولا تأخذه الأنفة ولا يستحقر ذلك ، بل يفرح به لأنّه أراه توليته إيّاه ذلك أنّه قد قبِلَه.

فهو من رجال الملك يعمل له عمله. قد بايَن الرعيّة، فإذا وفَى له ذلك وناصحه ائتمنه على العلوفة فوجده أمينًا ، نقله إلى فِنائه لعمل أسبابه. فإذا وفى له وناصحه فيه استعمله على القرى ، ثم على الكور ، ثم على الشُرَط ، فكلّما وفى له في ذلك الذي قلّده زادت مرتبته عنده حتى يصير صاحب سرّه وخزانته وخادِمَه بين يديه ، فائتمنه على جميع مملكته وتنفيذ أموره ، فهو يعزل ويولّي.

فكذلك التائب : علامة الصدق من توبته قبوله ، وعلامة قبوله أن يفتح عليه بابًا من العبادة صومًا أو صلاة أو استظهار قرآن أو حجّ أو جهاد أو عمل من هذه الأعمال ، فإذا وفى له بذلك مع اجتنابه جميع المعاصي نحّاه من ذلك إلى درجة أرفع من ذلك ، وهو رياضة النفس ، فإذا وجده قد وفى له بذلك نقله إلى أن ولاّه حتى يرقّيه إلى درجة الأمر بالمعروف والنهي عن / المنكر ، ثم يرقّيه درجة لدقائق الورع في الباطن ، ثم إلى ١٣٩ ب
تطهير القلب من الآفات حتى سلم القلب من النفس ، فيلقى إليه سلمًا لا يريد إلاّ ما يريد ، فصار في عصمته وكلاءته ، فولاّه خزانته وصيّره خادمه وصار من أمنائه على حكمه.

والناس في التوبة رجلان : رجل تاب إلى ربّه في أمره ونهيه ، ورجل تاب إلى ربّه في جميع ما يستعمله في السرّاء والضرّاء والعسر واليسر والمنشط والمكره ، تذلّل لمولاه وانقاد له عبودةً وبذل نفسه وماحوت.

فالأوّل يقبل توبته ، والثاني يُقبَل بيديه ، وهو قول رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربّه : فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ، فبي يسمع وبي يبصر ، الحديث ، وقوله : إذا أحببت عبدًا لي جعلته في قبضتي.

شأن المعصية أنّه تهيج من النفس الشهوة ، فإذا عزم القلب بثّت أثرها على القلب ،

---

٦) له في ج : في ن : — د " ذلك ج ، ن : بذلك د ٧) زادت ن : زاد ج ، د || فائتمنه ن ، د : فيأتمنه ج ١٨) تذلّل ن ، د : تذلّلاً ج

....

٢١) قارن : ٣٤ ـ ٤

وإذا عملت الجوارح بثّت أثرها على الجوارح وأُثبتت في الصحيفة ، فإذا تاب ونزع بالجوارح ذهب عن الجوارح وبقي الأثر على القلب ، وإذا ذهبت شهوته من القلب ذهب أثره من القلب ، والشهوة باقية بعدُ في النفس والحياء باق على القلب ، وهو شبيه بالظلّ ، فيستحيي القلب مرّة ، فإذا استحيا القلب سُتر عن الكتاب في الصحيفة.

فإذا ماتت الشهوة من القلب وجد ألمه إذا ذكره ، فإذا ألم القلب من ذكره مُحي الكتاب وبُدّل مكان كلّ سيّئة حسنة.

وعلم هذا موجود في التنزيل ، وأكثر منه قول رسول الله ﷺ : إذا أذنب العبد ذنبًا نُكتت في قلبه نكتة سوداء / فإذا تاب ونزع صُقل قلبه. ١٤٠ أ

فالتوبة بالقلب والنزوع بالجوارح ، فإنّما يصقل قلبه لأنّه رجع إلى الله مطيعًا ، فصقله بنور العطاء ، ثم يرجع إلى الله عبدًا فصقله بنوره ، فما دام القلب مائلاً إلى شهوة معصية – وإن نزع بالجوارح فإنّ قلبه غير تائب توبة الإخلاص والوفاء ، وله حكم التوبة بما عزم ، كما أنّ المؤمن هو مؤمن له حكم الإيمان بما عزم واعترف ، وهو مطلوب ، ثم هو مطلوب الوفاء به والإخلاص له قلبًا وقولاً وفعلاً ، وما رُوي في الخبر : أنّ العبد يتناول الكتاب فيستره الربّ ويقرّره بذنوبه ، وما رُوي عنه أنّه يقول : اعزلوا صغارها من كبارها فتُخبَأ عنه كبارها ، وما ذُكر في التنزيل قول الله : ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ .

(١٧)
مسألة

ما وجدنا ذكر التقوى في التنزيل إلاّ في أربعة مواضع ، قوله تعالى : ﴿واتَّقُوا النَّارَ﴾ ، وقوله عزّ وجلّ : ﴿وَاتَّقُوا يَومًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ ، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ ، أن تقطعوها وسائر الأشياء.

قال : اجتنبوا ولا تقربوا ، ولم نجد تقوى إلاّ في ذكر الأرحام ، فتقوى النار هو أن

٩) والنزوع ج . ن : والنزع د ١٢) هو مؤمن ج . ن : – د ١٣) يتناول ج . د : يناول ن ١٤) ويقرره ج . ن : ويقرّر د

٧) – ٨) المعجم المفهرس ٢ : ١٨٥ ب
١٥) القرآن الكريم ٧٠/٢٥
١٨) – ١٩) القرآن الكريم ٢٤/٢
١٩) القرآن الكريم ٢٨١/٢
١٩) – ٢٠) القرآن الكريم ١/٤

يتّقي من الشرك والكبائر ، وتقوى المرجع إليه هو أن يتّقي من جميع الآثام سرًّا وجهرًا ويتّقي التخليط في الأعمال والتخلّق بأخلاق السوء ، وتقوى الله أن تتّقي كلّ شيء يشغلك عن الله ويُلهيك عنه ، وتقوى الأرحام هو أن تتّقي القطيعة فيقطعَك الله.

(١٨)
مسألة

قال : وتلوت هذه الآية يومًا في النساء حيث قال الله : ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ / ١٤٠ ب نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ واهْجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عليًّا كبيرًا﴾.

قال : فإن أطعنكم في المضاجع فلا تبغوا عليهنّ سبيلاً في الحبّ فتقول لها : ليكن قلبكِ لي ومعي فإنّ القلب لا يُملَك ، ثم قال : إن الله كان عليًّا كبيرًا ، فإنّ الله أعلى وأكرم لم يقتض هذا على عباده ، بل قال : أطيعوني فيما أمرتكم جوارحَ ، ولم يقتضهم القلوبَ ، فكان إعطاءُ القلوب فعلَ الأولياء خاصّةً ، انقطعوا إليه وتخلّصوا بالإنابة إليه ، فكأنّه يقول : وإنّي لم أطلب أنا هذا من عبادي ، فلا تطلب أنت منها ذلك ، إذا أطاعتك في نفسك بذلاً وانقيادًا لأمرك.

وصلّى الله على محمّد وآله.

(١٩)
مسألة

قال : وكتب إلى أبي عثمان سعيد النيسابوري رحمه الله جواب كتابه :

سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أمّا بعد : فإنّ هذه النفوس مبناها على السبع : على الشهوة والرغبة والرهبة والغضب والشكّ والشرك والغفلة ، فإذا حيي القلب بالإيمان خرج من هذه السبع قلبًا وهي في النفس بواقٍ ، ثم تصير هذه السبع في الصدر غطاءً على القلب يتراءى له في كلّ أمر وعلى كلّ حال ، ثم لا يزال العبد في مزيد من ذلك ،

---

١١) جوارح : جوارحًا جَ ، نَ ، دَ ١٢) انقطعوا نَ ، دَ : ينقطعوا جَ ١٣) وإنّي جَ ، نَ : وأنى أنا دَ || أنا هذا جَ : أنا نَ : — دَ ٢١) بواق : بواقي جَ ، نَ ، دَ

......

٦) — ٨) القرآن الكريم ٤/٣٤

ينوّر الله الإيمان في قلبه ، فبقدر ما يستنير في صدره يذوب هذا الغطاء عن قلبه وينكشف له عن حقائق الأمور حتى يصير من أهل اليقين ، فإذا أيقن تلاشت هذه النفس وذهبت فصارت الرغبة إليه والرهبة منه والغضب له ، وتحوّلت الشهوة منية والمنية
١٤١ أ أملاً وصار الشكّ يقينًا والشرك / إخلاصًا والغفلة جهدًا ، فذهبت النفس وبقي العبد مع ربّه في الأحوال كلّها .

ووجدنا العلم نوعين ، نوع منهما العلم بالنفس ودواهيها وعيوبها ، ونوع منهما العلم بالله تعالى ، فإن اشتغل العبد بمعرفة العيوب بقي عمرَه فيها وفي التخلّص منها ، وإن اشتغل بمعرفة العلم بالله كان ذلك دواءه ، لأنّ علمه به يؤدّيه إلى حياة قلبه وإزهاق نفسه فإذا زهقت النفس بما ورد عليها من التجلّي حيي القلب بربّه ، فأيّ عيب يبقى معه؟

وورد عليّ كتابك ، يا أخي ، وكتاب بعد كتاب ، ووكّدت في ذكر عيوب النفس في باب المعرفة ، فإن قدرتَ ، يا أخي ، أن لا تشتغل بذكر العيوب – وكلّ هذا سوى الله تعالى – فافعلْ ، فإنّ لله عبادًا عرفوه معرفة وأنكروا كلّ شيء دونه واتّقوا من ذكر النفس وخافوه ، فكأنّهم إذا ابتلوا بذكرها يدور بأحدهم معرقه حتى يكاد يقيء – وكيف يقدر من جال في بساتين الورد والياسمين والنسرين أن يرتع في بقاع الشوك ، أم كيف يقدر من صار ذكر الجليل له غذاءً أن يستمع إلى ذكر غيره؟

العلم بالله والمعرفة لله والعقل عن الله – من حوى هذه الثلاث حيي قلبه بالله ونعم باله وطاب روحه وصحّت عبودته وظفر بالحرّيّة من رقّ نفسه وعلت رتبته وبرزت منزلته وساد أشكاله وكرم على مولاه ونال منه فوق أمله في العاجل والآجل .

أمّا في العاجل : فأهدى إليه الحكمة العليا من خزائن ربوبيّته ومكّن له بين يديه وأخذ له بأسراره ، وأمّا في الآجل : فيجعله في خدمه يوم يصطفّ الأولياء والأنبياء ، وأنطقه بالثناء عليه بما لم تسمع الآذان كلّها مثله حتى تقرّ به عين المصطفى ﷺ وهيّأ له
١٤١ ب منبرًا ، وأمّا في داره / : فقرّب محلّه ورفع الستر عنه فيما بينه وبينه .

فإن قدرت رحمك الله أن تكلّم أخاك من هذا النحو فإنّه أقرب لنا ولك وأطيب

---

٦) منهما ن : منها ج ، د || منهما ن : منها ج ، د ٧) التخلّص ج ، ن : التخليص د ٨) لأن علمه ج ، ن : لأنه علم د ١١) وكلّ ن : كل ج ، د || سوى الله تعالى ن : – ج ، د ١٣) بذكرها ن ، د : بذكر ما ج || بأحدهم ج : – ن ، د ١٦) من ن ، د : فمن ج ١٩) أما في العاجل ج ، د : – ن ٢١) كلها ج : – ن ، د ٢٣) أقرب – أطيب ج : أطيب لنا ولك ن ، د

وأشرف . ومن أراد فيما بيننا الوصول إلى حاجته كان أرجى .

وممّا يحقّق ما قلنا حديث رسول الله ﷺ حيث أتاه الرجل فقال : يا رسول الله : علّمني غرائب العلم ! قال عليه السلام : ما صنعتَ في رأس العلم؟ هل عرفت الربّ؟ فغرائب العلم هو علم النفس وعلم الأمر والنهي ، ورأس العلم ما دلّ عليه رسول الله ﷺ .

وممّا يحقّق ذلك ما ذكره الله في التنزيل من قوله تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ، فاقتضاه علم هذه الكلمة ، وقد كان علم قبل ذلك منه ما علم ، ولم يزل ﷺ يزداد علمًا إلى أن فارق الدنيا .

(٢٠)
مسألة

قال : وجدنا شأن القلب أنّه ملك والجوارح جنوده وأعوانه ، فإذا صلح كان مثله كمثل الملك إذا كان غنيًّا ذا لباس حسن وشارة حسنة ، وأعوانه في هيئة الفقراء والضعفاء ، فإذا نظر العاقل إلى الملك في غناه وزيّه وبهائه وقوّته لم يستعظم ممّا يرى في أعوانه ، فيقول في نفسه : الملك القويّ غنيّ ، متى ما شاء قوّى رجاله وزيّنهم وكساهم وجمّلهم في يوم واحد .

وإذا كان القلب فاسدًا فهو كملك فقير ضعيف عائل دنس الثياب ، ليس عنده من الأموال شيء ، وأعوانه في زيّ وشارة حسنة ، وكلّهم فرسان وهو راجل ، فإذا نظر العاقل إلى ذلك منهم يقول في نفسه : إنّ هذا الملك ضعيف رثّ الهيئة خفيف ذات اليد ، فلا يقوى بكسوة هذا الجند وهيئتهم ومراكبهم ، فإنّ الذي في أيديهم يذهب وينفد ، وليس للملك من المادّة ما يعطيهم ، فقد ذهبوا كلّهم .

/ فكذلك القلب إذا فسد لا تغرّنّك صلاته وصومه وصدقته وعمل جوارحه ، فلو ١٤٢ أ
أنّ جميع جوارحه تزيّنت بجميع الطاعات ، ثم دامت تلك الطاعات على الجوارح

---

٤) النفس ن . د : اليقين ج ٥) ذكره ج ، ن : ذكر د ١٣) فيقول ج : يقول ن ، د ‖ متى ما ج ، ن : متى د ١٥) من ج ، ن : في د ١٨) بكسوة ن ، د كسوة ج

....

٢) – ٣) قارن حلية ١ . ٢٤ . ٣
٥) – ٦) القرآن الكريم ١٩/٤٧

وامتدّت المدّة في ذلك ، ففرّت الجوارح عن الطاعات ولم يكن في قلبه من الغناء ما يمدّ الجوارح ، بقيت الجوارح معطّلة ، والقلب فقير ، فماذا أغنى هذا الظاهر على الجوارح؟ فإذا كان القلب غنيًّا والجوارح معطّلة ففي أدنى حركة من القلب توسّع الجوارح خيرًا وبرًّا .

قال : وجدنا القلب يذهب ماؤه وحدّته من كثرة ما يُطرَد عليه من الشهوات من النفس ، كالسكّين يذهب ماؤه من كثرة ما تُقطَع بها الأشياء ، فمتى ما حدّدتَه على حجر احتدّ ساعة . ثم لا يلبث إلاّ يسيرًا حتى يعود إلى حالته ، وذلك لأنّه ذهب ماؤه ، وكذلك القلب ، من كثرة ما يُستعمل في أمور الدنيا ذهب ماؤه وحدّته ، ومتى ما أدنيته من الوعظ فإنّما يحتدّ ساعة ، فإذا أكل أو شرب أو نام أو خالط أمر الدنيا ذهبت الحدّة وفقد الغرض الذي عزم عليه عند الوعظ ، فتحتاج إلى أن تعالجه كما تعالج السكّين فتُحَمَّى بالنار ثم تُلقَى في الماء وتحدَّد بالحجارة فتبقى معها حدّتها ، ثلاثةً وزيادة ، وكذلك القلب يحمَّى بناره ، وهو ترك الشهوات حتى تصل حرارة المنع إليه ، فيصفو من الكدورة التي فيه ، فإنّ الشهوات دخلت القلب فكدّرت الإيمان ، فإذا مُنع الشهوات جاءته الحرارات ، فتلك تصفية القلب كما تُصَفَّى الفضّة مرّة بعد مرّة من حين تؤخذ من المعدن جوهرةً إلى أن لا يبقى منه شيء من جنس التراب ، فيصفو فيصلح لضرب الدراهم ، ثم يُدنَى القلب من الوعظ فينجع فيه الذكر ويتّعظ .

(٢١)
مسألة

١٤٢ ب / قال : لو أنّ رجلاً له ديوان له فيه مال على ناس ، فتصفّح ديوانه ، فرأى فيه على فلان كذا ، فإذا هو مفلس ، وعلى فلان كذا ، فإذا هو رجل ظلوم غشوم لا يقوى به ، وعلى فلان كذا ، فإذا هو جاحد . فإذا رأى فيهم رجلاً برًّا صدوقًا تقيًّا ذا وفاء وغناء طابت نفسه وذهب انكسار قلبه ، وقال : في هذا عوض عن الآخرين .

فكذلك الرجل إذا رأى في ديوان آخرته صومًا وصلاة وحجًّا وصدقة وأعمال برّ ، وهو يرجو أن ينال من ذلك خيرًا في الآخرة ، فإذا فكّر في صدقه وفي قبول ذلك منه

---

١) ففرت ن . د : أقفرت ج || عن ج ، ن : على د ٥) على حجر ج ، د : — ن ١١) وهو ج ، د : وهي ن ١٥) الذكر ج : — ن . د ١٩) به ج ، ن : له د ٢٠) صدوقًا تقيًّا ن ، د : تقيًّا صدوقًا ج ٢٣) صدقه ج : صدقته ن . د

انكسر قلبه وخبثت نفسه ، فإذا رأى في ديوانه أنّه قد عفى عن من ظلمه – وقد قال الله تبارك وتعالى في تنزيله : ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ – قال : قد وقع أجري على الله ربّي ، وهو العليّ المليء الوفيّ لما أوجب على نفسه ، لأنّ ههنا ضمان وفي سائر الأعمال عدّة على شريطة ، فطابت نفسه وقوي قلبه ، فمن علم هذا كان حقيق عليه أن يتّخذ العفو سجيّةً.

وقال الله في تنزيله : ﴿وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾ ، فسمّاه محسنًا وأوجب له المحبّة ، ثم قال الله : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ، فحثّ عليه ثم منّاهم المغفرة ، ولو أنّ رجلاً له عبيد ، فجنى أحدهم عليك جناية ، فأعطاك السوط وقال : خذ حقّك منه قَوَدًا أو قصاصًا – لكان ذلك من العدل الذي لا يُستَنكر منه ، ولكنّه يشتدّ عليه لأنّه يحبّه ، ولكنّه أحبّ أن ينصفك منه ، فأيّ الأمرين أنت أحظى عنده : أبضربك إيّاه وهو يرحمه ويحبّه أم بموافقته ورفع الضرب عنه؟ فكذلك عندنا ونحن عبيده.

(٢٢)
مسألة

/ قال : فنظرنا في تأويل حديث رسول الله ﷺ : من وسّع على عياله يوم عاشوراء وسّع الله عليه سائر السنة – حدّثنا بذلك عبد الكريم بن عبدالله السكّري ، ثنا عبدالله ابن نافع الصائغ ، ثنا أيّوب بن سليمان ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله ﷺ. ١٤٣ أ

فطلبنا مأخذ هذا من أين هو ، فلم نجد شيئًا أحرى من هذا ، وذلك أنّ نوحًا عليه

---

٢) الله جَ : – نَ ، دَ ٤) حقيق نَ ، دَ : خليق جَ ٩) أو قصاصًا جَ : وقصاصًا نَ ، دَ
١٠) منه جَ : فيه نَ ، دَ

....

٢) القرآن الكريم ٤٠/٤٢
٦) القرآن الكريم ١٣٤/٣
٧) – ٨) القرآن الكريم ٢٢/٢٤
١٥) – ١٦) فيض ٦ ، ٢٣٥ ، رقم ٩٠٧٥ ؛ وقارن : نوادر الأصول ٢٤٦ ، أصل ٢١٢
١٦) عبد الكريم بن عبدالله ، قارن : H T 19, Nr. 14 || عبدالله بن نافع ، قارن : تقريب ١ ، ٤٥٦ ، رقم ٦٨٦ ؛ تهذيب ٦ ، ٥١ ، رقم ٩٨
١٧) أيوب بن سليمان ، قارن : تقريب ١ ، ٨٩ ، رقم ٦٩٧ و٦٩٨ ؛ تهذيب ١ ، ٤٠٤ ، رقم ٧٤٢ و٧٤٣

السلام استوت سفينته على الجودي في يوم عاشوراء ، فقيل له : اهبط بسلام منّا وبركات عليك وعلى أمم ممّن معك ، وهم أهل التوحيد ، فإنّما أمره بالهبوط ليُبَوّأ لنفسه وعياله مسكنًا ، فهبط وهيّأ لهم وأخرج ما في السفينة من كلّ زوجين اثنين ، فكان ذلك له وفي مسكنه ، فأُعطي الهبوط والسلام من الله تعالى والبركات عليه وعلى أمم ممّن معه وهم المؤمنون ، وكلّ من بوّأ في ذلك اليوم ما دامت الدنيا في بيته شيئًا أو هيّأ لهم ما يوسّع عليهم دخل في ذلك السلام والبركة وناله من خيرهما وسعتهما.

(٢٣)

مسألة

قال : يُعطِي عبدَه العطاء ويفتح له من قربه ما لو داوم على ذلك لم يحتمله ، فإذا ما حُبس عنه تلوّى وتململ وضاق به ذرعًا لانقطاع وجود تلك الحلاوة ، فمثله كمثل الصبيّ تضمّه أمّه وتضع ثديها في فيه ، فإذا شرب اللبن وعلمت كفايته قطعت عنه الثدي ، فهو يحرصه على ذلك ، يتلوّى ويضطرب في حجرها تحنّنًا إلى الثدي ، فربّما كان اللبن مفسدًا له ولا تحتمله معدته فيرمي به قيئًا.

١٤٣ ب فالله تعالى أرحم بعبده / وأرأف ، إذا فتح له من قربه ثم قطعه عنه لا يحتمله فتحوّل في هيئة المجانين والمعتوهين، فهذه الأمّ تقطع عنه الثديين بعدما أروَته وتُنحّيه من حجرها وتقول للولد : اذهب فانتشر حتى تحتاج إليه ، فهذا دأبه.

فكذلك قول الربّ لعبده : قد أذقتُك من الحلاوة ما نلته ، فإن زدتُك هبطت على وجه الأرض في أن أذقتك الخوفَ خوفَ القربة ، اضطربت في هيئة المجانين ، فأنا أرحم بك وأرأف من أمّك التي صنعت بك هكذا ، فاذهب الآن فانتشر في طاعتي حتى تستمرئ هذه الوليمة ، وأنا أعلم بما يصلحك.

(٢٤)

مسألة

قال أبو عبدالله : أوّل داء في النفس الجهل ، ثم حبّ الأشياء ، ثم قلّة المبالاة ، ثم الجرأة ، ثم قلّة الحياء ، ثم تصديق النفس ، ثم المنى لفوز الآخرة.

---

١) في نَ : — جَ ، دَ ٣) له جَ ، دَ : — نَ ٥) من بوّأ في جَ : يوافي نَ ، دَ ٩) فاذا ما جَ : — نَ . دَ ١٥) وتنحيه نَ ، دَ : تنحيه جَ

فالقلوب ثلاثة : ميّت ، ليس به حراك ، وسكران ، لا يفيق إلاّ في وقت الرجفة أو كسوف الشمس والقمر ، ونائم ، لا يستيقظ إلاّ أن يوقظه وليّه ، وإذا أيقظه ثم نام دعاه إلى الاحتيال إلى أن يُنفر نوم القلب عنه ، كما ينفر نوم الجسد ، فإنّه إذا نام خرج شعاع الروح ، فبقي السمع والبصر والعقل – عقل النفس – معطّلاً ، فإذا نام القلب خرج شعاع الإيمان فبقي العقل – عقل الإيمان – وسمع القلب وبصره معطّلاً ، فلم تجد النفس شهوة الطاعات ، والعطايا تثقل القلب عن الربّ حين يغشاه النوم عن ربّه ، كما أنّ وجود اللذّات من الأطعمة يثقل النفس حين يغشاها النوم ، وقال : إذا امتلأت المعدة من الطعام انطبقت العينان لأنّ على المعدة عرقين / لاحقين بالعين ، فإذا ثقلت المعدة امتدّ ١٤٤ أ العرقان فانطلق الجفنان .

فكذلك عين القلب ، إذا امتلأ القلب من شهوة النفس دنيا وآخرةً وملكوتيّةً انطبق الجفنان في الباطن من عين القلب ، فنام عن ربّه ، والنائم سالم ، ولكنّه ليس بغانم ، فإذا سلم فإنّما محصوله نفسه ، تجده في الجنّة مُنَعَّمًا مكرَّمًا ، والغانم محصوله ربّه تبارك وتعالى .

(٢٥)

مسألة

إنّ النفس إذا استقامت دعت الخلق إلى الصدق ، وأقامتْهم على حدّ السيف من الصدق ، وقد وقع الخلق في خُناقها ، تقتضي من الخلق ما منّ به عليه ربّه ، كأنّه يدّعي الربوبيّة ، فهذا دأبها : تنازع ربّها في كلّ أمر ، ما دامت مُخلَّطة كانت تنازع في الأمر والنهي ، قال لها ربّها : افعلي ! فكسلت وتوانت ، وقال لها : إيتي ! فجمحت ورمت بنفسها ، فلمّا رحمها ربّها ومنّ عليها بالاستقامة أخذت تحاسب الخلق وتخنقهم وتقتضي منهم الصدق بسوء العشرة ، نسأل الله تعالى أن يعيذنا وإيّاكم من دواهيها .

(٢٦)

مسألة

قال الإمام أبو عبدالله : إنّ الله خلق العرش فما دونه إلى الثرى وحشاها خلقًا ،

١) وقت ج ، ن : – د ١٩) إيتي : إيت ج ، ن ، د ٢٤) إنّ ج ، ن ، د : وإن ع

ودعاهم أجمعين إلى قول لا إله إلاّ الله ، فأسماؤه كثيرة ، فلم يدعهم إلى أن يقولوا : لا ربّ إلاّ ربّنا ، ولا مَلِك إلاّ ملكنا ، ولا خالق إلاّ خالقنا ، وإنّما دعاهم إلى هذا الاسم ، فقال : قولوا : لا إله إلاّ الله ، لأنّ العرش فما دونه لمّا أَلْهَمَهم ربوبيّته خافوا المضارّ
١٤٤ ب والمنافع ، فأولَهَهم كلّهم إلى نفسه ، فدعاهم إلى أن ينفوا كلّ / مُوله إليه إلاّ هو.

لأنّه من شأنه أن يسلّط بعض خلقه على بعض لأنّ للخوف نارًا وللمحبّة نور ، فأكل نور المحبّة نار الخوف ، فالنور يأكل النار ، والماء يطفئ النار ، والنار تأكل الحديد ، فبالقدرة التي أبرزها وبالربوبيّة التي أظهرها أبان شأنه من الأشياء ، فالخالق ذو معنى واحد ، لا تجرى عليه المضارّ والمنافع ولا تعتوره الأحوال.

ثم قال الله في تنزيله : ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾ ، قوله : زوجين. أي : لونين اثنين ، لكي يكون هذا دليلاً لكم على أنّي لا أشبه بخلقي ولا يشبهني خلقي ، فنطق العرش والحجب والسموات والأرض والملائكة إلى الثرى بهذه الكلمة ، وكذلك رُوي لنا في الخبر.

ثم قال الله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ، فجعل هذه الكلمة شعار المؤمنين ، وإتمام وحي الأنبياء والمرسلين وشهادة العلماء به ، فأوّل من شهد بذلك قبل خلقه ربُّنا تبارك اسمه وتعالى جدّه ، فقال : ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ

---

٣) لمّا ج ، ع : – ن ، د ٤) فأولهم ج ، ن ، ع : فأوهمهم د ٥) يسلط ج ، ن ، ع : يسلك د ‖ لأن – ٦) الخوف ج ، ن ، د : – ع ٦) يأكل ج ، ن ، ع : يطفئ ع ٧) الحديد ج ، ن ، ع : الأشياء ع ‖ فالخالق ج ، ن : فالخلق د ، ع ‖ ذو – ٨) الأحوال ج ، ن ، د : ذو معنيين بين مضار ومنافع وخوف ورجاء كائن ذلك فيهم وهو تبارك اسمه بخلاف خلقه لا تغيره الأحوال ولا تجري عليه هذه الأشياء من المضار والمنافع ولا تعتوره الأحوال ع ٩) ثم قال الله ج ، ن ، د : فقال تعالى ع ‖ ففروا الى الله ج ، ن ، د : – ع ١٠) قوله زوجين ج ، ن ، د : – ع ١١) بخلقي ج ، ن ، د : خلقي ع ‖ العرش ج ، ن ، د : للخلق ع ‖ والأرض ج ، ن ، د : – ع ‖ الى – ١٢) الثرى ج ، ن ، ع : والثرى د ١٢) وكذلك ج ، ن ، د : كذلك ع ‖ لنا ج ، ن ، د : – ع ١٣) الله ج ، ن ، د : تعالى ع ١٤) وإتمام ع : فأمّا ج ، ن ، د ١٥) فأول ج ، ن ، د : وأول ع ‖ ربنا ج ، ن ، د : هو ع ‖ وتعالى – فقال ج ، ن ، د : فقال تعالى ع ١٦) قائمًا – ١٩٨ ، ١) الحكيم ج ، ن ، د : – ع

....

٩) – ١٠) القرآن الكريم ٥١/٤٩–٥٠
١٣) – ١٤) القرآن الكريم ٢١/٢٥
١٥) – ١٩٨ ، ١) القرآن الكريم ٣/١٨

الحَكِيمُ﴾ ، تبكيتًا لأعدائه واستحقارًا لهم ، أي : إنّكم إن لم تشهدوا بأنّي لا إله إلاّ أنا ، فإنّي أشهد بذلك أنا وملائكتي ، فشهادتي أعظم من شهادة جميع خلقي ، فمن منّ عليه بهذه الشهادة لزمه اسم العلم وصار منسوبًا إليه ، وأكيس الخلق وأعظمهم وأوفرهم حَظًّا من العلم مَن نطق بلا إله إلاّ الله صادقًا من قلبه.

ثم قال الله في تنزيله ، فقال : ﴿الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ ، القول ١٤٥ أ الطيّب للبدن الطيّب والبدن الطيّب للقول الطيّب ، فلا إله إلاّ الله من أطيب الأسماء وأطهرها وأصدقها وأعلاها وأعظمها لأنّها خرجت من نور المعرفة ، فلذلك تنفذ الحجب إلى ربّها حتى تقوم بين يديه.

فوجدنا في ذكر هذه الآية أنّ المؤمن شكل لقول لا إله إلاّ الله ، وأنّ هذا القول شكل للمؤمن ، كلّ واحد منهما كفوء لصاحبه ، فكما أنّ الكلمة ليس من الكلام كلمة لها كفوء فكذلك الجسم الذي صار يقولها ليس له من الأجسام كفوء.

فلهذا ما جرى الخبر به أنّ المؤمن أكرم على الله من الملائكة المقرّبين ، ثم قال عبد الله بن سلاّم عندما استعظم من لم يعقله : أرأيتَ الساجد أكرم من المسجود له؟ ألم تكن في طينة آدم يوم خلقه بيده ، ألم تكن في صلبه حيث أسجد له الملائكة؟ والله يقول : ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾.

وممّا يحقّق ما قلنا قول الله سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ﴾ ، فالعرش وما دونه إلى الثرى قد نطقوا بلا إله إلاّ الله ، لكنّا برزنا عليهم

---

١) إن ج ، ن ، د : — ع ‖ بأني ج ، ن ، د : بأنه ع ٢) وملائكتي : + وأولو العلم ع ‖ فشهادتي ج ، ن ، د : وشهادتي ع ٣) الخلق ج ، ن ، د : العلماء ع ٦) من ج ، ن ، د : — ع ٧) وأعظمها ج ، ن ، د : — ع ‖ فلذلك ن ، د ، ع : فكذلك ج ١٠) كفوء ج ، ن ، د : شكل ع ‖ أن الكلمة ج ، ن ، د : هذه ع ‖ لها – ١١) كفوء ج ، ن ، د : هي كفوء لها ع ١١) الجسم – يقولها ج ، ن ، د : هذا الجسم ع ١٢) الخبر به ج ، ن ، د : في الخبر ع ‖ مقربين ج ، ن ، د : العرش ع ‖ ثم – ١٣) يعقله ج ، ن ، د : عندما استعظم من استعظم قوله ع ١٣) من ج ، ن ، د : ام ع ١٤) في ج ، ن ، د : من ع ‖ حيث ج ، ن ، د : يوم ع ١٥) من نفطة ج ، د ، ع : نطفة ن ١٦) قول الله سبحانه ج ، د : ان الله سبحانه قال ن : قوله عز وجل ع ١٧) لكنا ج ، ن ، د : ولكنا ع ‖ عليهم : + بهذا القول ع

....

٥) القرآن الكريم ٢٦/٢٤

١٣) عبد الله بن سلام ، قارن : Gas 1,304, Nr. 1

١٥) القرآن الكريم ١١/٣٥

١٦) – ١٧) القرآن الكريم ٧/٩٨

فضلاً لأنّ هؤلاء آمنوا به جبرًا والمؤمنون آمنوا به عرفانًا ، أَلْهَمَ الخلقَ رُبُوبيّته فآمنوا به وانكشف لهم الغطاء عن سلطانه وملكوت عرشه ، فوحّدوه وخافوه ووجلوه وأعطوا بأيديهم سرًّا وجهرًا.

والمؤمنون خُلقوا بخلاف خلقهم ، خلق آدم عليه السلام أجوف، ثم وضع في جوفه أشياء مختلفة : من بين رحمة ورأفة وغضب وشهوة ورغبة ورهبة، والملائكة لم يُخلَقوا ١٤٥ ب هكذا ، صنف منهم خلقوا للرحمة وصنف / للغضب وصنف للرسالة وصنف للعبادة وصنف للخزانة وصنف لمعاونة بني آدم ، فهم مطبوعون على ذلك ، وسائر الخلق كذلك ، من خلق للعمل فهو مجبور عليه لا يعمل غيره مثل الشمس والقمر والنجوم والرياح والنور والظلمة والحرّ والبرد والليل والنهار.

فتولّى فطرة آدم بيده وجعله أجوف وجعل هذه الأشياء فيه في مواضع معلومة ، وسلّطه على الأرض ومن فيها ، فالعرش وما دونه مطبوعون على شيء واحد منقادون لما وُضع بين أيديهم وأُمروا به ، وآدم وولده مطبوعون على أنحاء شتّى ، مجموع لهم هذه الأشياء ، مكلّفون استعمال تلك الأشياء ، فمرّة يرحم ومرّة يغضب ومرّة يشتهي ومرّة يعطي ومرّة يمنع ومرّة يحبّ ومرّة يكره ، والخلق كلّهم همدوا من خوفه ، بلحظة لحظها إليهم عرّفهم رُبُوبيّته ، فأذعنوا وانكشف الغطاء لهم حتى عاينوا تلك الأشياء ، فعرفوه من ذلك الطريق.

وجعل لآدم وولده قائمةً على ما جعل فيهم من جميع هذه الأشياء المختلفة ، ثم جعل القلب وسط ذلك وجعل الجوارح أركان القلب ، السمع والبصر ركنه واليد ركنه ، فأيّة حاسّة من هذه الحواسّ الخمس إذا وجد شيئًا أدّت ذلك إلى القلب فعلم به.

وجعل في الجوف مواضع الرأفة والرحمة والغضب والشهوة لتهيّج بالأسباب فيعمل على

---

٢) لهم ع : — ج ، ن ، د || ووجلوه ج ، ن : وجاءوه ن : واجلوه ع ٤) خلقهم ج ، ن ، د : غيرهم ع || في جوفه ج ، ن ، د : فيه ع ٥) من بين ع : من ج ، ن ، د || رحمة ورأفة ج ، ن : رأفة ورحمة د ، ع || وغضب — ورهبة ج ، ن ، د : ورغبة ورهبة وشهوة وعضب ع ٧) فهم ج ، ن ، د : وصنف منهم ع ٨) عليه ج ، ن ، د : على ذلك العمل ع ١٠) فتولى ج ، ن ، د : + الله تبارك اسمه ع || فطرة ج ، ن ، د : فطر ع || وجعله ج ، ن ، د : وخلقه ع || وجعل ج ، ن ، د : ووضع ع ١٢) وآدم ع : — ج ، ن ، د ١٣) تلك ج ، ن ، د : كل ع ١٤) لحظها ع : — ج ، ن ، د ١٥) وانكشف ج ، ن ، د : وكشف ع ١٨) السمع — ركنه ج ، ن ، د : السمع ركن والبصر ركن واليد ركن والمذاق ركن ع ١٩) اذا ج ، ن ، د : — ع || أدت ع : ادى ج ، ن ، د ٢٠) وجعل ج ، ن ، د : ثم جعل ع || مواضع الرأفة ج ، ن ، د : مواضعً للرأفة ع || بالأسباب ن ، د ، ع : الأسباب ج

القلب ذلك الهائج ، ثم جعل لهم في قلوبهم من نوره ما هداهم به ، فبنوره الذي أشرق في قلوبهم عرفوه ، والمؤمنون أدركتهم رحمته ووقعت عليهم خيرته ووفّر حظّهم من نفسه فأنار قلوبهم بنوره ، / ١٤٦ أ فسكنوا إليه حتى جعل ذلك قائمةً لهم فيمَا بينهم وبينه ، وهو قول الله : ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ ، فالعروة هو ذلك النور الذي استنار به قلبه ، فإيمانهم بالغيب بما عرّفهم من نفسه وأشعل النور في قلوبهم.

وإيمان الملائكة على الإلهام والخبر وكشف الغطاء ، فصار المؤمنون أكرم عليه من هذا الطريق ، فهم أقرب زلفة إليه من طريق المعاينة ظاهرًا ، والمؤمنون أقرب زلفة من طريق القلوب إليه باطنًا ، والمؤمنون مع الشهوات والعجائب والشياطين ، وهم في راحة من هذا ، فقولنا لا إله إلاّ الله أعظم شأنًا من قولهم ؛ فلذلك قلنا : كما أنّه ليس لهذا القول شكل من الكلام ، فكذلك هذه النفس الطيّبة التي جعلت كفوءًا لهذا القول ليس لها كفوء في الخلق ، أعني في الكرامة من ربّنا.

فمن اجتباه أنار قلبه ونقله إلى جواره فبوّأه في دار نعمه ، ثم أضافه زائرًا إلى داره ومجلسه وكلّمه وتجلّى له ، ومن تركه نُفاية ألقاه إلى النار ليكون حطبًا لها ، كذلك كلّ شيء : له كدورة وصفاء ومختار ونفاية ، والملائكة أقيموا في الجنّة على خزائنهم وعلى العمل لهم وعلى حمل الهدايا إليهم ، حتى جبريل عليه السلام رأس الأمناء والمقرّبين ، جليسهم ومحدّثهم ويوم الزيارة قائدهم مع لواء الحمد إلى دار الله ، وسائر الخلق بادوا وذهبوا لأنّهم خلقوا لبني آدم سخرة ومنفعة.

---

١) الهائج : + منه ع ‖ ما هداهم به ع : فهداهم له ج ، ن ، د ٢) عرفوه ج ، ن ، د : وحدوه ع ٣) ذلك ج ، ن ، د : النور ع ‖ قول الله ج ، ن ، د : قوله تعالى ع ٤) استنار ج ، ن ، د : استنارت ع ‖ قلبه ج ، ن ، د : قلوبهم ع ٥) فإيمانهم ج ، ن ، د : بإيمانهم ع ‖ بالغيب ن ، ع : الغيب ج ، ن ٦) فصار المؤمنون ج ، ن ، د : والمؤمنون ع ٧) اليه ع : — ج ، ن ، د ١٠) الطيبة ج ، ن ، د : المطمئنة ع ١١) في ج ، ن ، د : — ع ١٢) نعمه ع : نعمته ج ، ن ، د ‖ زائرًا ج ، ع : زائدًا ن ، د ١٣) وكلمة ج ، ن ، د : كرمه ع ‖ كذلك ج ، ن ، د : وكذلك ع ١٤) صفاء ج ، ن ، د : صفاوة ع ‖ أقيموا – خزائنهم ج ، ن ، د : اؤتمنوا على حراستهم ع ١٥) المقربين ج ، ن ، د : المرسلين ع ١٦) دار ع : — ج ، ن ، د ١٧) لأنهم ج ، ن ، د : بأنهم ع

....

٤) القرآن الكريم ٢٥٦/٢

(٢٧)
مسألة المجذوبين

قول الله : ﴿ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ ، فأهل الجباية في كلّ وقت أفضل من أهل الهداية بالإنابة لأنّ / [١٤٦ ب] أهل الاجتباء خرجت لهم هذه الدولة من مشيئته منًّا منه عليهم ، وأهل الهداية أنابوا إليه ، فهداهم .

فمن اجتباه وضع صُنعه عليه ، صاروا كذلك ، جذبهم وصاروا بجذبته كما شاء ، كقوله : كن ، فصاروا كذلك ، وأهل الهداية رزقهم الإنابة ، ثم هداهم بالإنابة ، ويُظهر ذلك كما فعل بالخلائق كلّهم بقوله : كن ، وخلق آدم بيده ، فوضع صنعه على آدم فبرز على الخلق . وأهل الجباية نالوا ذلك من طريق المنّة ، خرجت لهم من مشيئته ، وأهل الهداية صاروا إليه فأثابهم الهداية ، فالثواب للسير على قدره ، وأهل الجباية منّ عليهم والمنّة على قدر المنّان ، والأنبياء والرسل اجتباهم وجذبهم .

(٢٨)
مسألة

قال أبو عبدالله : من كان معرضًا عن الله يخدمه العبيد المشترون بالدراهم والدنانير ، ومن كان مطيعًا لله يخدمه الأحرار المطيعون له ، ومن كان مقبلاً على الله يخدمه أحرار النفوس حتى يمكنهم الكون معه ، ومن لم يكن حرّ النفس اشتبهت عليهم أمورهم .

(٢٩)
مسألة

سئل عن قول الله : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ ؟

فقال : مثله كجلدة على جسدك أُمرتَ بأن تقرضها فتستأصلها حتى لا يبقى من الجلدة شيء ، وأن لا تتعدّى بالقطع حتى تأخذ من اللحم .

---

٨) فعل جَ ، دَ : فعل ذلك نَ ٩) على جَ ، دَ : عن نَ ١٠) للسير جَ ، دَ : للسيد نَ
١٤) المشترون نَ : المشتروا جَ . دَ ١٥) الأحرار جَ ، دَ : من الأحرار نَ

....

٣) القرآن الكريم ١٣/٤٢
١٩) القرآن الكريم ١١/٥٧ ؛ وقارن : نوادر الأصول ١٤٧ ، أصل ١١١

قيل : ما هذا؟

قال : كذلك أُمرتَ أن تقرض لأنّ حبّ المال لازق بالقلب فتقطعه من قلبك كما تقرض الجلدة بالمقراض ، فإذا أعطيتَ ولم تتبع نفسك ثوابها ولم تقطع من قلبك قطعًا يُبقي على القلب / ألمَه ، فلا تسلم بذلك من أن ترى نفسك على صاحب المنّة وإن دقّ . ١٤٧ أ

وهذا لا يسلم منه إلاّ من سقط قدر الشيء عن قلبه ، فأعطى ولم يحرج قلبه الإعطاءُ ولم تتبع نفسه ثوابها ، فكأنّه من القبيح أن يقول : يا ربّ أيّ شيء تعطينا بهذا؟ فيقول : يا عبدي سُقتَ الشيء طالبًا للثواب؟ لم تقم القيامة بعدُ ، والصدقة في خزائن الأعمال فسبقتَ بطلب الثواب .

قال أبو عبدالله لأصحابه يومًا : ما تقولون في رجل فجر بزانية ، ثم قام بين يدي ربّه يصلّي وهو جُنُب ، أليس هذا جرأة عظيمة وصلاته غير مقبولة؟

قالوا : نعم !

قال : فمن فجر قلبه بهذه الزانية – يعني الدنيا – حتى أجنب قلبه ، أيطمع أن يقف قلبه بين يدي الله وهو جنب – هذا ما لا يكون .

(٣٠)
مسألة

قيل له : لا تزال تكرّر في دعائك : استرنا واجبرنا !

فقال : هذا دعاء ندعوه في العامّ لنشترك فيه مع الجمع ، فأمّا : استرنا ، فأَن نكون في ستره مع جميع العيوب ، وإذا ستر الله على عبد جعل له لسان صدق ونشر عليه محاسنه ورفع عنه الحساب .

وأمّا : اجبرنا ، فما تقولون في رجل خرّ من تحت العرش إلى الأرض أترونه يندقّ دقّ الكحل؟ فمَن يقدر أن يجبر هذه الأعظم التي صارت كالرميم رضًّا من الوقعة؟ من هناك نصرخ إليه أن استرنا واجبرنا .

---

٣) ولم : لم جَ ، نَ ، دَ ٤) صاحب : صاحبه جَ . نَ ، دَ ٧) سقت نَ ، دَ : سبقت جَ
٨) بطلب جَ . نَ : لطلب دَ ١٣) ما نَ . دَ : – جَ ١٨) مع جَ ، نَ : من دَ

(٣١)
مسألة

قال أبو عبدالله : وجدتُ الناظر إلى خلقه على ثلاثة أصناف : من نظر إليهم بعين الشهوة لم ينج من الفتنة ، ومن نظر إليهم بعين الروح سلم منهم واستوت عنده منازلهم ،
١٤٧ب ومن نظر إليهم بعين المعرفة أنزل كلاً منهم منزلته : / الوضيع لضعته والشريف لشرفه والعالم لعلمه والجاهل لجهله والغنيّ لغناه والفقير لفقره والجميل لجماله والدميم لدمامته ، رأى تدبير الله فيهم وأبصرهم على منازلهم وأنزلهم على تلك المنازل موافقة لله.

قال لجلسائه : ما تقولون في حبيب يؤنسنا اليوم لغد ووجّه إلينا لفافة أثواب فقال : إيتني غدًا في هذه الأثواب ، لكلّ رجل منهم ثوب باسمه ، ففُتحت اللفافة ، فكان لرجل قطعة مسح وللآخر برذعة ولآخر ثوب بُخاري ولآخر ثوب مروزي ولآخر ثوب خزّ ولآخر ثوب وشي – أكان يطمع صاحب البرذعة أن يقعد من الضيافة حيث ما يقعد صاحب الوشي؟ – وقال لواحد : إيتني على هذا الفرس راكبًا ، ولآخر : على بغل ، ولآخر : على حمار ، ولآخر : راجلاً – أما كان لهم من العقول ما يعرفون منازلهم؟ فكذلك منازل القلوب في قصدها إلى الله.

وقالوا له يومًا : استماع هذا الكلام والعمل مفقود فكيف يقع من هذا؟

قيل : قول الله : ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

فردّد الله الوعد والوعيد وذكر الإحسان وذكر الآلاء في غير مكان ، فلولا أنّه علم ما ردّد وما وصّل ، والتوصيل المتابعة.

ومثل ذلك مثل خائط عليه من الغبار والدخان غير قليل ، فكلّما ضربتَ الطين سقط ، وإذا تابعتَ الضرب ففي كلّ مرّة يزول من غبار الحائط ودخانه حتى يبقى الحائط
١٤٨أ وقد تعرّى من الغبار وأصابته نداوة الطين ، فإذا ضربتَ استمسك الطين فيه / ، فسوّيتَه ، ثم تركته ، ثم طيّنته مرّة أخرى بطين ألين منه ، ثم جصّصته ، ثم نقشته.

قيل : ما هذا؟

---

٨) يؤنسنا جـ ، ن : فيؤنسنا د ١٠) ولآخر ن ، د : وللآخر جـ : مروزي : مروي جـ ، ن ، د
١٣) أما جـ ، ن : ما د ‖ يعرفون ن ، د : يعرفوا جـ ١٦) لعلهم جـ ، د : – ن

....

١٦) القرآن الكريم ٥١/٢٨

قال : قلب عليه من الغبار – غبار الشهوات غير قليل وأدناس الذنوب قد لزقت به ، فإذا جاءته الموعظة لا تلزق به لحال الغبار ، فإذا تتابعت الموعظة زال عنه الغبار وابتلّ فلُزق به ، ثم جاءته الطاعة وجاءه التقوى ، فهما التطيّنان ، ثم فُتح له ، فجاء التجصيص وابيضّ القلب ، ثم جاءت الرؤية – رؤية الأعمال ، فرأى قبيح المعاصي وزينة الطاعات وبهجتها وبهاء العبوديّة ، فصار حائط الصدر منقوشًا ، فهو مع النفس سروره وفرحه بها ، حتى إذا أشرق النور وغابت النفس عن عين قلبه صار في الرَوح والسرور الدائم .

ومثل آخر للقلب : كلّما زادت النفس شهوة أظلم عليه الصدر ، فإذا حُبست انقطع الدخان ، فلا يزال هكذا حتى يبرد التنّور وينطفئ ناره فيستريح ، فحينئذ يحيا بنيران العطاء ، فيحمَى بنوره .

قال : أمّا محبّة الأعلى لها ثبات ودوام وقرار ، فهي محبّة الله التي هيّجها لك كشف الغطاء عن العلم به والمعرفة له ، وذلك أنّ الإنسان مطبوع على أنّه كلّما وجد شيئًا أعلى من شيء مالت نفسه إليه لا ينظر إلى ما لا يكون له منها .

وقد نجد هذا في النفوس كائنًا : إنّه تحبّ الغنى من غير أن ترجو نفعه ، وتحبّ الأمير من غير أن يعرفه الأمير ، وتحبّ من الثياب أرفعها ومن الدوابّ أفرهها ومن الخلق أوسعهم ومن كلّ حالة ومنزلة أعلاها وأنبلها ، وسموّها أبدًا إلى الأعلى والأرفع ، على هذا طُبع وليس به منفعة نفسه ، إنّما هو شيء عليه بنية الآدميّ وموافق هذه الأشياء / ١٤٨ ب
لبنيته ، فأحبّت ومالت نفسه إليه .

فقَصْد هذا الآدميّ وسموّه إلى الأرفع والأعلى ، فإذا وصل قلبه إلى خالقه معرفةً به وعلمًا أحبّه حبّ شغوف به . فكلّمَا ازداد به شغوفًا وإليه ميلاً ، فهذه المحبّة الدائمة الثابتة الراسخة التي لا تزول بزوال الجبال ، فهو يجد قلبه في حال النعمة والبلاء والمحبوب والمكروه معتدلاً لا يكاد يجد فتورًا ، يحمل على نفسه النصب والأذى لمحبّته ويؤثر على

٢) تتابعت ن . د: تابعت ج ٣) به ج : – ن ، د ‖ وجاءه ج : وجاء ن ، د ١٤) هذا ج ، ن : – د ‖ كائنًا ن ، د: كاملاً ج ١٥) أفرهها ج ، د: أرفها ن ١٩) الأرفع والأعلى ن : الأعلى والأرفع ج ، د ٢٠) ميلاً ج ، د: والهًا ن ٢١) تزول ج ، ن : تزل د

نفسه ، فإذا نزل به من عنده من غير تكلّف للعبد ولا اختيار كان فعله إذا خرج من اختياره ومشيئته أحلى عنده من فعل العبد لنفسه.

آخر المسائل ٣

والحمد لله كما هو أهله

---

٣) آخر المسائل جَ . نَ : تمّت المسائل بعون الله ومنّه وحسن تأييده وتوفيقه دَ ٤) والحمد – أهله نَ : والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد النبي وآله وصحبه وسلم جَ : الحمد لله وحده وصلواته على سيّدنا محمد نبيّه وآله وصحبه وسلامه دَ